

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Université Abou Bekr Belkaid
Tlemcen Algérie



جامعة أبي بكر بلقايد

كلية الآداب و اللغات

قسم اللغة و الأدب العربي

أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة و الأدب العربي

تخصص: الأدب الجزائري الحديث

و عنوان

فن الترسُّل في أدب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

إعداد الطالبة:

فاطمة صوانخير

إشرافه:

أ.د: محمد عباس

أعضاء لجنة المناقشة

أ.د محمد طول	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	رئيسا
أ.د محمد عباس	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	مشرفا
أ.د أحمد دكار	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	عضوا
د. محمد سعيدي	أستاذ محاضر "أ"	جامعة مستغانم	عضوا
د. فتحي محمد	أستاذ محاضر "أ"	جامعة سيدي بلعباس	عضوا
د. دردار بشير	أستاذ محاضر "أ"	المركز الجامعي تبسمسيلت	عضوا

العام الجامعي: 1436-1437 هـ / 2015-2016

الإهداء :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ (٢٤)

سورة الإسراء الآية 24 .

إلى والديّ الكريمين أمي وأبي أدامهما الله وحفظهما و رعاهما .

وإخوتي و أخواتي .

إلى هؤلاء العظماء الذين مضوا وبقيت آثارهم تدل عليهم. إلى رجال جمعية

العلماء المسلمين الجزائريين رحمهم الله جميعا.

إلى كلّ هؤلاء أهدي هذا العمل .

شكر وعرهان :

بسم الله الرحمن الرحيم :

قال الله تعالى : ﴿ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَدِيكَ إِلَى الْمَصِيرُ ﴾ ﴿١٤﴾

سورة لقمان الآية 14 .

وقال تعالى : ﴿ لِيَنْ شَكْرْتُمْ لِأَزِيدَنَّكُمْ ﴾

سورة ابراهيم الآية 7 .

فالحمد والشكر لله الذي وفقني لهذا العملو الشكر و العرفان بأسمى عبارات التقدير والامتنان إلى أستاذي الأستاذ الدكتور محمد عباس الذي أجاد و أفاد بإرشاداته وتصويباته ، فأنا لى الطريق لإنجاز هذا العمل راجية من الواحد القدير أن يوفقه لما يحبه ويرضاه .

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل أساتذتي الأفاضل مع الأجلال و الإكبار و إلى من أسهم في إنجاز هذا العمل من قريب أو بعيد .



مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك يا ذا الجلال و الآلاء حمد من يرجو فضلك وتأيدك في السراء و الضراء والصلاة والسلام على اشرف المرسلين سيدنا محمد عليه ألف صلاة وألف سلام وأصحابه و التابعين سيبله بصدق إلى يوم الدين و بعد.

فإنّ الآثار الأدبية لأمة ما ، هي عنوانُ أصالتها ودعامةُ بقائها ، ثمّ إنّ هذه الآثار ما هي إلا رسالةٌ تؤدّيها في الحياة ، وفن الترسّل من تلك الآثار التي عرفها الإنسان منذ القديم رافقته من عصر البداوة إلى عصر التمدن والحضارة ، وكان مضمارا لفرسان الكلام ، ورواد الفصاحة والبلاغة ، فقد حمل هذا الفنُّ تأوهاتٍ وآمالَ أصحابه الذين نهضوا برسالات الإنسانية و حملوا الأمانة بتكليف من سرائرهم .

ويعتبر فن الترسّل من الآداب العالمية ، إذ لا يكاد يخلو تراثُ أمة من هذا النوع ، فهو من الفنون التي يترجمها الخيالُ إلى واقع ينطق به اللسانُ وتخطه الأناملُ وتحفظه الكتبُ بين دفتها قرونا من الزمن .

بالإضافة إلى ذلك فإن لهذا الفنّ مضامينَ تعبيريةً تجعله يرقى إلى مستوى الشعر الذي يُعتبر فنّ العربية الأوّل ، والذي نال حصة الأسد في الدراسات الأدبية عبر العصور حتى ولو كان ذلك على حساب النثر في الكثير من الأحيان ، ولا ضير في ذلك كلّهُ لأنّ الإنسان بطبعه يجذبه الإيقاع الذي يهزّ وجدانَ ويطرب الأسماع .

وغير بعيد عن إيقاع الشعر ظهر فن الترسّل بخصوصيته كونه فناً أدبيّاً ذا قيمة لا تنكر ، وحظي هو الآخر باهتمام الباحثين وألفت حوله المصنفات والرسائل ، فلا يكاد يمر عصر إلا وفن الترسّل حاضرٌ فيه بحثاً ودراسة : فمن جمهرة رسائل العرب ، وفن الترسّل في العصر

الجاهلي وصدر الإسلام إلى فن الترسل في الأدب الاندلسي ، وغيرها من الدراسات التي حاولت إمطة اللثام عن هذا الفن وخصوصيته عبر العصور .

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أنّ لفن الترسل مكانة كبيرة وسط الانواع الأدبية فهو بمثابة الغوص في أعماق التاريخ أو رحلة عبر الزمن الماضي وجولة بين كنوز الأقدمين وما تركوه من نفحات جادت بها قريحتهم في حالة صفاء الذهن ، ومخاطبة الذات الشاعرة بوجودها ، لأنّ أكثر ما يقوم عليه فن الترسل هو إثارة العواطف وتوجيه المشاعر بكلمات موحية ، وعبارات جميلة تهمز الكيان و تؤثر في النفس، و هو معرضٌ تعرض فيه عظامم الأعمال ، و ديوانٌ تدون فيه محامد الخصال لمن يأتي من الأجيال.

و من أجل ذلك ارتأيت أن أقف عند هذا الفن في أدب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فبعد القراءة المتأنية للأدب الجزائري الحديث والاضطلاع على الأنواع الأدبية التي واكبت الحركة الإصلاحية بصفة خاصة ، جعلتنا نواجه الإشكالية التالية :

أين فن الترسل من هذه الأنواع ؟

هل كان لفن الترسل عند رجال الجمعية تلك الخصوصية التي امتاز بها أو صبغته خلال مسيرته التاريخية من عصر عبد الحميد إلى عصر ابن العميد ؟

هل يمكن لرجال الإصلاح الذين أفنوا حياتهم في توجيه الأمة وارشادها أن يكون لهم مساحة أخرى لمحادثة الذات ؟ و إن كانت هناك رسائل طبعت حياتهم ، فما هو منهج كتابتها ؟ بم تبدأ ، وبم تحتتم ، وما هي موضوعاتها ؟، ما الأسلوب الذي كتبت به، وما مدى موافقة الأسلوب لمن ترسل إليه الرسالة ؟ . كيف وظف هؤلاء المصلحون رسائلهم في خدمة ومعالجة واقع الأزمة الجزائرية في ذلك العهد والمتمثلة في الاستعمار الفرنسي وما نتج عنه من تخلف ثقافي واجتماعي ؟

وعليه فإن من أهم الأسباب التي دفعتني للقيام بهذا البحث هي :

. إنَّ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالإضافة إلى أنَّها كانت الشرارة التي أشعلت نيران الثورة ، وأحرقت بلهيبها القوَّة الاستعمارية وعبدت الطريق أمام الأجيال لتمر عليه إلى الحرية و الاستقلال ، فهي أيضا أيقظت الأقدام من السبات العميق وجعلتها تجري على الأوراق ، فكان هناك أدبٌ بأنواعه المختلفة .

بالإضافة إلى سبب ذاتي يتمثل في إعجابي بشخصيتين بارزتين في هذه الجمعية وهما الشيخ عبد الحميد بن باديس و الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ، اللذان اتصفا بالحكمة وحملا قيم التسامح ونشر العلم في الأوساط الجزائرية ، خاصة بعد جولتي في حديقة أدب الشيخ البشير الإبراهيمي في رسالة الماجستير بمعية أستاذي الفاضل الدكتور محمد عباس ، واكتشافي لهذه الشخصية الفذة وانبهاري بأدبه الذي حاكى فيه عظماء وأدباء وفحول شعراء العرب فكان هذا دافعا لأطرق باب جمعية العلماء وأتعرّف على أصدقائه ممن عرفوا معه من الينايع نفسها و أقف على إنتاجهم الأدبي وخاصة في مجال فن الترسل .

وحتى أتمكن من الإجابة عن مثل هذه الأسئلة تجولت في حديقة الأدب الجزائري الحديث وحاولت أن أجمع شتات الرسائل من بطون الكتب والتي سأكوّن من خلالها صلب هذه الدراسة والتي قسمتها إلى تمهيد وبابين.

فالتمهيد هو وقفة مع فن الترسل من حيث الماهية، والنشأة، والجذور، وكيف أنّه غرس جذوره في أعماق الفنون الأدبية قديمها وحديثها.

أما الباب الأول والذي عنون بالأوضاع العامة في الجزائر أيام الاحتلال فقد حوى فصلين:

الفصل الأول و الذي عنون بأوضاع المجتمع الجزائري عشية تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الذي بدوره حوى هو الآخر مبحثين : المبحث الأول تناولت فيه أوضاع المجتمع



الجزائري السياسية و الاجتماعية و الثقافية قبل ظهور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، أين حاول الاستعمار الفرنسي القضاء علي الشخصية الجزائرية العربية المسلمة، وذلك من خلال محاولته هدم قيم هذه الشخصية من اللغة العربية ، والدين الإسلامي والهوية الوطنية، والتفنن في القضاء على كل ما يمس الكيان الجزائري .

أما المبحث الثاني فقد خصص للحديث عن ظهور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والتي كان ظهورها بمثابة الغيث الذي نزل على أرض قحطاء فأعاد لها الحياة وذلك من خلال نشاطها الذي شمل كل جوانب الحياة ، وبذلك استطاعت أن تعيد بناء الإنسان الجزائري الذي عملت فرنسا على هدم كل مقوماته ، فبعثت فيه الروح من جديد ، وأنعشت الثقافة فظهر الأدب بفنونه المختلفة ، وهذا ما حاولنا الإجابة عنه في الفصل الثاني من الباب الأول والذي تناولنا فيه أدب جمعية العلماء والذي ضم مبحثين أيضا إذ خص المبحث الأول للحديث عن الشعر والخطابة والمقالة في حين خص المبحث الثاني للحديث عن القصة و المسرح و النقد ، فقد حاول هؤلاء الكتاب أن يطعموا الأدب الجزائري بروح العصر من حيث اختلاف الفنون ، ويصبغوه بالصبغة الجزائرية من حيث المواضيع.

أما الباب الثاني والذي جاء تحت عنوان : فن الترسل وقضاياها فقد حوى هو الآخر فصلين : الفصل الأول حُصّ لفن الترسل ، تحت عنوان : الأعلام و الرسائل والموضوعات و قد شمل هو الآخر مبحثين : مبحث خص للحديث عن الأعلام الرواد و المبحث الثاني فقد خص للحديث عن الرواد المساعدين و ذلك من خلال الوقوف على موضوعات الرسائل ومن ثمّ تقديم نماذج كاملة من رسائل المصلحين ، مع وقفة قصيرة حول سيرة ومسيرة كل قطب من أقطاب الجمعية ، وأراء معاصريه ومن جاءوا بعده في شخصه الكريم ، وذلك لأنه يصعب أمام كل باحث ان يفصل آثار المبدعين عن حياة أصحابها ، في حين خص الفصل الثاني للدراسة الفنية ، فقد خص المبحث الأول



دراسة الأسلوب ، وشاعرية النص و موسيقاه و تراكيبه ، وخص المبحث الثاني لاقتباساته و تضمينته ، و هذا لب الدراسة الجمالية ، ثم خاتمة كانت خلاصة الحصاد .

وحتى يتسنى لنا ذلك سلطنا في هذه الدراسة منهجا تقتضيه طبيعة البحث هو المنهج التاريخي مع التحليل بالإضافة إلى المنهج الوصفي وذلك من خلال التعرف على موضوعات الرسائل لدى رجال الجمعية ، وعليه كان من الضروري أن يشمل البحث الكثير من الاقتباس المباشر من الخطب والمقالات و الرسائل .

ولالإمام بجوانب البحث اعتمدنا على جملة من المصادر والمراجع تختلف أهميتها حسب صلتها بالموضوع ، فمن المصادر: أرشيف الجمعية والمتمثل في صحفها : المنتقد ، والشهاب ، و البصائر ، ومجموعة أعمال الشيخ ابن باديس ، والآثار الكاملة للشيخ الإبراهيمي ، وآثار الشيخ مبارك المليي و مذكرات الشيخ خير الدين ، وغيرها ، كما اعتمدت على مجموعة من الكتب للأستاذ رابح تركي ، وكتب للأستاذ بو صفصاف عبد الكريم ، وكتاب البشير الإبراهيمي أديبا للأستاذ محمد عباس وغيرها من الكتب القيمة والتي أفادتني في هذا البحث .

كما وقفت امام مجموعة من الدراسات السابقة في ذات الموضوع كرسالة الماجستير : فن الترسل عند عبد الحميد وابن العميد لفيصل حسين طحيمر العالي ورسالة محيي الدين محمد : ثقافة الإبراهيمي وأثرها في اسلوبه، وغيرها من الدراسات السابقة .

وفي الأخير أحمد الله حمد الشاكرين الذي وهبني العزيمة وحب العلم ، كما يسعدني أن أسجل بأحرف من ذهب عميق شكري و خالص تقديري واحترامي لأستاذي الجليل الأستاذ الدكتور محمد عباس على اهتمامه الكبير وحسن رعايته وعدم ضنه بالنصح والارشاد حفظه الله وأمدّه في عمره علما من أعلام الأدب والمجد وقمة من قمم الهدى و الأخلاق فتحت ظلال رعايته واهتمامه ظهر هذا البحث على هذا النسق والترتيب فجازاه



الله خير ما جازى به العاملين المخلصين للدين و الوطن ، وإن وجد تمام وكمال في هذه الرسالة فهو من توفيق الله عزّ وجلّ وهو صاحب الجلال والكمال ، و بفضل توجيهه و ارشاده أستاذي الفاضل، وإن وجد نقص فهو مئّي أسأل الله العفو والغفران وأن تكون هذه الرسالة وقفة تتلوها وقفات أخرى تُفتح أمام الباحثين والدارسين من بعد لتكملة مشوار هذه الدراسة موضوعاً ونهجاً .


وعلى الله قصد السبيل .

تلمسان : 10 جمادى الأولى 1436هـ

الموافق لـ 02 مارس 2015م

فاطمة صواغير





تمهيد: الترسل: الماهية - الجذور والنشأة.

تمهيد: الترسل: الماهية- الجذور والنشأة.

يعتبر الترسل من الفنون الأدبية التي سائرت الإنسان منذ القديم، إلى يومنا هذا كونه وليد موهبة فنية خالصة لا رياء فيها ولا تكلف، فهو بجانب تعبيره عن الذات الإنسانية هو تعبير عن ذات الآخر لأنه يحمل في ذاته مقومات الحياة الإنسانية بكل ما فيها من ألم وأمل.

إن الترسل مظهر من مظاهر البلاغة وسبيل من سبل التأثير والافئاع ومجال خصب للاستعراض المقومات الفنية والجمالية، وقد وجد هذا الفن في الآداب العالمية و" ظل مظهر من مظاهر الأسلوب كما في رسائل " شيشرون" اللاتيني، ورسائل " مدام دو سفينيه"

و" فولتير" لدى الفرنسيين¹

كما عرفه الأدب العربي قديمه وحديثه، وكان له روادا وأربابا، فهو من الفنون الأدبية التي واکبت مختلف العصور الأدبية مما يعطيه ميزة وخاصة الاستمرار.

تعريف الترسل:

أ- لغة: " ترسل: الترسل : القطيع من كل شيء والجمع أرسال. والترسل: الإبل، وأرسلوا إبلهم إلى الماء أرسالا أي قطعاً والترسل إذ قال: ارسل إلي الإبل أرسالا. وجاءوا رسله، رسله أي جماعة جماعة. وراسله مراسلة فهو مراسل ورسيل.

¹ . أنطونيوس ، بطرس، الأدب، تعريفه، أنواعه، مذهبه، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، د، ط، 2006،

قال : والترسل من الرسل في الأمور و المنطق كالتمهّل و التوقّر و التثبّت و جمع الرسالة
الرسائل .

والإرسال: التوجيه ، وقد أرسل إليه و الاسم الرسالة و الرسالة و الرسول و الرسل الأخيرة عن
تغلب و أنشد.

لَقَدْ كَذَبَ الْوَاقُونَ مَا بُحِثُ عِنْدَهُمْ بَلِيْلِي، وَلَا أَرْسَلْتُهُمْ بِرَسِيْلٍ¹

و جاء في أساس البلاغة للزمخشري:

" ر س ل - راسله في كذا و بينهما مكاتبات و مراسلات، و تراسلوا و أرسلته برسالته و برسول
و أرسلت إليه أن أفعل كذا، و أرسل الله في الأمم رسلا، و أرسل الفحل في الإبل، و أرسل كلبه
وصقره على الصيد، و أرسل يده على يده بعد المصافحة و وجهت إليه رسلي أرسالا متتابعة:
رسلا بعد رسلا جماعة بعد جماعة"².

و جاء في القاموس المحيط للفيروز أبادي " " الترسل: محرّكة القطيع من كل شيء جمع:
أرسال: و الإبل أو القطيع منها و من الغنم و بالكسر: الترفق و التودد، كالرسلة و الترسل،

1 . أبو الفضل جمال الدين بن محمد بن مكرم ابن منظور ، لسان العرب، دار صادر ، بيروت
ط1 ، 1992 ، مادة رسل ، ص: 281-283.

2 . الإمام الكبير جار الله، أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، ت، عبد العزيز محمود، دار المعرفة،
بيروت، دط. د.ت، ص162.

والإرسال: التسليط والإطلاق والإهمال والتوجيه والاسم: الرسالة بالكسر والفتح. وتراسلوا:
أرسل بعضهم إلى بعض"¹.

إذن فالترسل وسيلة اتصال بين شخصين أو أكثر .

ب- اصطلاحا:

الترسل نص ثري سهل يوجه إلى انسان مخصوص ويمكن أن يكون فيه الخطاب عاما، فهو صياغة وجدانية حانية مؤنسة " والترسل الذي نعينه ينحصر في المفهوم التقليدي للرسالة القصيرة التي توجه إلى مراسل بعينه لإبلاغه ضربا من الضروب أو لقضاء أي إرب ظرفي آخر بواسطتها، من أمثال التهاني والتعازي والشفاعات والأمر والنهي..."².

فهذا المصطلح يدل على كتابة الرسائل، وهو لون من ألوان التعبير حيث يستخدم في نقل المشاعر للآخرين والطلبات وقد عرفها القلقشندي بقوله: " سميت رسائل من حيث أن الأديب المنشئ لها ربما كتب بها إلى غيره مخبرا فيها بصورة الحال مفتوحة بها تفتح به المكاتبات تم توسع فيها....."³ والملاحظ أن التعريف اللغوي لكلمة الترسل و الذي ورد في المعاجم بمعنى التمهل والترفق له صلة عميقة وقوية بجوهر المعنى الاصطلاحي للترسل ، لأن

¹ . محيي الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج2، تقديم- محمد عبد الرحمان المرعشلي، بيروت، ط1، 1997، ص1330.

² . ينظر، على بن محمد، النثر الأدبي الأندلسي في القرن الخامس، مضامينه وأشكاله، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1990، ص481

³ . أبو إلياس أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج14، وزارة الثقافة والإرشاد القومي المصرية، مصر، دت، دط، ص138.

كتابة الرسائل تتسم بالتمهل والترفق والتروي، والتأني والتهذيب والتنقيح، لما يتوفر فيها لصاحبها من وقت فيكتب ويقرأ ما كتبه دون عجلة.

إذن " فالترسل مصطلح أدبي يقوم على ترجمة ما يدور في العقل من كلام حول مواضيع معينة على شكل رسائل قد تكون رسمية أو إخوانية أو أدبية تصدر من كاتب يحاول أن يبسط من خلالها ما يريد على شكل أفكار متتابعة يترجمها لكلمات يؤلف بينها لتكون جملا وفقرات بأسلوب فيه تودة وسهولة ورفق من المرسل إلى المرسل إليه"¹.

وانطلاقاً من هذه التعاريف يتضح أن الترسل لون من ألوان التعبير الذي يؤدي غرضاً من الأغراض وقد تكون كتابة الرسائل عادة بين شخصين أو أكثر، هدفها التواصل ونقل الأفكار بين الناس.

وتنقسم الرسائل إلى نوعين: الرسائل الإخوانية والرسائل الديوانية " الرسمية فالرسائل الديوانية هي الرسائل المتبادلة التي تتعلق بأعمال الدولة ورسائل التهديد والبشائر والتوقيعات التي يكتبها الخلفاء والوزراء والقواد"²، أما الرسائل الإخوانية فهي " رسائل يعبر فيها الكاتب عن قضايا خاصة وأمور شخصية، أو تتعلق بشأن من شؤونه في علاقاته مع الأهل والأصدقاء ممن قرب مكانه وبعد مزاره"³.

¹ . فيصل حسين طحمير العالي، فن الترسل عند عبد الحميد الكاتب وابن العميد ، رسالة ماجستير باللغة عربية وآدابها كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 1422هـ-2001، ص11.

² . محمود عبد الرحيم صالح، فنون النشر في الأدب العباسي، دار جرير، الأردن، ط2، 2006، ص81

³ . محمد رضوان الداية، في الأدب الأندلسي، دار الفكر، دمشق، ط1، 2000، ص227 .

فهي وسيلة اتصال تقرب البعيد وتطفئ نار المشتاق، أما موضوعاتها فهي متنوعة من تهنئة وتعزية وعتاب وغيرها.

وبما أن لكل جنس أدبي هيكله الخاص به وبناءه الذي يختلف عن باقي الأنواع فإن للترسل بناء خاص به يتمثل في مقدمة يذكر فيها التاريخ واسم المرسل إليه ومقدمة تشمل المضمون وخاتمة تحتوي التوقيع وغالبا ما تحتوي تاريخ كتابة الرسالة ومكان كتابتها إن غفل عن ذكرهما في المقدمة.

أما " وظيفة الرسالة والغرض الأساسي منها فهو الإبلاغ فأنا حين أكتب رسالة إلى شخص ما أيا كان فإنما أكتب إليه لأبلغه بعض ما أريد إبلاغه من أفكار وأخبار وأراء وقضايا، من غير أن يكون لهذا الإبلاغ حدود يقف عندها"¹، فهي تركز على الإيصال والتبليغ والإنباء والإخبار، قصد تقريب المسافات وهدم جدران العزلة والنفى.

ج . الجذور و النشأة :

إن أدب الرسائل ذو قيمة كبيرة كونه نصوصا أدبية ثرية إبداعية تكشف طبيعة أساليب العصر في التصوير والتعبير، فهي مرآة للنفس البشرية وطاقتها الإبداعية، " فالرسائل إذن في أي عصر من العصور تظهر لنا ما وراء النظريات والناس وتكشف لنا عن التموجات الواسعة والاضطرابات الخفية في المجتمع وهذه القيمة الكشفية من أبرز ما يتسم به، أدب الترسل"² فهي وسيلة إبلاغ وتصوير للحياة والمجتمع وأيضا هي وسيلة امتاع في الوقت نفسه، فهو

1 . محمود مقداد، تاريخ الترسل النثري عند العرب في الجاهلية ، دار الفكر ، دمشق، ط1993، 1، ص121 .

2 . محمود المقداد ، تاريخ الترسل النثري عند العرب في الجاهلية ، ص169.

يوصف " بصفات منها الصناعة أو الفن ويعتبرونه ممارسة لها استقلاليتها وتميزها من الممارسات الأدبية الأخرى...¹ بالإضافة إلى أنه يكشف الخبايا والأسرار في مختلف الشؤون كونه أداة اتصال ووصال دائم . و المعروف أن فن الترسل عرفه أدبنا العربي منذ العصر الجاهلي، فقد احتفظت لنا كتب الأدب مجموعة من الرسائل رغم قلتها إلا أنها تبقى عنوان عصر مضى لتلك البنية ورمز للحياة العقلية آنذاك.

ومع بزوغ شمس الإسلام ظهر هذا اللون الأدبي والذي تمثله رسائل رسول الله صلى الله عليه وسلم للملوك والأمراء المجاورين لشبه الجزيرة العربية: " فأدب الترسل إنما بدأ فعلا مع بداية الهجرة النبوية إلى المدينة ومنذ ذلك التاريخ أخذ أدب الترسل يزدهر ازدهار متعاضما لا نظير له في أي نوع أدبي نثري آخر"² فعرفت الكتابة الترسلية انقلابا نوعيا قياسيا على ما كان منها في العصر الجاهلي.

وبعد أن اتسعت رقعة الخلافة العربية الإسلامية نشط هذا الفن في العصر الأموي على يد كوكبة من الكتاب أمثال عبد الحميد الكاتب الذي تربع على مملكة فن الترسل فقد كان " صاحب الرسائل والبلاغات وهو أول من أطال الرسائل واستعمل التحميدات في فصول الكتب فاستعمل الناس ذلك بعده"³

1 . آمنة الدهري، الترسل الأدبي بالمغرب، النص والخطاب، مطبعة النجاح المحمدية، الدار البيضاء، دط، 2003، ص32

2 . محمود المقداد، تاريخ الترسل النثري عند العرب في صدر الإسلام دار الفكر، دمشق، ط1993، ص72.

3 . أنيس المقدسي، تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت، ط07، 1998، ص148.

لقد كان عبد الحميد يملك لغة خاصة يصرفها في أداء معانيها كما يشاء، كما كان يملك أسلوبا خاصا ينظمه تنظيما تصويريا وموسيقيا بديعيا مما جعله رائدا في كتابة الرسائل ونموذجا يُحتذى به على مر الأجيال.

وبمجيء العصر العباسي ظهر فن الترسل أكثر رونقا وانتقلت الزخرفة من المباني والألبسة والأواني إلى فن الكتابة فأصبح كل كاتب يجتهد في أن يكون أسلوبه مؤثرا متماسكا في صيغته ومحتواه بحيث تبرز فيه شخصية الكاتب وأصالته وطريقته الخاصة في الإنشاء والتعبير، وقد اشتهر في هذا العصر ابن المقفع، والصّاحب بن عباد وابن العميد فقد كان هذا الأخير " إماما لكتّاب القرن الرابع... يمتاز بجودة عجيبة هي إعزاز القلم ورفعته إلى أشرف الدرجات، فإننا حين نقرأ نثره نجد أنفسنا أمام عظمة عقلية يختر لها الجبارة ساجدينا"¹. فرسائل ابن العميد كأكثر نثره قوية ومحكمة تدل على صاحبها وتذكر بأدبه البارِع وإطلاعه على ما أنشأ الأقدمون من أفانين البيان.

ويطالعنا العصر الحديث فتصاحبنا إلى بلاد المهجر رسائل جبران خليل جبران ومي زيادة وغيرهما، أين تخلص فن الترسل من قيود السجع والبديع والركاكة وشهد تطورا ملحوظا، وأصبح وعاء رحيبا يسع الموضوعات الكثيرة والمتشعبة، واتسعت دائرة الكتابة في هذا العصر

1 - زكي مبارك، النثر الفني في القرن الرابع هجري، ج2، المكتبة العصرية بيروت، 2006، دط ، ص245.

" وصارت تشمل الرسائل التي يتبادلها الأدباء : إطفاء غليل الشوق أو تهنئة بحال سارة أو حظ مقبل أو نجاح تحقق أو ما يشبه ذلك"¹ ، وأصبح لهذا الفن روادا وكتابا آنذاك.

وقد اتسمت كتابة الرسائل بخصائص معينة منها الملائمة بين الموضوع والأسلوب والعناية بالصياغة البديعية بهدف إحداث المتعة الأدبية.

والأدب الجزائري كغيره من الآداب الأخرى شمل على هذا النوع من الفنون الأدبية في قديمه وحديثه.

فقد كان فن الترسل موضوع اهتمام الحكام في العهد الرستمي والعصور التي تلتها وصولا إلى الدولة التركية، وفي كل عصر من هذه العصور شهد فن الترسل قفزة نوعية وكمية، ولم تخمد الحركة الأدبية فقد واكب كل عهد فطاحل من الأدباء وشهد المجتمع تطورا ملحوظا ، " وجملة القول أن فن الترسل خطا سبيل الكمال بفضل الدين والفتوح فانتقل من السجعات القصيرة المفككة والمعاني العامة المجللة إلى الأسلوب المحكم المطرد المختلف الغرض، العميق الأكثر رسائل الإمام أفلح..."²

لقد تفاعل فن الترسل بالأحداث التي مرت بها الجزائر في القديم وأصبح هذا الفن متصلا وملتصقا بأحداث تاريخية وثقافية التصاقا واتصالا عميقين.

1 . ابراهيم أبو خشب، تاريخ الأدب العربي في العصر الحاضر، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر 1992 ، ط2، ص158

2 . ينظر، شميسة بن مداح، الحركة الأدبية في الجزائر من القرن 2هـ إلى نهاية القرن 5هـ، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير ، الأدب المغربي القديم، تلمسان 2004 ، ص15.

ويعد عام 1830م نقطة تحول في تاريخ الجزائر عامة ليس على المستوى السياسي أين غرس الاستعمار الفرنسي أنيابه بل كان ذلك على مستوى الثقافي أين ظهر الأمير عبد القادر يقود الكفاح المسلح من جهة ويربط الخيط بين ماضي الجزائر الثقافي وحاضرها من جهة ثانية.

فقد استطاع الأمير عبد القادر، أن يبقى على فن الرسالة كموروث أدبي قديم وفي ذات الوقت يصوغ هذه الرسالة بأسلوب مخالف لأساليب القدامى ويظهر ذلك جليا في رسائله إلى حكام فرنسا واسبانيا، فرغم أنها في ظاهرها رسائل اخوانية تحمل آيات الود والصدقة إلا أنها تنطوي على أغراض سياسية بحتة، ورغم ذلك فقد خلص هذا الفن من ربة السجع والبديع.

وقد واكب هذه الفترة ظهور أدباء كان لهم الاهتمام الكبير بفن الترسل كالقاضي الأديب الشاذلي القسنطيني، وابن أبي شنب وغيرهم.

لقد واكب فن الترسل كل الأحداث التي مرت بها الجزائر ووجدت أشنتا من الرسائل، فهو فن وجداني خالص " وأروع ما يكون حين يتناول رثاء عزيز راحل، أو مناجاة حبيب عائد، أو نداء صديق غائب، وأمثال هذه المواقف التي تعمل فيها العاطفة الإنسانية عملها، وتتوفر فيها المشاعر والأحاسيس، وتتلاقى القلوب والأرواح"¹.


¹ . ينظر، محمد محمود حمدان، من رسائل العقاد، الدار المصرية اللبنانية، مصر، ط1، 1997، ص13.

لقد أسهم فن الترسل في المحافظة على صياغة البيان العربي، والحفاظ على اللغة العربية من التلاشي والجمود وكتب لها الخلود في العقول والقلوب " لأن الظلم وإن كان لا ينطق فإنه يسمع أهل المشرق وأهل المغرب، فما جمعت العلوم ولا تبدلت الحكمة ولا ضبطت أخبار الأولين ومقالاتهم ولا كتب الله المنزلة إلا بالكتابة"¹، وفن الترسل فن كتابي ينقل الأخبار، ويذهب في المواضيع كل مذهب، وكل الآداب حافلة بنتاج فخم من الرسائل في أنماطها المتعددة وعصورها المختلفة فقد ظهر هذا الفن إبان الحركة الإصلاحية في الجزائر بقيادة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي استطاعت أن تعيد لهذا الفن أصالته ورونقه بفضل رجال هم من " أعظم أعلام التاريخ في العلم والفن والحرب والسياسة يفرغون قلوبهم في الودائع الأدبية لم يقدر لها أو لأكثرها أن تصل لأيدي القراء يسرّون فيها أحيانا بغير ما يعلنون من الوسوس والآراء " ² لقد ظهرت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بعلمائها ومفكرها الذين أثروا الأدب الجزائري وأعادوا لفن الترسل بهاءه خاصة بتلك الموضوعات التي شغلت رجال الحركة الإصلاحية وخاصة تلك التي تدعوا إلى النهوض و إلى محاربة الجهل والأمية وإعادة للدين الإسلامي مكانته وإلى اللغة العربية نصاعتها وذلك عن طريق الاهتمام بنشر التعليم وإصلاح المجتمع الذي كان يئن تحت وطأة الاستعمار الفرنسي والظروف القاسية التي خلفها.


1 . محمد السيد محمد على الوزير، الأمير عبد القادر الجزائري ثقافته وأثرها في أدبه، المؤسسة الوطنية، الجزائر، دط،

1986، ص219

2 . محمد حمدان محمود، من رسائل العقاد ، ص10.



الباب الأول: الوضع العام في الجزائر
أيام الإحتلال



الفصل الأول: أوضاع المجتمع الجزائري
عشية تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

المبحث الأول: الأوضاع السياسية و الإجتماعية و الثقافية

أولا : الوضع السياسي :

لقد عانى الأدب الجزائري أزمة وانحلالا منذ أن احتلت فرنسا الجزائر ،فقد زحفت مع جيوشها جنود الجهل وظلمة الفقر الذهني والمادي وتحالفت الجهالة والعزلة وخمود روح الإبداع عند المثقف الجزائري والصلة أقوى ماتكون بين الحياة العقلية والقومية وبين الفن والأدب ومن ثمّ فقد أصيب الأدب الجزائري بالركود وذلك نظرا لسياسة فرنسا بالجزائر.

فقد ظهر قانون 3 فبراير 1912 والذي فرض فيه التجنيد "وتأتي أهمية التجنيد الإجمالي في أنه يفرض على الجزائريين التجنيد الإجمالي القيام بواجبات المواطن الفرنسي دون التمتع بالحقوق التي يكفلها القانون للمواطنين"¹

وقد جاء قانون 1912 بأمر جديد وهو أنه "جعل من حق الجزائريين المطالبة بالجنسية الفرنسية إذا استوفى بعض الشروط الخاصة بالعمر والدراسة ، والولاء لفرنسا والخدمة العسكرية بالإضافة إلى شرط التنازل عن قانون الأحوال الشخصية الإسلامي ،مع العلم أنه أضيف إلى هؤلاء التجار حاملو الرخص وحاملو الشهادات العلمية الفرنسية والموظفون المدنيون وملاك الأراضي"².

ورغم أن هذا القانون أدى إلى زيادة الناخبين الجزائريين إلا أنهم لم يستطيعوا الحصول على عضوية أكثر في المجالس المحلية زد على ذلك تطوعهم إلى التحرر خاصة بعد مؤتمر فرساي الذي تعلق به الشعوب في تقرير مصيرها خاصة وأن من بين بنوده 14 التي دعا إليها الرئيس "ولسن" حق

1-مازن صلاح حامد مطبقاتي ،جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية 1931.1939،

مؤسسة عالم الأفكار،الجزائر ،2011 ،دط،ص32 ،33.

2-المرجع نفسه ، ص32.

الشعوب في تقرير المصير .وقد كان من ايجابيات قانون 1919 ظهور حركة الأمير خالد وذلك من خلال "ردوده على مراسلات الغزاة ومفاوضاته معهم ،وماأبداه أثناء ذلك من وفاء للمبادئ وصلابته في المواقف واستجابة في الدفاع عن حقوق الوطن"¹.

لقد طالب الأمير خالد من فرنسا إعطاء الجزائريين جميع الحقوق وإصلاح أحوالهم الاجتماعية "كما تضمنت دعوة الأمير خالد فضح حقيقة الإستعمار وأهدافه في الجزائر... فقد أشارت جريدة الإقدام إلى ذلك بقولها :ولما كانت مسألة الإستعمار جنسية ودينية ولم يتأت لفرنسا أن تعمر القطر الجزائري بأولاد صلبها مالت إلى أبناء ملتها من الأرباويين فمناحتهم امتيازات وفتحت لهم باب التجنيس وجعلتهم أبناء صلبها فلا غرابة في مثل هذه السياسة لأنها مطابقة للبرنامج المخطط له منذ قرون عديدة"².

ورغم أن الأمير خالد قد نفي سنة **1923** إلا أنه واصل نشاطه السياسي والذي "كان له أثره في قيام مجموعة من الطلبة والعمال من مواطني شمال إفريقيا في باريس بتأسيس حزب نجم شمال إفريقيا عام **1926** للمطالبة بالحقوق السياسية لمواطنيهم وقد اختير الأمير خالد رغم وجوده بالشام رئيسا شرفيا له"³، لقد نما الوعي السياسي لدى الجماهير وأصبح الإنسان الجزائري يتطلع إلى ذلك اليوم الذي يصبح فيه حرا ،فقد أصبحت نوايا فرنسا واضحة للعيان وأصبحت مخططاتها مكشوفة ولم يعد من الصعب إدراك الحقيقة فظهور الأمير خالد "وهو يجهر بالحق المغتصب ويدعو الشعب إلى جمع الشمل للمطالبة به ،فكان لعمله هذا الذي يقوم على نهج جده ،فيمزج ما بين الدين والوطنية ،أن أيقظ الشعور الوطني وأحيا الأمل في النفوس ودفعها على طريق الجهاد والتحرر، فكان بحق النواة الأولى للحركة الوطنية الحديثة

¹ محمد بن يسمينة، النهضة الأدبية في الجزائر مؤثراتها . بدايتها . مراحلها - ،مطبعة الكاهنة، الجزائر، 2003، ص 21.

² -مازن صلاح حامد مطبقاتي، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و دورها في الحركة الوطنية 1931 1939 ص38.

³ المرجع نفسه، ص38 .

"¹ ولم يسلم الأمير خالد من الاضطهاد الفرنسي هذا الذي يخاف من كل صوت يجهر بالحق فقامت بنفي الأمير إلى الشام.

ورغم ذلك فالأصوات لم تُحصر فقد ظهرت جماعة من الجزائريين أطلق عليها النخبة "وهم فئة جمعت بين الثقافتين الفرنسية والعربية وهم عادة الأطباء والمحامون والصحفيون والمعلمون والقضاة والمترجمون ورغم أن مطالبهم كانت تتلخص في الاندماج في فرنسا إلا أنهم نادوا بمجموعة من الإصلاحات"².

بالإضافة إلى ذلك ظهرت على الساحة الوطنية مجموعة من الأحزاب التي تبنت الحس الوطني وإن كانت في الحقيقة استمرار لحركة الأمير خالد كجمعية "نجم شمال إفريقيا" فقد تم تأسيس هذا الحزب في باريس، ولكن بمشاركة الأمير خالد وتوجيهه، حيث نجده يلقي محاضرة سياسية خلال سنة أربع وعشرين بالعاصمة الفرنسية، يحضرها عدد ضخم من مهاجري المغرب العربي. وما كاد الأمير ينتهي من محاضراته حتى خرج الجمهور يهتف بحياة إفريقية الشمالية"². وناضل هذا الحزب من أجل الحرية و الاستقلال لكنه كغيره من الأحزاب السياسية التي عملت فرنسا على حلها حل هذا الحزب وتأسس على أنقاضه "حزب الشعب الجزائري" بزعامة مصالي الحاج الذي واصل النضال السياسي .

ثانيا: الوضع الاجتماعي:

لا يخفى على عاقل أنه أينما حلّ الاستعمار حلّت المعاناة والألم والاستبداد ، والاستعمار الفرنسي كان استيطانيا فقد حرص على الاستيلاء على الأراضي ومصادرتها وتسليمها إلى الوافدين من فرنسا وغيرها من الدول لاستغلالها فحولوا الكثير من الأراضي الخصبة من

1. محمد بن سميعة، النهضة الأدبية الحديثة مؤثراتها. بدايتها مراحلها، ص 22.

2. مازن صلاح حامد مطبقاتي، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و دورها في الحركة الوطنية 1931 1939 ص38.

المزروعات الغذائية التي يحتاجها الجزائري إلى زراعة الكروم المنتجة للخمور لتزويد فرنسا بها "كما أنّ من الأسباب التي أدت إلى انخفاض الملكية الزراعية فرض الضرائب الفاحشة التي اضطرت الفلاحين الجزائريين إلى بيع أراضيهم لمواجهة متطلبات الحياة الضرورية"¹ ومع ضيق الحال و العيش الضنك في الأرياف التي أصبحت تفتقر إلى أدنى شروط الحياة مما جعل الجزائريين يهاجرون جماعات ويتركون أراضيهم فاستولى عليها الفرنسيون "وما بقي من أراضي في أيدي المسلمين فبالإضافة إلى أنّها كانت أقل خصبا من أراضي المستوطنين فإنّ جهل الجزائريين وفقيرهم لم يمكنهم من الاستفادة منها الاستفادة الصحيحة كما أنّ المستوطنين تمتعوا بالقروض الفلاحية التي حرم منها أبناء البلاد"² وقد سمح هذا للمعمرين باستغلال خيرات البلاد وتسويقها إلى فرنسا، أما في الجانب الصناعي فإنّ الاستعمار حرص على إنشاء المصانع في أماكن تواجد المعمرين لينتفعوا بها وحتى الصناعات فقد "اقتصرت على الصناعات الخفيفة للاستهلاك المحليّ مثل تصنيع الأغذية وبعض الصناعات الآلية والكهربائية والمنسوجات والجلود"³.

أما في مجال التجارة فقد عملت فرنسا على ربط تجارة الجزائر بفرنسا فأغلب التبادل التجاري من صادرات وواردات لا يتم إلا معها "فكانت الجزائر تصدر الخمر لتستورد مقابلها ما يحتاجه وما لا يحتاجه القطر الجزائري مما تنتجه معامل ومصانع فرنسا"⁴.

إنّ الوضع الإقتصادي المتردي للشعب الجزائري أثر بصورة كبيرة على الحياة الإجتماعية فقد تفتشت البطالة بشكل رهيب وهو الأمر الذي وصفته جريدة النجاح بقولها "وإذا مررت بأنهمنا وحوماتنا ومقاهينا تجرد السواد الأكبر بالليل والقال والعكوف على الميسر بالمقاهي"¹

1. مازن صلاح حامد، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية 1931 1939، ص41.

2. المرجع نفسه، ص42.

3. المرجع نفسه، ص43.

4. المرجع نفسه، ص43.

ويتابع كاتب المقال قوله "البطالة في الأمة فاشية جدا فنحن نرجو من الحكومة أن تلتفت
أنظارها إلى مسألة البطالة وفشوها بين الأهالي بصفة أوجبت شقاوتهم"²

فتفشي البطالة في المجتمع الجزائري أمر محتوم خاصة بعد أن استولى المعمرين على سدة
الحكم وأضحت المناصب من نصيب المستوطنين والفرنسيين و"بالإضافة إلى مختلف أنواع
المشكلات الاجتماعية المختلفة فإنّ الجزائريين عانوا من تفشي الأوبئة والأمراض وذلك
بسبب تكديس السكان في مناطق ضيقة سيئة التخطيط تكثرت فيها القاذورات التي تسبب
الأمراض"³ هذا زيادة على ما أفرزه الوضع الاقتصادي من مشكلات كمشكل السكن
وغيرها، لأنّ "سياسة الإستيطان الفرنسي في الجزائر قد ساعدت على تعمير المناطق الحيوية
في البلاد بالعناصر الأوربية ذات المصالح الاقتصادية الخالصة"⁴

وأصبحت غالبية الشعب الجزائري مضطهدة ومحرومة ومهملة إجتماعيا.

)

1 . عبد الحفيظ الهاشمي، مقال بعنوان : كثرة الازدحام على المقاهي دليل فشو البطالة، صحيفة
النجاح، العدد 75 26 يناير 1930.

2 . المرجع نفسه الحفيظ الهاشمي، ص 2 .

3 . توفيق المدني، كتاب الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1984، ص 3.116.

4 . عبد الكريم بوالصفصاف، الفكر العربي المعاصر محمد عبده وعبد الحميد بن باديس نموذجاً، دار الهدى، الجزائر،
ج1، ص 102.

ثالثا: الوضع الثقافي:

إنّ الوضع الثقافي لا ينفصل عن الوضع السياسي و الوضع الاجتماعي وإنما يتفاعل معهما ويرتبط بهما، وعلاقة الثقافة بالسياسة علاقة قوية "فكما تتأثر الحياة السياسية بآراء المثقفين وأفكارهم عن الأوضاع أو المشاكل الاجتماعية فإنّ السياسة تُؤثر في الحياة الثقافية وتحيء الأوضاع المؤدية إلى ازدهارها ونموها أو تضطهدها وتدفعها إلى الجمود والضعف"¹ فمذ أن وطقت قدم هذا الإستعمار الغاشم أرض الجزائر عمل على هدم ومحو الشخصية العربية الجزائرية المسلمة، ولم تدخر فرنسا جهدا لتحقيق هذه الغاية "فالأهداف التي كانت ترمي إلى تحقيقها من وراء تلك السياسة بصورة رئيسية محو الشخصية الجزائرية من الوجود عن طريق محو مقوماتها الأساسية وهي الإسلام والعروبة والوطنية الجزائرية تمهيدا لذوبان الجزائر الكامل في فرنسا وسلخها نهائيا من جسم العروبة والإسلام"².

ومن أجل تحقيق هذه السياسة الاستعمارية وتجسيدها على أرض الواقع عملت فرنسا أول ما عملت على نشر الجهل في الأوساط الشعبية وذلك بنشر المدارس الفرنسية وتعميم التعليم باللغة الفرنسية فقط و"استطاعت فرنسا أن تفرض عزلة شاملة على الجزائر وأصبحت هذه الأخيرة محاصرة داخل دائرة الاستعمار تقاذفها نيرانه وسط موجة من الفقر والجهل والامية بشكل فضيع"³.

¹ . أحمد شرفي الرفاعي، الشعر الوطني الجزائري من 1925 – 1954، دار الهدى، الجزائر، 2010، دط، ص

² . رابح تركي، التعليم القومي والشخصية القومية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975، ص 104.

³ . مازن صلاح حامد مطبقاتي، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية 1931 1939، ص

لقد كانت فرنسا ترى أفضل وسيلة للقضاء على هذا الشعب وجعله أكثر ولاء وإخلاصا لها هي القضاء على عصب الحياة في الأمة ومعنى الوجود وعنوان الهوية وهو: اللغة- و الإسلام - والوطنية، لذلك سارعت فرنسا لهدم هذه المقومات الثلاثة في الجزائر.

"فقد أمر الجنرال كلوزيل بتهديم محلات تدعى القيصيرية كانت تباع الكتب التي هي أدوات الحضارة والتي تنير طريق الإنسان المثقف ..."¹ إن هذا السلوك يدل على أن هذا الجنرال بدل أن يعمل على تزويدنا بنور العلم والحضارة، كان ينوي إغراقنا في الظلمات والجهل فكما سلك الاستعمار الفرنسي سياسة الاضطهاد في المجال السياسي والاجتماعي انتهج نفس النهج في المجال الثقافي وذلك بمحاربة أول مقوم من مقومات الثقافة.

أ. اللغة العربية:

عملت فرنسا على أن تقطع صلة الجزائر بماضيها الحضاري وبلغتها العربية وتربط لها جسرا آخر نحو اللغة الفرنسية فينشأ جيل غريب عن أصله ولغته مبتور الصلات بماضيه الحضاري فيصبح أكثر انقيادا ويسهل عليها جعله تابعا لها في كل شيء "وكان الهدف منها هو محاولة صبغ البلاد بصبغة فرنسية خالصة في كل صغيرة وكبيرة حتى تنقطع جميع الروابط التي تربط الجزائر ماضيا وحاضرا ومستقبلا بثقافتها ولغتها القومية"².

لقد كانت فرنسا تدرك ما للغة من أهمية في حياة الشعوب فهي عنوان للحضارة والرفي والازدهار وعندما تجرد شعبا ما من لغته فإنك ترمي به في غياهب العدم لذلك عمدت فرنسا للتعليم وأحكمت قبضتها عليه وفتحت المدارس لكن هذا "التعليم في هذه المدارس لم يكن

¹ . خيثر عبد النور، منطلقات وأسس الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954، منشورات المركز الوطني . للدراسات

والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، دط، د.ت، ص 62.

. رايح تركي، التعليم القومي والشخصية الوطنية، ص 2.105

قوميا ولا وطنيا ولا دينيا إسلاميا بل إنهم كانوا يدرسون تاريخ الغالبين وعظماء الفرنسيين"¹، فخطة فرنسا للقضاء علي اللغة العربية والنيل منها كانت واضحة فحتى الزوايا التي كان يدرس فيها القرآن وبعض المعارف في اللغة العربية أصبحت خاضعة لتنفيذ الفرنسي بعد ما كانت "الكتاتيب وكانت المساجد والزوايا تقوم بمهمتها في تعليم الأمة وتنشئتها النشأة العربية الدينية الصالحة"².

وهكذا أصبحت اللغة العربية أسيرة داخل قضبان فرنسية واكتسحت اللغة الفرنسية كل المجالات الحيوية فمند "أن وطأ الفرنسيون الأرض الجزائرية أخذوا يخربون القيم الروحية، فصدوا الشعب الجزائري عن الثقافة العربية بجعل حواجز بينه وبين إخوانه العرب شرقا وغربا، وفرضوا ثقافتهم حتى يقتلوا اللغة العربية لما فيها من خطر على بقائهم في الجزائر لأهمية اللغة بين مقومات القومية."³

وأصبحت اللغة الفرنسية هي اللغة الرسمية في البلاد تسيير بها كل أمور الدولة والمهيمنة في كل الأجهزة سواء حكومية أو شعبية فهي اللغة الأولى في البلاد كما جاء في تقرير رسمي سنة 1849 والذي يقول "لا ننسى أنّ لغتنا هي اللغة الحاكمة... وهذه اللغة يجب أن تصدر - بأعظم ما يمكن من السرعة - جميع البلاغات الرسمية وبها يجب أن تكتب جميع العقود وليس لنا أن نتنازل عن حقوق لغتنا فإنّ أهم الأمور التي يجب أن يعتنى بها قبل كل شيء، هو السعي وراء جعل اللغة الفرنسية دارجة وعامة بين الجزائريين الذين عقدنا العزم على إستمالتهم إلينا وتمثيلهم بنا وإدماجهم فينا وجعلهم فرنسيين"⁴.

¹ . بوالصفاصاف عبد الكريم، جمعية العلماء الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931. 1945، دار

البعث، الجزائر، ط1، 1981، ص 42.

. أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، د ط، د ت، ص 139.

. محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007، ص 278.

. عبد الرحمان البزار، هذه هي قوميتنا، دار القلم، القاهرة، 1964، ط2، ص 118.

إنّ مخطط فرنسا كان واضحاً فقد كانت تهدف إلى طمس معالم الشخصية الجزائرية العربية المسلمة وكان ضرب اللغة العربية في عقر دارها أشدّة وطأة من كل الوسائل الأخرى فأنّ تسلب من شعب ما لغته فإنك بذلك تسلب منه مفتاح تحرره لذلك "اعتبر الفرنسيون اللغة العربية لغة أجنبية والفرنسية هي اللغة الرسمية.

وكان ذلك موقفاً واضحاً من الدين الإسلامي أيضاً لأن اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم ولغة الحضارة التي كتب بها تراث الدولة الإسلامية. ومن جهة أخرى كان موقفاً سياسياً واضحاً أيضاً، لأن العربية كانت هي لغة البلاد الإدارية والقضائية والتعليمية.¹ ومن أجل ذلك لم تدخر فرنسا جهداً لمحاربة اللغة العربية ومحاربة كل مثقف يعمل على نشر هذه اللغة في الأوساط الجزائرية مما أجبر بعض المثقفين إلى النزوح إلى الأرياف بعيداً عن تجبر فرنسا وطغيانها والبعض الآخر قامت فرنسا بطرده بعيداً في الصحراء.

"ولعلّ أول نخبة جزائرية مثقفة طردها الاستعمار كانت سنة 1833 عندما قامت سلطات الاحتلال بنفي كلاً من حمدان بن عثمان خوجة وأحمد بوضربة وغيرهما من المثقفين الذين قضوا بقية حياتهم في المنفى"².

وبرزت خطة فرنسا في القضاء على الشخصية الجزائرية من الزاوية الثقافية وذلك من خلال تحويل معظم معاهد التعليم إلى ثكنات للجيش الفرنسي أو إلى معاهد لتدريس اللغة الفرنسية أو مراكز تبشيرية واحلال الثقافة الفرنسية مكان الثقافة العربية في جميع مراحل التعليم بالإضافة إلى هدم بعض المدارس أو بيعها أو إعطائها لمصالح أخرى "فمدرسة الجامع الكبير حولها الفرنسيون إلى حمام فرنسي إذ منحتها السلطات إلى أحد المستفيدين الأوربيين ترغيباً له

¹· أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائري الثقافي ج 8 1830 1954، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1998، ص 13.

²· أبو الصفصاف عبد الكريم، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية 1931 1945، ص 43.

في البقاء والاستيطان"¹ ، إنّ تهديم هذه المدارس وتحويلها إلى مؤسسات بعيدة عن العلم والمعرفة وإفراغها من محتواها الثقافي عمل بعيد عن معنى الحضارة والرقي الذي كانت تدعيه فرنسا، فعزل الشعب بعيدا عن ثقافته حدث بالغ الأهمية ينجم عنه مخاطر فقدان الذات الجزائرية لهويتها ولاستقلالها "فاللغة تسير جنبا إلى جنب مع الاستقلال".²

ب - الدين الإسلامي:

لم تكن اللغة العربية وحدها محور حرب فرنسا ضد الجزائر فقد عمدت فرنسا إلى محاربة الدين الإسلامي وتشويهه لأنه كان سببا في احتفاظ الجزائري بلغته العربية التي عمل الاستعمار على وأدها وذلك " لأنّ الإسلام ظل حصن اللغة العربية في قلوب الجزائريين يمارسون به شعائر صلاتهم ويتعلمون عن طريقه لغتهم".³

هذا ما جعل فرنسا تتخذ من الدين الإسلامي هدفا لحرمانها فألصقت به البدع والخرافات وجعلت من رجال الدين أتباعا لها " ولم يبق رجل دين يتردد على المساجد والمدارس معلما ومرشدا إلاّ إذا كان خاضعا لأوامر الإدارة الفرنسية فإنّه يمارس وظيفته مقتصرًا على تعليم الطقوس".⁴

و عمل المستعمر على تحويل معظم المساجد إلى كنائس وإسطبلات وثكنات ومخازن، بالإضافة إلى الحط من قيمة العلماء والفقهاء " ويؤكد ذلك ما قاله أحد كبار موظفي الولاية العامة وهاك نصه: لقد وصل بنا إمتهان واحتقار الدين الإسلامي إلى درجة أننا أصبحنا لا

¹ . أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج 1 ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر ، ط3، 1983 ص 85.

. محمد يحيى الدين سالم، ابن باديس فارس الإصلاح والتنوير، دار الشروق، ط 1 1999 ،ص 25.²

. المرجع نفسه، ص 26.³

⁴ .بوالصفاصاف عبد الكريم ، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية 1931 1945 ،ص

نسمح بتسمية المفتي أو الإمام إلاّ من بين الذين اجتازوا سائر درجات التجسس ولا يمكن لموظف ديني أن ينال أي رقي إلاّ إذا أظهر للإدارة الفرنسية إخلاصاً منقطع النظير¹.

سعت فرنسا إلى نشر المسيحية بين الجزائريين مستخدمة كلّ الوسائل التي تسهل لها الطريق للوصول إلى غايتها وغرس برائين الإلحاد ومحاوله قطع الصلة بين الجزائري ودينه فقد "مضت حركة التبشير قدما مستندة إلى دعم الحكومة الفرنسية لها ومثال ذلك جهود الكاردينال لافيغري في بث مرسلية الملقبين بالمرسلين البيض والتقطوا من أطفال الفقراء المسلمين وأيتامهم ونشأوهم في المدارس الدينية"²، و عمدت فرنسا إلى تحطيم الزوايا وهدمها وتحويلها إلى مصالح أخرى، وكانت الزاوية لها دلالات ولها أغراض أخرى غير تقديم الدروس إذ كانت مأوى الغرباء والعجزة فحاولت فرنسا أن تحطم هذه النواة وتسلمها إلى مصالح أخرى "كزاوية الشبارلية التي أعطيت للدرك سنة 1830، وزاوية شختون التي تحولت إلى ثكنة ثمّ مستشفى عسكري"³، إنّ فرنسا بعملها هذا كانت تريد أن تنزع ثوب الإسلام عن الجزائريين وتلبسهم ثوب المسيحية ليصبحوا يحملون عقيدة المحتل ويؤمنون بما يؤمن، لأنّ هذا الغزو كان صليبياً يهدف إلى نشر المسيحية وهذا ما أكده بورمون قائد الحملة الفرنسية التي دخلت الجزائر في 5 جويلية 1830 في إحتفال لفرنسا بغزو الجزائر بقوله "مولاي لقد فتحت بهذا العمل باباً للمسيحية على شاطئ إفريقيا"⁴.

وفرنسا أعادت تأكيد هذه السياسة في عدة مناسبات ومنها مثلاً في إحتفالها بمرور مائة سنة على إحتلال الجزائر أين صرّح أحد المعمرين الفرنسيين سنة 1930 قائلاً "إنّ إحتفالنا اليوم ليس إحتفالاً بمرور مائة سنة على إحتلالنا للجزائر ولكنه إحتفال بتشييع جنازة الإسلام

1. محمد يحيى الدين سالم، ابن باديس فارس التنوير و الإصلاح، ص 23.

2. مازن صلاح حامد مطبقاتي، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية 1931-1939، ص 53.

3. أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية ج 1، ص 85.

4. أحمد نبيل بلاسي، الاتجاه العربي والإسلامي ودوره في تحرير الجزائر، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، دط، 1990،

فيها"¹ لقد كان القضاء على الدين الإسلامي محور حملة فرنسا على الجزائر وإحتلالها ونشر تعاليم المسيحية المضطهدة في إفريقيا على حد تعبيرهم "فمن الأسباب التي دعت فرنسا إلى الغزو هو دعواها إنقاذ المسيحية و المسيحيين من أيدي القراصنة الجزائريين... ففرنسا كانت تعتبر نفسها حامية الكنيسة الكاثوليكية وترى في إحتلال الجزائر عملا هاما أسدت به إلى العالم المسيحي وشعوب البحر الأبيض المتوسط خدمة كبيرة".²

إنّ موقف فرنسا كان واضحا من الإسلام فهو في نظرها عقبة كبيرة في طريق زحف المسيحية إلى نفوس وأفئدة الجزائريين، فالإنسان الجزائري كان يؤدي واجباته الدينية من صلاة وأذكار وغيرها باللغة العربية وهذا في حد ذاته تحدي كبير لفرنسا التي حاولت أن تقضي على هذه اللغة ومن جهة أخرى فإنّ تعاليم الدين الإسلامي والتي تدعو إلى العمل وشحذ الإرادة في الحياة الحرة المستقلة كانت عقبة كؤود في طريق برنامج فرنسا الوحشي الخبيث ، لذلك عمدت فرنسا إلى هدم قلعة الجزائر الحصينة- الإسلام - وذلك عن طريق نشر الخرافات وتشجيعها في الأوساط الشعبية واستعملت في ذلك أصنافا من الدجالين والمشعوذين و بعض مشايخ الطرق الصوفية الذين حولوا رسالتهم من إرشاد الناس وتوجيههم إلى مهنة تجارية وتحولوا إلى موظفين لدى الإدارة الفرنسية ، كما عمدت فرنسا إلى نشر برائين الإلحاد في الأوساط الشبابية وذلك عن طريق المدارس التبشيرية "وكانت موجة الإلحاد التي يقودها الإستعمار ويشن حربا بمهارة وفن تتعاون مع تحريف رجال الدين"³ ، و عمدت إلى غلق الزوايا بحجة أنّها محرضة على الثورة، ونفي رجال الدين ، كما "استمرت فرنسا في السيطرة على المؤسسات الدينية ففي عام 1933 عينت ميشال السكرتير التنفيذي للحاكم العام رئيسا للجمعية الدينية الإسلامية التي كانت مسؤولة عن إختيار الأئمة والمفتي - جمع مفتي - وكان هؤلاء لا

1. رابح تركي، التعليم القومي والشخصية الوطنية، ص 108.

2- خديجة بقطاش، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830 1871، منشورات دحلب، الجزائر، 2007، دط، ص

3. الفضيل الورتلاني، الجزائر الثائرة، دار الهدى، الجزائر، 2007، دط، ص 113.

يتم اختيارهم لمؤهلاتهم ولكن ممن تتوقع فرنسا منهم ميولا نحو الإدارة الفرنسية وموالة للسلطان"¹.

أمر آخر حاولت فرنسا من خلاله القضاء على الدين الإسلامي وهو مسألة الأوقاف الجزائرية إذ "كانت الأوقاف موجودة في الجزائر كما كانت في بقية البلاد الإسلامية وهي حسب مال أو أراضي أو نحو ذلك تصرف منفقة على الفقراء وخدمة الدين والعلم ونشر الثقافة وهي نوعان الأوقاف الخاصة والأوقاف العامة...ويجسها أهل الخير لأغراض خيرية دينية مثل التي تخصص للتعليم والعناية بالحج واستصلاح المساجد ومساعدة الأيتام"².

فهمت فرنسا أن الأوقاف الإسلامية بالجزائر هي محور الحياة وعمودها الفقري لدى الجزائريين وهي النواة التي تلتف حولها عمليات التضامن والتآزر وبؤرة المقاومة والصمود وهي مركز إشعاع وتنوير وهي المنارة التي يهتدي بها الناس إلى الطريق الصحيح لذلك عملت منذ دخولها إلى الجزائر على ضم الأوقاف وجعلها تحت الإدارة الفرنسية فقد أصدر بيجو إجراء سياسيا جاء فيه "إنّ الأملاك التابعة للجامع الكبير وكل الموظفين التابعين له هم تحت السلطة الدومين وأن كل المدخولات والمصاريف التابعة لهذه المؤسسة أصبحت ملحقة بالميزانية الاستعمارية وأن كل المصاريف المتعلقة بموظفي الجامع و الصيانة و الشؤون الدينية وكذلك كل المساعدات والصدقات التي تقوم بها هذه المؤسسة ستصبح من اختصاص الإدارة..."³، وبذلك ستبتر أي عملية تلاحم لنشر العلم وزرع بذور الحرية في الأنفس، ورغم أنّها سنت "قانون 1905 الذي يقضي فصل الدين عن الدولة وقيام كل طائفة بأمور دينها بإستقلال"⁴ إلا أنّها تماطلت في تنفيذ هذا القانون وإخراجه إلى أرض الواقع فبينما إستقل النصارى واليهود بأمور دينهم بقي الدين الإسلامي تابعا للإدارة الفرنسية يعاني من تعنتها

¹ - مازن صلاح مطبقاتي، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية 1931 1939 ، ص 50.

. خديجة بقطاش، الحركة التبشيرية الفرنسية بالجزائر 1830 1871 ، ص 21.

أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، دار البصائر، الجزائر، دط، 2007 ، ص 21.

. محمد بهي الدين سالم، ابن باديس فارس الإصلاح والتنوير، ص 23.

وجبروتها أما "الأوقاف كانت من أكثر المؤسسات ضياعا إذ يقر حتى كتّاب فرنسيين أن مؤسسات الوقف ظلّت دون تعويض... وكان ذلك سببا في ضمور حركة التعليم وإختفاء المعلمين وغلق المدارس".¹

إنّ هذه السياسة الفرنسية تؤكد موقف الإستعمار الصليبي المناهض للدين الإسلامي في الجزائر وتبرز محاولاته العديدة لنشر المسيحية بغرض القضاء على الشخصية الجزائرية وسلب روح العروبة والإسلام من جسدها "فكانت العقيدة الإسلامية في مقدمة ما استهدفوا من قيم ومقومات، لوقوفهم على خطورة فاعليتها في تنظيم وتوجيه حركة جهاد الشعب الجزائري ضدهم، فحملهم ذلك على محاربة الدين الإسلامي، مما أضفى على عملهم طابع الغزو الحضاري الذي يمكن اعتباره امتداد لما كان بين الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية من صراع منذ القرون الوسطى".²

فمنذ أشرقت شمس الإسلام على هذا العالم والقوى المختلفة تتحالف لمحاربهه ووأده من الوجود فمن محاربة قريش للرسول صلّى الله عليه وسلّم وتضييق الخناق عليه في مكة إلى غدر اليهود بالمسلمين في المدينة المنورة مرورا بالفرس والروم اللذين تحالفا ضد هذا الدين وحاولا كسر شوكته، وصولا إلى الحروب الصليبية والتي حاولت إزاحة الإسلام من أمامها، وما الإستعمار الفرنسي إلّا مظهرا من مظاهر هذه الحرب الصليبية التي قادتها فرنسا ضد الدين الإسلامي في الجزائر.

فحوصر الإسلام في أضيق نطاق، وتحالفت الجهالة والطرق الصوفية المنحرفة على الشعب الجزائري الذي أصبح يتخبط في بحر من الخرافات والبدع.

ج - الإدماج :

1. أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية ج 1 ، ص 77 .

2. محمد بن سمينة ، النهضة الأدبية الحديثة في الجزائر مؤثراتها - بدايتها - مراحلها، ص 9.

سياسة أخرى اتبعتها فرنسا وخطة انتهجتها من أجل القضاء على الشخصية العربية المسلمة الجزائرية فبعد أن صادرت الأوقاف الإسلامية والتي كانت منبع الأعمال الخيرية خاصة المشاريع التربوية كبناء المدارس والزوايا لأن الإستعمار كان يدرك أنّ التعليم هو شريان الحياة حاول قطعه لتموت الحياة الثقافية في الجزائر، بالإضافة إلى محاولته إخماد جذوة العلوم والمعارف المنبثقة من المساجد والكتاتيب وذلك بتحويلها إلى كنائس وإصطبلات، واتخاذ أرباب الطرق الصوفية أتباعا له وأذيانا زيادة على تفشى الجهل والأمية بعد إنتشار المدارس الفرنسية على التراب الوطني، وهذا ما أدى إلى هجرة الأهالي لهذه المدارس ومقاطعتها. كل هذه العوامل أدت إلى إنتشار الجهل والأمية في الأوساط الجزائرية تمهيدا لمسح الشخصية العربية الإسلامية وذلك بإتباع سياسة الإدماج، وإن كانت سياسة فرنسا وتنصير الجزائريين هي في الأساس منطلق لمصطلح الإدماج، فأن تأخذ من شعب ما لغته وتحرمه من دينه فإنك بذلك تذيبه في كيان آخر وهذا ما حاولت فرنسا تطبيقه "إذابة الجزائريين في الكيان الفرنسي العام وبذلك لن تقوم للجزائر قائمة في يوم من الأيام".¹

فبعد أن كان الشعب الجزائري جزء لا يتجزأ من العالم العربي الإسلامي جاءت فرنسا لتتزع عنه ثوب عرويته بمحاربة اللغة العربية وتزعزع عقيدته الإسلامية لتستأصله من حضارته العربية الإسلامية وتزرع فيه عقيدة بعيدة عنه، ولغة غريبة عنه "فسياسة الإستعمار منذ البداية تخطط لدمج الجزائر في فرنسا عن طريق ربطها سياسيا وإداريا بفرنسا وهضمها ثقافيا وروحيا ولغويا في الشخصية القومية الفرنسية"² وحتى يسهل على فرنسا تحقيق سياسة طمس المعالم الإسلامية وإستبدالها بمعالم الكنيسة وإحلال اللغة الفرنسية محل اللغة العربية "هذه البرامج جميعها ترمي إلى هدف واحد هو النيل من مقومات الشخصية الجزائرية بأشكال مختلفة ولعل من أشهرها خطرا في هذا الباب ما كان يروج منها لمخطط الاندماج والتفرنس الذي يرمي إلى تذويب

. رايح تركي ، التعليم القومي والشخصية الوطنية ،ص 110.1

. المرجع نفسه ،ص 110.2

الشعب الجزائري في كيان غريب عنه¹ "فمنذ أن وطئت فرنسا أرض الجزائر وهي تسعى لهذه الغاية مستعملة كل الوسائل المادية والمعنوية لهذا الغرض فالإدماج "كان هدفا أساسيا منذ السنوات الأولى للإحتلال عن طريق ربطها سياسيا وإداريا بفرنسا وإذابة الكيان الثقافي والحضاري في الشخصية الفرنسية"².

لقد عملت فرنسا منذ البداية على وأد كل حركة مناهضة للإستعمار سواء كانت مقاومة مسلحة كمقاومة الأمير عبد القادر وغيرها من المقومات الأخرى التي حاولت التصدي للإستعمار وإخراجه من أرض الجزائر، أو مقاومة فكرية كإصدار الصحف والمجلات ومحاوله لفت إنتباه الرأي العام للقضية الجزائرية وإعطاء الشعب الجزائري دفعا جديدا نحو التحرر والإستقلال، وحتى تغلق فرنسا كل المنافذ أمام الجزائريين المتطلعين للحرية والإنعتاق عملت على عزل هذا الشعب عن باقي الدول ومنعت كل إتصال بينه وبين الأصدقاء، فأوصدت الأبواب أمام الصحافة العربية حتى لا تدخل أرض الجزائر وأحكمت قبضتها على الجرائد "فقد أدرك الفرنسيون ما للصحافة من أثر في إنهاض الشعوب وآمنوا بدورها الفعال في بث الثقافة والوعي فيها ولقد وصف "جان ميرانت" وهو مسؤول في الولاية العامة بالجزائر، ومدير الشؤون الأهلية بما قوله: إنَّ الجرائد هي الآلة التي تجمع في وقت واحد البساطة والقوة... إنَّها هي التي شَعَّ منها النور فبدد هذه الظلام الذي كان يلف الشعوب المختلفة"³.

أدركت فرنسا خطورة إتصال الشعب الجزائري بالعالم الخارجي ففرضت عليه حصارا شاملا، ومنعت دخول الجرائد العربية المشرقية وغيرها وفرضت رقابة صارمة على الصحف والجرائد فأصبحت تعاني من تعسف الرقابة الفرنسية إلا ما كان يصل مهربا من صحف عربية في حقائب الحجّاج "حتى إذا أصدر قانون 4 فيفري 1919 الذي خول بعض الحرية النسبية

1. محمد بن سميعة، النهضة الأدبية الحديثة في الجزائر مؤثراتها - بدايتها - مراحلها، ص 12.

2. خير عبد النور، منطلقات وأسس الحركة الوطنية الجزائرية 1830 1945، ص 69.

3. محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1939، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، دط

للأهالي، سارع الجزائريون الذين أكسبتهم سنوات الحرب تجربة جديدة وفتحت أعينهم على واقعهم الإستعماري الرهيب سارعوا إلى إستخدام الصحافة العربية كوسيلة من وسائل النهوض والبعث القومي والوطني.¹، فأنشأت مجلات وجرائد تدعو إلى اليقظة و النهوض كجريدة النجاح سنة، 1919 وجريدة الإقدام سنة 1920 وغيرها لكنها هي الأخرى عانت من تعسف الرقابة الفرنسية ومضايقات الشرطة الإستعمارية، فكلما ولدت صحيفة وشقت طريقها وسط زحمة الاستعمار والتف حولها الشعب تقوم الإدارة الفرنسية بمصادرتها وابقافها عن الصدور وزج أصحابها في السجون، وأصبح الشعب الجزائري يعيش أزمة خانقة خاصة وأن " الحياة الاجتماعية والدينية كانت في تدهور وخمود مما دعا إلى رد الفعل ونشوء الحركات الإصلاحية "²، فكان لا بد أن يظهر تنظيم جاد وفعال ليعيد بناء وترميم ما حاولت فرنسا تهديمه والقضاء عليه بشتى الوسائل .

1. محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1939 ، ص 12 .

2. عمار طالي، ابن باديس حياته وآثاره، ج1، الشركة الجزائرية لصاحبها عبد القادر بودواو، الجزائر، دط، 1968،

المبحث الثاني : ظهور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

أولا : تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

لم تدخر فرنسا جهدا ولا وسيلة للحط من قيمة الشعب الجزائري، فرغم أنّها سلبت الأرض وحولت الجزائري إلى عامل بسيط لديها وانتهكت الحرمات، جاءت سنة 1930 لتزيد الطين بلة وتؤزم الوضع أكثر إذ إنطلقت الإحتفالات الفرنسية بمناسبة مرور مائة عام على إحتلال الجزائر وخرج الشعب الفرنسي يحتفل بهذه المناسبة يجوب الشوارع الجزائرية وهو يحمل الرايات الفرنسية، يرتدي الملابس الخاصة بالإحتفال ويردد أناشيد النصر غير عابئ بمشاعر الشعب الجزائري، وهو يرى الفرحة المبنية على ألمه وقهره ويتأمل الصليب وهو يرتفع عاليا تحمله الأيدي مستبشرة بطرد الإسلام من دياره، فقد صرّح أحد الفرنسيين المتعصبين معبرا عن انتصار المسيحية على الإسلام في الجزائر بقوله: " إنّ عهد الهلال قد عبر وأنّ عهد الصليب قد بدأ وأنه سيستمر إلى الأبد."¹ لقد كانت تلك الإحتفالات وضخامتها ضربة قاسية للشعب الجزائري الذي تأكد لديه أنّ سياسة فرنسا هي سياسة عنصرية صليبية تهدف إلى القضاء على الشخصية الجزائرية بكل مقوماتها.

وسط هذا الجو المشحون بنار الإستعمار ونير الإستعباد ظهرت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين" والتي أصبح بتأسيسها ذلك الأمل الذي ما فتئ المتشائم يعده خيالا حقيقة واقعة في الخامس من شهر ماي سنة 1930.² وتأسيس هذه الجمعية لم يكن وليد الصدفة فقد سبقته إرهابات مبكرة بتشكيل جمعية تظم تحت لواءها الطبقة المثقفة والتي تدافع عن الإسلام والمسلمين فسياسة فرنسا المنتهجة في الجزائر كان لا بد أن يتمخض عنها عواقب

¹. رابع تركي، التعليم القومي والشخصية الوطنية، ص 201.

². المرجع نفسه، ص 201.

وآثار لدى فئة المثقفة فقد قال الشيخ البشير الإبراهيمي " زارني الأخ الأستاذ عبد الحميد بن باديس وأنا بمدينة سطيف أقوم بعملية زيارة مستعجلة في سنة 1924 فيما أذكر أخبرني بموجب الزيارة في أول جلسة وهو أنه عقد العزم على تأسيس جمعية باسم الإخاء العلمي يكون مركزها العام بمدينة قسنطينة العاصمة العلمية...تجمع شمل العلماء والطلبة وتوحد جهودهم وتقارب مناهجهم في التعليم والتفكير وتكون صلة تعارف بينهم ومزيلة لأسباب التناكر والجفاء"¹ وكان للطلبة المتقنين الجزائريين العائدين من جامعات تونس والمشرق الأثر البارز في تكوين هذه الجمعية فالنخبة المثقفة المتشعبة بأفكار محمد عبده الإصلاحية وأفكار رشيد رضا التي كان ينشرها في مجلة المنار كانت على إستعداد للتلاحم والانضمام إلى الشيخ ابن باديس، لأنه لو جاز لنا أن نؤرخ للفكر الاصلاحى في الجزائر فذلك يعود إلى زيارة الشيخ محمد عبده إلى الجزائر سنة 1903 ليزرع أفكاره الاصلاحية و منهجه في أوساط الجزائريين المتعطشين للتغيير وهكذا أخذت الأفكار للشيخ محمد عبده تثبت في الأذهان في الجزائر منذ 1903 لاسيما المراكز الكبرى ذات التقاليد الثقافية: الجزائر - قسنطينة - تلمسان ، صحيح أن أنصار مفتي مصر كانوا أقلية ولكن لهم تأثير فكري واجتماعي كاف جعلهم يستميلون تعاطف الناس وانضمامهم إلى التركة الجديدة.

لقد كانت لزيارة الشيخ محمد عبده للجزائر الأثر البارز في مسيرة الحركة الإصلاحية بالجزائر، فالجزائريون كانوا متعطشين لمعرفة ما يجري حولهم خاصة وأن وضع الإسلام في الجزائر أصبح مزريا في ظل الإدارة الفرنسية الاستعمارية التي أحكمت قبضتها على الأوقاف الاسلامية وأصبحت هي التي تتصرف في شؤون المسلمين يساندها مجموعة من الأتباع الذين ذيلوا بذيل الإسلام هذا الذي كان" في الجزائر في حاجة إلى دفع تاريخي للانتقال من القرن التاسع عشر إلى القرن العشرين للخروج من السبات السديمي والتكيف مع العالم الجديد عن طريق الاهتمام

¹ الزبير بن رحال، الإمام عبد الحميد بن باديس، رائد النهضة العلمية والفكرية 1889 1940 ، دار الهدى،

وكان المسلمون الجزائريون يفتقرون إلى معلومات دقيقة عن مسيرة الإسلام عبر العالم غير أن محمد عبده كان بالضبط الرجل الذي جعلهم يشعرون بإيقاع الشرق الاسلامي وساعدهم على إستيعاب التوجه الإصلاحى للإسلام المعاصر شكل سريع"¹، خاصة وأن الإسلام في الجزائر أصبح يئن تحت وطأة الإدارة الفرنسية وسياستها المحجفة والتي جعلت بعض الجزائريين يتبنون سلوكيات وعادات فرنسية، كما انتشرت موجة الزواج بالأجنبيات فأصبح الخطر على الإسلام أكبر من ذي قبل وخاصة أيضا مع ظهور قانون 1919 والذي ينص على أن للجزائريين الحق في المواطنة الفرنسية - الإدماج - وبذلك أصبح المصلحون أمام خطر يهدد مستقبل الإسلام في الجزائر، لذلك كان لزاما عليهم أن يفكروا في إنشاء جمعية ذات طابع ديني يعيد للإسلام بهاءه وللجزائري إعترازه بهذا الدين فظهرت "نخبة من العلماء المصلحين هم في الغالب من خريجي المعاهد الحرة وفيهم بعض خريجي المدارس الرسمية و الزوايا ، وكان الجميع يعلمون ويتصلون بالأمة وبنشئها."² في هذه الظروف كان الشبان المسلمون خريجو المدارس الشرقية والزيتونة يعودون إلى وطنهم متشبعين بأفكار جديدة" تلك الأفكار التي كان أنصار محمد عبده المتحلقون حول رشيد رضا منشط المنار ينشرونها بحماس فياض وشيئا فشيئا تكونت في الجزائر بين 1919 و 1925 نخبة ذات فكر عربي"³، وقد كان إعادة بناء الشخصية الوطنية الجزائرية المسلمة هو الشغل الشاغل لهذه الفئة فقد كانوا يرون أنهم من واجبهم أن يعيدوا للإنسان الجزائري ثقته بنفسه كما أنهم كانوا يدعون إلى الانفتاح على العالم الإسلامي المعاصر ويعلنون عن انتمائهم للأمة ويربطون الإحياء الديني ببعث الثقافة العربية والشعور الديني والوطني والسياسي والوطني"⁴. إنَّ مسعى إحياء الثقافة العربية الإسلامية في

¹. الزبير بن رحال، الإمام عبد الحميد بن باديس، رائد النهضة العلمية والفكرية 1889 1940 ، ص 37

². أنيسة بركات درّار، أدب النضال في الجزائر من سنة 1945 حتى الاستقلال، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، دط ، 1984 ، ص 21 .

³. علي مراد الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، دار الحكمة ، الجزائر ، دط ، 2001، ص 72.

. المرجع نفسه ، ص 4.79

الجزائر كان من أبرز وأهم المهام التي إهتمت بها النخبة المثقفة الجزائرية ففي هذه المرحلة تقاربت وجهات النظر بين النخبة المثقفة والإصلاحيين وأصبح لزاما أن تشكل جمعية أو ما شابه تقف في وجه هذا التيار الجارف ، فبعد المحاولات والترددات الأولى أنشأوا في قسنطينة في 1925 نواة ما أصبح بعد ذلك يعرف بالحركة الإصلاحية الجزائرية، وكان المؤسس الفعلي لهذه الحركة عبد الحميد بن باديس الذي وُفق في إختيار فريق المساهمين الذين قاموا بتوثيق تماسكهم بإنشاء أداة للدعاية سماها المنتقد التي سرعان ما أخلت الساحة للشهاب التي "واكبت حركة التأسيس وعبرت عن أخبار الجمعية وأهدافها وبياناتها وبلاغاتها وأنشطتها".¹

إنّ هذا التطور الثقافي الذي واكب هذه الفترة تمخض عنه ظهور نخبة جديدة حملت معها أفكارا مغايرة لعهد الجزائر في القرن التاسع عشر، وأصبح همها إخراج الإسلام من دائرة البدع والخرافات التي ألصقت به خاصة وأنّ "الثقافة الإسلامية التي احتوتها الطرق الصوفية أصبحت لا تشكل إلا طقوسا أقل ما يقال عنها أنها كرسّت مظاهر التخلف والجمود فقد قُدمت هذه الثقافة في قالب أفرغ من جميع مضامينه فساروا بذلك نحو الجهل والامية تنقاذفهم الأوضاع الاقتصادية برمتها".²

وبتأسيس جريدة الشهاب أصبحت المنبر الذي كانت تنطلق منه الأفكار الداعية لمواجهة الزحف الصليبي على الجزائر كما كانت تهدف إلى تحقيق التقارب بين المثقفين الجزائريين وتدعو إلى التلاحم والتآزر وتشكيل كتلة واحدة ففي عددها الثالث وجه عبد الحميد بن باديس نداء جاء فيه "أيها السادة العلماء المصلحون المنتشرون بالقطر الجزائري إنّ التعارف أساس التآلف والاتحاد شرط النجاح فهلّموا إلى التعارف والاتحاد بتأسيس حزب ديني محض غايته تطهير الدين مما ألصق به من الخرافات والأوهام والرجوع إلى أصل الكتاب والسنة وما

. خيثر عبد النور، منطلقات وأسس الحركة الوطنية الجزائرية 1830 1954 ، ص 126 .¹

. أحمد مسعود، مجلة المصادر ، العدد 11، السداسي الأول ، 2005 ، ص 185 ، 186 .²

كان عليه في عهد القرون الثلاثة، إننا نرغب في كل من يستحسن هذه الإقتراح ويلبي هذه الدعوة من أهل العلم من كل من يجب الإصلاح أن يكاتب إدارة الجريدة ببيان رأيه حتى إذا رأينا استحسانا وقبولا من عدد كاف شرعنا في التأسيس والله ولي التوفيق"¹، هذه النداء كان بمثابة شهادة ميلاد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فهو يدعو لجمع شمل جميع العلماء مهما كانت مذاهبهم دون استثناء و المتعاطفين مع الحركة الاصلاحية دون تمييز.

لقد كانت فكرة إنشاء جمعية إصلاحية هي الفكرة المسيطرة على تفكير عبد الحميد بن باديس لذلك عرضها على الشيخ محمد البشير الإبراهيمي حين زاره في مدينة سطيف ليتخذها منطلقا لمحاربة البدع والخرافات ومكافحة أشكال الانحراف والقضاء على الجهل والأمية،وقد بدأت هذه الفكرة تنمو وتختمر في ذهن الرجلين ففيسنة1928 " دعا الشيخ عبد الحميد بن باديس الطلاب العائدين من جامع الزيتونة والمشرق العربي لندوة يدرسون فيها أوضاع الجزائر، وما يمكن عمله لإصلاح هذه الأوضاع، وكان ممن لبي الدعوة من يمكن تسميتهم رواد الإصلاح أمثال البشير الإبراهيمي ومبارك المليي والعربي بن بلقاسم التبسي ومحمد سعيد الزاهري ومحمد خير الدين واجتمعوا برئاسة الشيخ عبد الحميد بن باديس في مكتبه"²، و نوقش في هذا الإجتماع الخطوط العريضة التي ستدعو إليها الجمعية فيما بعد كالدعوة إلى " إنشاء المدارس الحرة لتعليم اللغة العربية والتربية الإسلامية ، إنشاء النوادي للاجتماعات وإلقاء الخطب والمحاضرات ، وإلقاء دروس الوعظ والإرشاد في المساجد، الكتابة في الصحف والمجلات لتوعية طبقات الشعب، إنشاء فرق الكشافة الإسلامية للشباب في كافة أنحاء البلاد والعمل على إذكاء روح النضال في أوساط الشعب لتحرير البلاد"³ ، وجاءت النتيجة فحيث يكون الماء تكون الخضرة وحيث يكون الإيمان الصادق يكون العمل

. الشهاب ، العدد 3 ، نوفمبر 1925 ، ص 1.5

² محمد صالح رمضان، إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس، دار الأمة، الجزائر، 2007 ، دط ، ص 50.

. ينظر محمد خير الدين، مذكرات، ج 1 ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص 83 إلى ص 86. ³

الصالح وحيث تكون الإرادة يتلاشى المستحيل وتصبح الفكرة حقيقة مجسدة على أرض الواقع وتصبح النية عملا ويصبح العمل عظيما فعلى الساعة" الثامنة من صباح يوم الثلاثاء 17 ذي الحجة عام 1349 الموافق ل 5 ماي 1931 أجمع بنادي الترقى بعاصمة الجزائر اثنان وسبعون من علماء القطر الجزائري كما حضر الاجتماع طلبة العلم ولقد كان الغرض من هذا الاجتماع هو تحقيق فكرة طالما فكر فيها علماء القطر وعلى رأسهم الشيخ عبد الحميد بن باديس هي تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين¹ ظهرت جمعية العلماء إذن للوجود وسط ليل الإستعمار واستبداده كقبس من نور فأدخلت الفرحة في قلوب شعب ذاق مرارة الذل والهوان وأدخلت الحسرة على فئة ما فتئت تتغنى بالإستعمار ومبادئه، وقد أضاء هذا القبس العقول فالتفت حوله كل شرائح المجتمع ومن شتى الإتجاهات الدينية والمذهبية سواء أكانوا طرقيين أم مصلحين أم موظفين أم غير موظفين لأنهم رأوا في هذه الجمعية الخلاص فكانت بمثابة فجر سطع في ظلمة الإستعمار وظلمه، فبعدها ظنت فرنسا أنها أحكمت قبضتها على الجزائر وجدت نفسها أمام كوكب نوراني يستقطب إليه كل متعطش للنور والضياء لأن جمعية العلماء لم تستثنأحدا فالدعوة كانت عامة " فهناك شرط أساسي وجوهري يجب إحترامه إذا ما جمعنا حقا جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ألا وهو جمع العمال من كل الطوائف ومن كل المذاهب الموجودة بالجزائر حتى تمثل وحدة وطنية صميمة"².

إتتأسيس جمعية العلماء الجزائريين كان ثمرة نقاش طويل ومبادرات عديدة ، إذ يعتبر عقد الثلاثينات الذي تأسست فيه هذه الجمعية فصلا متميزا في تاريخ الجزائر من زاوية تاريخ حركة الوطنية ولكونها كانت مرحلة مخاض وإختمار الأفكار التي سوف تشكل ذهنية المجتمع الجزائري وتبلور رؤاه حول مختلف الجوانب وتوجه مساره أما بالنسبة للإستعمار" فإن سنة

. زبير بن الرحال، الإمام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية والفكرية، ص 172.

. أحمد توفيق المدني، حياة كفاح ج 2 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، دط ، 1988 ، ص 175.

1930 كانت الأنوار الاصطناعية لم تنطفئ بعد. كان الفرنسيون لا يزالون تحت وقع الاحتفالات الباذخة المقامة بمناسبة مرور قرن من تاريخ الإستعمار الفرنسي وكان يجذوهم إذن التفاؤل حيال الأهالي ... وقد ترتب عن ذلك تليينا للسياسة الأهلية للإدارة الجزائرية. في مثل هذه الظروف لم يواجه إنشاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إعتراضات شديدة من قبل السلطات العمومية¹ ضف إلى ذلك شخصية ابن باديس مؤسس الحركة الجانحة إلى السلم والإعتدال وأيضا الطابع الذي ظهرت به الحركة والذي إصطبغ بصبغة دينية محضة وهذا ما أكده ابن باديس نفسه فقد جاء في الشهاب ما يلي " يجب أن نقول من الآن إن الجمعية يجب ألا تكون إلا جمعية هداية وإرشاد لترقية الشعب من الجهل والسقوط الأخلاقي، إلى أوج العلم ومكارم الأخلاق في نطاق دينها الذهبي وبهداية نبيها الأمي الذي بعث ليطم مكارم الأخلاق عليه وعلى آله الصلاة والسلام".² فظهرت هذه الجمعية في وسط يتسم بالهدوء ، و منثم استطاعت أن تستقطب إليها جميع شرائح المجتمع فانضم إليها العلماء المصلحون من كافة الاتجاهات يجذوهم أمل واحد وهو امكانية تغيير الأوضاع إلى أفضل الأحوال.

إنّ انتشار الفساد والحالة المزرية التي كانت تمر بها الجزائر جعل الشعور بضرورة التلاحم وترك الخلافات والانصهار في بوتقة واحدة، كما لعبت حنكة وحسن تصرف ابن باديس دورا أساسيا في نجاح تأسيس هذه الجمعية واستقطاب العلماء والفقهاء إليها وفي هذا يقول الشيخ البشير الابراهيمي " دعونا فقهاء الوطن كلهم وكانت الدعوة التي وجهناها إليهم صادرة باسم الأمة كلّها ليس فيها اسمي ولا اسم ابن باديس لأن أولئك الفقهاء كانوا يخافوننا لما سبق لنا من الحملات الصادقة على جمودهم ... وبأنهم مطايا الإستعمار يذل الأمة ويستعبدوها باسمهم، فإستجابوا جميعا للدعوة وإجتمعوا في يومها المقرر ودام إجتماعنا في نادي الترقى أربعة أيام... ولما تراءت الوجوه وتعالّت أصوات الحق أيقن أولئك الفقهاء بأنهم مازالوا في

. علي مراد، الحركة الاصلاحية الإسلامية في الجزائر، ص 155.

. الشهاب، مارس ، 1931 ، ص 197.

دورة التلمذة وخضعوا خضوع المسلم للحق فأسلموا القيادة لنا فانتخب المجلس الإداري من رجال أكفاء ... وقد وكل المجتمعون ترشيحهم إلينا فانتخبوهم بالإجماع وانتخبوا ابن باديس رئيسا... واصبحت الجمعية حقيقية واقعة قانونية"¹.

إتخذت هذه الجمعية العاصمة الجزائرية مقرا لها لأن العاصمة هي محور الحياة الثقافية والاجتماعية وما فيها يخص موارد هذه الجمعية فقد أسندت على موارد الزكاة وإشراكات الأعضاء والمتعاطفين وقد استندت هذه الجمعية على " أعضاء يمثلون جميع التيارات الثقافية الإسلامية للجزائر دون نسيان إخواننا الإباضيين لتنشأ فروع لهذا الحزب في المدن الداخلية"²، وبهذا أصبحت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين واقعا ملموسا تجسده طموحات وآمال المصلحين في تغيير واقع الجزائريين الذين يعانون تحت نير الاستعمار، وقد كان يحدو المصلحين آنذاك إصلاح ما أفسده الإستعمار وما سعى لمحوه وتثبيت العقائد في النفوس وترسيخ العادات الحسنة في المجتمع، وإرشاد الضال بالإصلاح على حد تعبير الشيخ مبارك الميلي هو " دعوة إلى نبد الفساد من العقائد والعوائد وإرشاد إلى ما هو صالح منها وليؤخذ به"³.

كان المجتمع الجزائري يتخبط في فوضى عارمة أفرزها الوجود الإستعماري، فكان ميلاد هذه الجمعية هو الحدث الأعظم الذي ملأ الساحة الجزائرية وإن كان الإستعمار نفسه قد سمح بظهور هذه الجمعية وذلك للخصوصية التي إكتسبتها أي الطابع الديني فالمجتمع الجزائري نفسه إنقسم إلى مؤيد ومعارض ومحاميد فقد " برزت شمس هذه الجمعية في الأفق الجزائري فكان الناس أمامها أزواجا ثلاثة:

1. الشهاب، مارس ، 1931 ، ص 150.

2. علي مراد، الحركة الاصلاحية الإسلامية في الجزائر، ص 151.

3. أبو عبد الرحمان محمود، آثار الشيخ مبارك الميلي، ج 2 ، دار الرشيد، الجزائر، ط 1، 2012، ص 245.

فريق إستراح لها وإستبشر وراها خيرا وبركة على المجتمع الجزائري وفريق توجس منها خيفة وتشاؤم منها وراها شرا عليه وبؤسا وفريق تحيّر لم ير الحق فيتبعه ولم ير من هذه الجمعية باطلا فينكره¹ ، فهذه الفرق الثلاثة التي ظهرت أمام ظهور الجمعية كل واحد يراها من زاويته فالفريق الأول تمثله شريحة قد وعت ظروف المجتمع الجزائري وما لحق به من إنحطاط في مختلف المؤسسات فكانت هذه الشريحة تستبشر خيرا بهذه الجمعية وترى أنّها الخلاص للمجتمع فهي تحمل في طيات برنامجها بذور الأمل في الحرية والإنعتاق وترى هذه الشريحة أن طموحات الجمعية أكبر من مجرد حزب ديني يسعى لتخليص الدين الإسلامي من الشوائب التي علقت به. فقد يتراءى أمام أعين هذه الشريحة أفق آخر لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين وهو تخليص الشعب الجزائري من نير عبودية المستعمر وقرار حقه في الحرية والإستقلال، فهذه الشريحة كانت متفائلة بغد أفضل تحمله هذه الجمعية لذلك استبشرت بها خيرا.

أما الفريق الثاني الذي توجس منها خيفة وتشاؤم فهو يضم " إمّا معمر أفسده الجشع وإمّا طريقي ملكه الطمع وإمّا سياسي رأس ماله النفاق يظهر للأمة أنه يسعى لخيرها وهو لا يحمل عاطفتها نحو إسلامها وعروبتها، بل أمنيته الإندماج والعجين بلا دين"²، أمّا الفريق الثالث فهو محور الصراع بين الفريقين الأولين لذلك يقوم الفريق الثاني بشن حرب على الفريق الأول متخذًا الفريق الثالث وسيلة لهذه الحرب فيزيد في حيرة الفريق الثالث، فالفريق الثاني يحاول أن يجلب إليه الفريق الثالث وذلك عن طريق تشكيكه في مبادئ الجمعية.

وأمام هذه التوجهات والانقسامات الثلاثة التي برزت مع ظهور الجمعية ما كان على هذه الأخيرة إلا أن توحد الصفوف وتبذ الخلافات وتوضح الأهداف التي من أجلها أنشئت فهي

. أبو عبد الرحمان محمود ، آثار الشيخ مبارك الملي ، ج2 ، ص 1.551

. المرجع نفسه ، ص 2.541

ليست " حزبا خاصا ولا ضد حزب خاص وإنما هي جمعية الأمة المسلمة الجزائرية "¹ من شرقها إلى غربها ومن شمالها إلى جنوبها وحتى توضح هذا المسعى سطرت لنفسها مجموعة من الأهداف

ثانيا : أهداف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

إنّ أي حركة كفي تنجح وتحقق لنفسها البقاء والإستمرار عليها أن توضح أهدافها، فتحدد الهدف حتى يتراءى للعيان وكأنه حقيقة مجسدة يضمن للحركة النجاح على كافة الأصعدة " فالحركة الوطنية كمفهوم عام تتمثل في التعبير عنها كحملة ردود الفعل الوطنية تجاه الواقع الإستعماري الذي كان يلقي بأعبائه على المجتمع الجزائري وفي هذا السياق فإن الحركة الوطنية تمثل كل مظاهر وأشكال الرفض للإستعمار"² ، وجمعية العلماء التي رفضت هذا الإستعمار جملة وتفصيلا حرص أعضاؤها منذ اليوم الأول لتأسيسها على توضيح أهدافها فقد " شعروا بأنهم منذرون لأداء رسالة مقدسة تتمثل في الدفاع عن الأمة الإسلامية من الضربات الخارجية الرامية إلى مسخ الشخصية ووضع أسس تربية إسلامية حقيقية قصد تخليص الشبيبة من الهيمنة الحصرية للفكر الغربي وهداية الضالين بتذكيرهم بتاريخ أجدادهم وأمجاد الحضارة الإسلامية والأوجه الأكثر إشراقا لدينهم"³، لقد كان الدين الإسلامي هو المحور أو الهدف الذي حاولت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أن تبلور إصلاحه في ذهنية المجتمع الجزائري نظرا لما لحق به من تشويه ودس البدع والخرافات فيه ومن ثم كان على هذه الجمعية أن تزيل الغبار عنه وتعيد له بهاءه وإشراقه لان " الإصلاح الديني ضروري لكل مجتمع فإذا كان الشخص لا يخلو من عوارض تضعف إدراكه أو تغيير مزاجه، فالمجتمع لا يخلو من عقائد وعوائد تحط منزلته و تهوى به إلى الدرك الشقاء وعلى نسبة ما يصيبه من فساد العقائد

. أبو عبد الرحمان محمود ، آثار الشيخ مبارك الملي ، ج2 ، ص 541.1

. خيثر عبد النور، منطلقات وأسس الحركة الوطنية 1830 1954 ، ص 13.2

. علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، ص 52.3

والعوائد يكون نصيبه من الانحطاط و التدهور إن قليل فقليل وإن كثير فكثير¹، لذلك حملت جمعية العلماء لواء إصلاح الدين هذا الذي سلط عليه أنواعا من التشويه بغرض بتره من الأفئدة فقد كان هو حصن اللغة العربية وهو نقطة تلاحم الأفراد حوله، لذلك حاولت فرنسا تشويهه و" زادوا عليه إقامة مؤتمر كاثوليكي ديني متعصب، جمعوا القس والرهبان من كل مكان ، وارتفعت أصوات وأصوات ضد الدين الاسلامي و ضد العروبة و ضد المدنية الساطعة التي لولاها ما كانوا ولا كان أجدادهم الأولون، ضربوا الدين في الصميم لم يتورعوا عن مس الذات المطهرة المحمدية ووصفها بالشنيع من الأوصاف"².

إن فرنسا في حربها على الجزائر جعلت من الدين الإسلامي هدفا رئيسيا لتسلخ الشعب من ذاته الإسلامية، وما إلحاق الأوقاف بالإدارة الفرنسية إلا دليل على أن حرب فرنسا هي حرب على الإسلام في الديار الجزائرية وحتى تتحقق لها هذه الغاية وظفت رجال الدين في الإدارة الفرنسية بأجر معلوم ومن ثمّ " إنتقد الإصلاحيون الوظائف الدينية المأجورة بقسوة لكونها في نظرهم عملا شاذا منفرا، كما إعتبروها شكلا من الأشكال الهيمنة والرشوة على الإسلام من قبل النظام الإستعماري"³، وبمجيئ جمعية العلماء إلى الوجود سطرت على قائمة أهدافها " تطهير الدين الإسلامي مما لحق به من خرافات و بدع في عصر التأخر الذي اعترى المسلمين لعدة قرون، ومحاولة ايقاظ شعلته الوهاجة في القلوب"⁴.

لقد اجتهد الإصلاحيون في الإبانة على أن الدين الإسلامي قد أصبح في خطر من جر الممارسات الإستعمارية وانعكاساتها على المجتمع الجزائري وخوفا من أن ينسلخ الإنسان الجزائري من دينه وينحرف عن الطريق الصحيح عملت الجمعية كل ما في وسعها لإعادة ثقة

1. أبو عبد الرحمان محمود، آثار الشيخ مبارك المليي ، ص 247.

2. أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2، ص 171.

3. علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، ص 188.

4. رايح تركي، التعليم القومي والشخصية الوطنية، ص 204.

الجزائريين بأنفسهم وتثبيت عقيدتهم في قلوبهم، وخوفا منها على مستقبل الإسلام في الجزائر" لم تتردد جريدة الشهاب في وصف مستقبل المجتمع الإسلامي بالتشاؤم الجم بل ذهبت إلى التنبؤ بالإندثار التام" للشخصية الجزائرية في ظرف خمسين سنة إن إستمر المسلمون في التكيف مع المصير الحزين للثقافة العربية في بلادهم"¹.

إنّ هدف تطهير الاسلام من الخرافات والبدع كان أحد المقومات التي جعلت الناس يلتفتون حول هذه الجمعية، فعلى مر العصور كان الوازع الديني هو محرك الأمم والشعوب، وكان الدين هو الشرارة التي تنطلق منها كل الثورات، لذلك استطاعت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أن تدغدغ الحس الديني لدى الشعب الجزائري وتجعله يلتف حولها فقد " شعر البسطاء من الناس بأن الإصلاحيين ليسوا جديريين بالكره أو الشنآن بما أنهم يدعون إلى الإنفتاح على العالم الإسلامي المعاصر وبعنون عن انتمائهم للأمة ويربطون الإحياء الديني ببعث الثقافة العربية والشعور الديني بالوعي السياسي"²، فهذا الهدف أصبح واضحا لدى الجميع مما عبد الطريق أمام الجمعية وهي تحاول أن تعيد للإسلام إشراقه وقد لخص الشيخ محمد خير الدين أهداف الجمعية بقوله: " كانت أهداف جمعية العلماء تتمثل في إحياء الإسلام بإحياء الكتاب والسنة، وإحياء اللغة العربية وآدابها، وإحياء التاريخ الاسلامي وآثار رجاله المخلصين"³، ثم إن تحديد أهداف الجمعية هو الذي يجعلها تصل إلى تحقيقها في أقرب الآجال، وحتى يتحقق أول هدف لهذه الجمعية" اعتمدت التوجيه القرآني الحكيم وحديث الرسول الكريم، لأن القرآن يتسم بالشمول ويفسح المجال أمام العقول للتطوير والتعبير، ويجمع بين العمل والفكر وتنمية الذهن، وإذكاء الايمان و القرآن هو الاصل الذي يرجع إليه والمرجع الذي يعول عليه في تحصين الأمة من الذوبان والتبعية للعدو وفيه فصل الخطاب ...وهكذا أن

1. الشهاب، فيفري 1930، ص 37 ص 39.

2. علي مراد، الحركة الصلاحية الاسلامية في الجزائر، ص 72

3. بو الصفصاف عبد الكريم، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية، ص 106. 107.

تبنى في النفوس شخصية متكاملة فكرا وروحا وخلقا وسلوكا¹، وحتى ترسخ جمعية العلماء المسلمين هذا الهدف في الأنفس وتضمن له البقاء والاستمرار نقلته من مجرد هدف مسطر إلى واقع ملموس فقد " عملت على نشر الدين الصحيح بكل الوسائل التربوية التعليم الديني الحر بالعربية وكذا من خلال حملات دعوية تفسيرية خاصة في الزوايا، وبنشر الصحف والمجلات ومصنفات المذهب الإصلاحية² حتى تمكنت من تطهير الدين الإسلامي من الخرافات والبدع.

وقفت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أمام عاصفة الإستعمار الفرنسي ووسائله المختلفة لمحاربة الدين الإسلامي يحدوها أمل كبير في تحقيق هدفها فهي تعمل على حد تعبير الشيخ البشير الإبراهيمي وهو يخاطب الإستعمار الفرنسي في إحدى مقالاته بعنوان " جمعية العلماء موقفها من السياسة والساسة" : " يا حضرة الإستعمار: إنّ جمعية العلماء تعمل للإسلام بإصلاح عقائده، وتفهم حقائقه وإحياء آدابه وتاريخه وتطالبك بتسليم مساجده وأوقافه إلى أهلها وتطالب بإستقلال قضائه، وتسمي عدوانك على الإسلام ولسانه ومعابده وقضائه عدوانا بصريح اللفظ"³، لذلك كانت جمعية العلماء تطالب بفصل الدين عن الحكومة ، وكان هذا الموضوع شغل شاغل أعضاء هذه الجمعية، وأسأل هذا الموضوع كثيرا من الخبر على الورق واحتل أعمدة كثيرة من جرائد الجمعية وكان الشيخ محمد البشير الإبراهيمي وهو يستقرئ تاريخ الإحتلال الفرنسي لأرض الجزائر متيقن من وجوده بالجزائر بعساكره وأساطيله ليس سوى حلقة من حلقات الحروب الصليبية وقد وجد من المؤيدات ما جعل هذه الحقيقة اقتناعا راسخا إذ يقول " لا يجد الباحث عناء في العثور على مصداق ما قلناه من تمكن النزعة

. مولود معزوي، جمعية العلماء المسلمين، دار التنوير، الجزائر، 2004، ط 1، ص 1.51¹.

. علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، ص 1.50².

. جريدة البصائر، العدد الثالث، السلسلة الثانية، 1947، ص 1.3³.

الصليبية في هؤلاء القوم"¹، ويقول في نفس الموضوع "إنّ عقلية هذا الاستعمار الذي بلينا به - حين تتصلب الإسلام - عقلية لاتينية أولاً، صليبية ثانية... وهو بهذين الدافعين احتل الجزائر ولهذين الباعثين عامل الإسلام فيها هذه المعاملة الشنيعة..."²، لذلك وعندما قررت فرنسا فصل الدين عن الحكومة فإنها تصرفت بدافع العقلية الصليبية وعومل الإسلام من زاوية العداوة بين المسيحية والإسلام، يقول في هذا الشأن "بقيت قضية فصل الإسلام عن الحكومة منظورة بالعين الإستعمارية وموزونة بالميزان الصليبي ومفهومة بالعقل المتحجر "تجمهت" فرنسا أو "تدكترت" أو اختلفت عليها الألوان بيضا وحمرة فالإستعمار في الجزائر هو في نظرتها والإسلام في الجزائر هو في حكمها واعتقادها... فتصدر القوانين بالفصل ولكنها تقيدها بالتحفظات التي تجعل الفصل تأكيدا للوصول..."³.

طالبت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين السلطات الإستعمارية فصل الدين عن الحكومة وخاضت في سبيلها معركة وضعتها وجها لوجه مع الإستعمار الفرنسي الذي أحس بخطورة هذه المواجهة وخشي استمرارها ومضاعفاتها فلجأ إلى مهاجمة العلماء المصلحين، واتهامهم بأنهم مجرد دعاة أحزاب سياسية وذلك بغرض تشويه صورتهم في نظر الأمة، وقد رد أعضاء الجمعية على هذه المزاعم بمقالات مطولة تناولوها بالتحليل وملاؤها بالحجة وردوا بأباطيل فرنسا بقولهم: " ...ولنكن علماء وسياسيين ولنكن كل شيء يحمي ديننا ولغتنا..."⁴، لقد أشارت الجمعية على ما كان واقعا على أيامها في باقي المستعمرات من حرية الأديان مؤكدة

1. الإبراهيمي، عيون البصائر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، دط ، دت ، ص 188.

2. الإبراهيمي ، عيون البصائر ، ص186.

2- المصدر نفسه، ص 172

3- عمر بن قينة ، صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1993 ، دط ، ص

على أن الدول الإستعمارية الأوروبية كانت ترمي إلى تحقيق منافع مادية من مستعمراتها دون أن تثير مشاعر أصحاب البلاد، فعمدت إلى اللين لهم في الجانب الديني عكس فرنسا التي خالفت هؤلاء جميعا بل أنها ناقضت حتى نفسها وهي التي تزعم أنها بلد الحرية في جميع الميادين " ...قرأنا في سير الإنجليز في الهند فوجدناهم بالغوا في إعطاء الحرية للأديان حتى بالغوا حد السخافة وسوّوا في تلك الحرية بين قراء البقرة بالحق وبين عبّاد البقرة بالباطل ويسروا سبل الحجج حتى استمع معنى الاستطاعة، وقرأنا عن تلك الدويلات الاستعمارية وشهدنا أنها تحترم الأديان الموجودة في مستعمراتها حتى الوثني منها والمضاد لحضارة الإنسان والواقف في طريق الرقي العقلي ...ثم ما بالها خالفت نفسها وناقضت مبدأها؟ فهي في فرنسا تدين باللائكية وحرية الأديان ينص على ذلك دستورها ويجري عليه تعليمها، وتتأثر به أمتها وهي في الجزائر تتمسك بالإسلام هذا التمسك والتشدد في القيام به هذا التشدد والتعنّت في الانفصال عنه هذا التعنّت"¹.

خالفت فرنسا الاستعمار كلّه وشذت عن القاعدة وعاملت الإسلام من زاوية ضيقة" فهي تضايق الإسلام في الجزائر وتحتكر معابده وشعائره وتمتهن رجاله وتبتلع أوقافه، فلا مسجد إلا ما فتحته ولا إمام إلا من نصبته، ولا مفتي إلا حنفته أو ملكته ولا شيخ طريق إلا من سلكته ولا حاج إلا من حججته أو نسكته ولا صائم ولا مفطر إلا على يد لجنّتها، ولا هلال إلا ما شهد برؤيته قاضيها"²، فكل الدول الاستعمارية تحترم الأديان حتى الباطل منها و غير المعقول فإنجلترا شيخة الاستعمار التي بلغت فيه رتبة الاضطهاد المطلق فقد عملت في الهند وهي "أغلى جوهرة في تاجها وبأغنى مزرعة من مستعمراتها..."³ على إطلاق الحريات الدينية والتمكين لأهلها من الاهتمام بشؤون دينهم دون تضييق أو ازعاج ، ولهذا السبب ولأن الدين

1. أحمد طالب الإبراهيمي، عيون البصائر، ص 92.

2. المصدر نفسه، ص 92، 93.

3. المصدر نفسه ، ص 119.

الإسلامي كان يعاني من غطرسة القبضة الإستعمارية جعلت جمعية العلماء المسلمين تعمل على تطهير هذا الدين وتخليصه من الشوائب واعادة بهاءه ضمن أولى الأوليات وجعلته أول هدف لها ، فقد تفتنت الجمعية لعنصر التوحد عند المسلمين ألا وهو الإسلام فدعت الجماهير إلى أن يتجاوزوا النظر إلى العرق أو الإقليم أو اللون وأن يتوحدوا تحت راية أوسع وأعظم هي راية الإسلام وأن يكونوا اخوانا خاضعين للمنهج الإسلامي الذي لا تكون دولة إلا به ولا تساس الأمور إلا به، وفي المقابل حذرت الجمعية المسلمين من الفرقة التي تضعف الصف وتجعلهم لقمة سائغة للاستعمار لأن الإسلام والعروبة" إذا ذكرا ذابت القيود وتلاشت الحدود واجتمعت الأقطار على رحبها في بيت... ولو أتينا رشدنا لأقمنا كلمتي المسلم العربي، مقام هذا النسب المعروف في البلدان والقبائل"¹

وإنّ وحدة الأمة هي وحدة تاريخ ودين ووحدة مصير و " من المؤكد أنّه ما من أمة أو شعب شعر بضرورة البحث عن نفسه ومعرفتها إلا وقيل عن هذه الأمة أو هذا الشعب، إنّهُ سليم معافى وأنّه لمن آثار الشفاء والعافية، الرغبة و الدأب في البحث معرفة تاريخ الأمة أو تاريخ الشعب"²، وجمعية العلماء المسلمين حملت على عاتقها التعريف بالتاريخ الاسلامي لهذا القطر المغلوب على أمره جعلت الدين الاسلامي هو مركز الثقل وهو عنصر توحيد هذه الأمة وانصهارها في بوتقة واحدة .

أما الهدف الثاني الذي سطرته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ضمن مخططها الإنعاشي هو اعادة إحياء اللغة العربية وآدابها وإعادة زرعها في النفوس وترسيخها في العقول، فتصبح الألسنة تردددها في كل المجالات ويعود لها صيتها في جميع المحافل" والعمل على نشرها في البلاد

¹ . الإبراهيمي، آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، ج 1 ، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، دط ، 1978 ، ص 104 .

² محمد الزيتلي، فواصل في الحركة الأدبية والفكرية الجزائرية، دار البعث، الجزائر، ط 1 ، 1984 ، ص 68 .

بعد أن عمل الاحتلال على وأدها ودفن حضارتها في الجزائر أكثر من قرن من الزمن"¹، وجاءت جمعية العلماء لتحيا هذه اللغة وتدافع عن الهوية العربية للجزائر التي أراد الاستعمار الفرنسي أن يطمس معالمها ساعيا للقضاء عليها بشتى الطرق فقد" تكالب الاستعمار على محاربة الثقافة العربية بغية القضاء عليها ، فكانت أهدافه تحقيق سياسة الفرنسة والاندماج، ولما عجز عن فرض هذه السياسة بواسطة القوانين، استعمل التعليم الفرنسي كوسيلة أساسية لتحقيق هذا الهدف الشنيع، ولهذا أخذ منذ 1883 بفتح أبواب المدارس ليعلّم أبناء الجزائر اللغة الفرنسية، ولم يكن يهدف من وراء هذا التعليم إلى تثقيف المواطنين الجزائريين ورفع مستواهم، بل كان همه هو صهرهم في البوتقة الفرنسية"².

فالأصل والدين واللغة شرط أساسي لحياة أي أمة فمن أجلهم تسميت الشعوب وبهم تحيا وتزدهر، لذا ما فتئت جمعية العلماء تدعو الجزائريين إلى التمسك بهم والدفاع عنهم فهي " تدافع - أي جمعية العلماء - عن الذاتية الجزائرية التي هي عبارة عن العروبة والإسلام مجتمعين في وطن."³

من هذا المنطلق دافعت جمعية العلماء عن وحدة الوطن، فوقفت بالمرصاد لكل من سعى إلى تفريق شمل الجزائريين ولاسيما تلك الحملة المشبوهة التي جند لها الكتاب و المؤرخون الفرنسيون وغير الفرنسيين أقلامهم للإيقاع بين المواطنين الجزائريين وذلك بإشعال فتيل العداوة بين العرب والبربر قصد ضرب اللغة ففضحت الجمعية مناوراتهم الداعية إلى إحياء النزاعات القديمة ودغدغة بعض المشاعر الساذجة التي تتجاهل التاريخ وتهدم الأخوة الروحية بين أبناء الشعب الواحد" فليس في الوطن الجزائري بربري وعربي كما يوهمون وإنما هم جزائريون جمعهم

1. رايح تركي، التعليم القومي والشخصية الوطنية، ص ، 204.

2. أنيسة بركات درار، أدب النضال في الجزائر من سنة 1945 حتى الاستقلال، ص 2.52.

3. عبد الرزاق قسوم، الإبراهيمي بين اللفظ والمعنى، مجلة الموافقات، العدد4، ص 3.434.

الإسلام على تعاليمه ووحدهم العربية على بيانها¹ فقد حاول الاستعمار أن يضرب اللغة العربية بالبربرية حتى يزرع البلبلة في الأوساط الجزائرية، ويغرس التفرقة في النفوس وتضيع اللغة بين الجموع فالاستعمار " في جميع أعماله يرمي إلى توهين العربية بالبربرية وقتل الموجود بالمعدوم ليتم له ما يريد من محو واستئصال لهما معا وإنما يعتمد العربية بالحرب لأنها عماد العروبة وممسكة الدين أن يزول ولأن لها كتابة ومع الكتابة العلم والأدب ومع الأدب التاريخ ومع كل ذلك البقاء والخلود وكل ذلك ممّا يقيّض مضجعه ويطيّر منامه ويصخ مسمعه ويقصّر مقامه"² إنّ هذه الجمعية تعمل في المقام الأول على فضح التوجهات الاستعمارية التي تهدف إلى ضرب العربية بالبربرية لا حرصا منه على البربرية وإنما لطمس الهوية العربية للجزائر، لذا كان لزاما على الجمعية الدفاع عن العربية التي هي لسان العرب ومنبع معارفهم وثقافتهم وذلك إيمانا منها أن "... العربية لسان العروبة والناطق بأمجادها، الناشر لمفاخرها وحكمها فكل مدعي للعروبة شاهده لسانه وكل معتر بالعروبة فهو ذليل إلا أن تمده هذه المضغة اللينة بالنصر والتأييد"³ فكل من يريد العزة والكرامة عليه أن يحتفظ بلغته " وهيئات أن يتحرر شعب متنكر للسانه"⁴

إنّ جمعية العلماء كانت متفطنة لتلك المؤامرات التي كانت تحاك ضد الشعب الجزائري لذلك سطرت أهدافها وفق ما تستطيع أن تصل إليه مستقبلا" فالأهداف هي التي تتحكم في محتوى المنهاج وطرق التدريس فالأهداف هي العمود الفقري"⁵.

³ الإبراهيمي ، آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، ج 3 ، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، دط ، 1981 ، ص 42

الإبراهيمي آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ، ج 3 ، ص 188.

المصدر نفسه ، ص 57.

الإبراهيمي، في قلب المعركة، دار الأمة، الجزائر ، ط 1 ، 1994 ، ص 197.

ميلود معزوي، جمعية العلماء المسلمين، ص 51.

لذلك نلاحظ أن الجمعية وهي تسطر أهدافها ركزت على ما يخدم الأمة الجزائرية المسلمة العربية، فمن الدين الإسلامي وإعادة تنويره إلى اللغة العربية وإعادة بناءها نجدها أيضا سطرت هدفا آخر يجمع بين الهدفين الأولين ويعزز الروابط بين الجزائريين وإخوانهم العرب المسلمين فجعلت الهدف الثالث " المحافظة على الشخصية الوطنية بكل مقوماتها الثقافية والحضارية والدينية والتاريخية والوطنية ومقاومة سياسة الاحتلال الرامية إلى القضاء عليها"¹.

والمحافظة على الشخصية الوطنية لا يكون إلا بإحياء الإسلام وإحياء اللغة العربية وإحياء التاريخ الإسلامي وجعل الفرد الجزائري يشعر بل يتأكد أنه جزء من هذا الوطن العربي الكبير، وأن له تاريخ حضاري يشرفه ويربطه بإخوانه العرب. فكما دافعت جمعية العلماء عن وحدة الجزائريين دافعت أيضا عن العالم العربي الإسلامي، وأن كل الجهود التي بذلها الاستعمار خلال قرن من الزمن في تفريق الأمة العربية الإسلامية ستبوء بالفشل المخزي لأن هذا الوطن إنما وطن واحد ومصيره واحد وكل الجهود الساعية إلى بذر العداوة والبغضاء فيه وفك وحدته وتكتله سيكون مآله الخذلان " لأنه مادام الإسلام عقيدة وشعائر وقرآنا وحديثا وقبلة واحدة فالمسلمون كلهم أمة واحدة، ومادامت اللغة العربية لسانا وبيانا وترجمانا فالعرب كلهم أمة واحدة، كل ذلك كما أراد القدر المقدور والطبيعة المطبوعة والأعراق المتواصلة والأرحام المتشابكة"²، فالجمعية كانت ترى أن الإسلام والعربية المحوران اللذان يوحدان الأمة العربية والإسلامية فمستحيل لأي كائن أن يقضي عليهما.

. رابع تركي، التعليم القومي والشخصية الوطنية، ص 204¹

. الإبراهيمي، آثار الإمام البشير الإبراهيمي، ج 3، ص 2.63.

فهي تتوعد وتهدد كل من تسوّل له نفسه النيل منهما " فحين تمتد الأيدي الآثمة إلى حمى الدين وحمى القومية العربية أو حين يتساهل السياسيون في حقها، فإن الجمعية في ذلك كلمتها الصريحة التي لاجمحة فيها والموقف المشرف الذي لا هوادة فيه"¹.

دافعت الجمعية عن الهوية العربية للجزائر التي حاول الاستعمار أن يطمس معالمها، متخذا التجنيس والتنصير والادماج وسائل لإبعاد الشعب الجزائري عن الأمة العربية فيغربه رغم أن العروبة جذم بشري من أرسخها عرقا وأطيبها غدقا، فعرفه التاريخ باديا وحاضرا، وعرف فيه الحكمة والنبوة، وعرفته الفطرة لأول عهودها فتبنته صغيرا وحالفته كبيرا... إنَّ الشعب الجزائري فرع باسق من تلك الدوحة الفيئانة وزهرة عبقة من تلك الروضة الغناء، عدت عليها عوادي الدهر فنسي مجد العروبة ولكنه لم ينس أبوتها وابتلاه الاستعمار- عن قصد- بالبلبله فانحرفت فيه الحروف عن مخارجها إلا الضاد..."²، فالعروبة تمتد بجذورها في أغوار التاريخ رغم مكائد الإستعمار المتوالية للقضاء عليها وذلك بضرب أهم مقوماتها الأساسية المتمثلة في التعليم العربي " وتؤكد مختلف الكتابات الفرنسية على هذا التحول الذي أصاب التعليم العربي الإسلامي نتيجة الإحتلال، وقد جاء في إحداها أن التعليم التقليدي- وهو الذي سميناه الأصلي- قد توقف عن أداء مهمته لظروف الحرب من جهة والإستيلاء على الأوقاف من جهة أخرى وهجرة المعلمين أو نفيهم من جهة ثالثة. فقد خربت المدارس الثانوية وهي التي كان منها يتخرج العلماء وغادر المتعلمون الزوايا القريبة من مراكز الإحتلال..."³ وقد دعت الجمعية إلى التثبيت بالمقومات الأساسية للدولة الجزائرية إيمانا منها أنه لا تكون أمة في الوجود إلاّ بتثبيت مقوماتها" ...وترى أن وجود تلك المقومات شرط لوجودها، فإذا انعدم الشرط

. المصدر نفسه، ص، 1.42

1. إبراهيمي، آثار الشيخ إبراهيمي، ص 5.

. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 3، ص 253

انعدم المشروط... ثم يفيض عليها مجموع تلك الحالات إلهام لا يغالب ولا يرد، تلك المقومات متى اجتمعت تلاحقت، ومتى تلاحقت ولدت وطننا"¹.

وقفت الجمعية حاجزا صلبا أمام هذه المحاولات لمسح الشخصية الوطنية العربية الإسلامية الجزائرية، وعاملت الإستعمار والذين يقفون معه بقاعدة الإسلام التي تعتبر الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها أخذها، ففرقت بين الحضارة الغربية من جهة وبين أنصار التغريب من جهة أخرى " فهذا الفريق المزور على الإسلام الذي لا صلة له بما لا كسب له فيه، كاسمه ولقبه يرى أنه لا نجاة للمسلمين إلاّ بالانسلاخ عن ماضيهم ودينهم، والانغماس في الحضارة الغربية ومقتضياتها من غير قيد ولا تحفظ"².

إنّ جمعية العلماء تشدد على التمسك بالماضي العربي الأصيل، كما أنّها تدعو إلى الأخذ بأسباب التقدم والتطور الذي يدور الماضي والحاضر فيه في حلقة مترابطة وتكشف نوايا الاستعمار في سلخ الشعب الجزائري من ماضيه العريق وسياسته في التعليم خير دليل على ذلك " فهم يذكرون أبناءهم بماضيهم ويلقنوهم سير أجدادهم وأعمالهم وأنهم يذكرون أبناءنا المتأثرين بعلومهم وصناعاتهم بذلك ويأتون بما يملأ عقولهم ونفوسهم حتى لا يبقى فيها متسع لذكريات ماضيها وأسلافنا"³.

لقد فطنت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لأسلوب الغرب الإستعماري في سلب العقول قبل الأوطان، لذا جعلت من أهدافها البحث عن الماضي التليد للجزائر وبناء مستقبل جديد " فمن الواجب على قادة النهضة الإسلامية وحماتها أن يرسلوا صيحة جهيرة وراء هذا الجيل الراحل عن الديار بروحه وعقله وهواه ليرجع إليها وليس براجع إذا عرف لماذا يرجع،

³ - الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1997، ص 44.

¹ - الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1994، ص 310.

- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج3، ص384.

وماذا يجد إذا رجع فلنعرّفه أنه سيجد ما إيا مشرقا يتصل بحاضره اتصال الفرع بالأصل، وسيجد تاريخا حافلا وذخائر عقلية ومجالات روحية تمكن له في الإنسانية الكاملة وتضمن له جميع المتع العقلية والفكرية والروحية¹ فالحضارة موروث إنساني لا يحق لأحد احتكاره ويحق لأي إنسان أن ينهل مما وصلت إليه من تقدم وإزدهار .

لقد ظهرت جمعية العلماء والمجتمع الجزائري يعيش مزيجا من السلوكيات غريبة حل بها الضعف والانحطاط فغابت المقومات وظهرت سلوكيات لا علاقة لها بالإسلام وعادات استفحلت في المجتمع الجزائري كالزواج بالأجنبيات وما ينجم عنه من خطر على الشخصية الوطنية العربية الإسلامية " ويمكن تلخيص برنامج العلماء في هدفين رئيسيين: يتمثل الأول في تصفية الإسلام مما علق به من الشوائب ومحاربة خمود الزوايا وإحياء اللغة العربية ومعالم التاريخ القومي الإسلامي، وإنشاء المدارس والمساجد الحرة وفصل الدين عن الحكومة، وتوعية وتنقيف الشعب الجزائري صغاره وكباره وتربية الشباب تربية عربية إسلامية ومحاربة الآفات الاجتماعية بكل أنواعها والوقوف ضد محاولة مسح الشخصية الجزائرية ومحو معالمها التاريخية والهدف الثاني فكان استرجاع استقلال الجزائر وتكوين دولة عربية إسلامية² ، وإن كان الهدف الثاني بعيد المدى وهو يتراءى لجمعية العلماء في الأفق الشاسع ، فقد أكدت عليه في أكثر من مناسبة والدليل على ذلك قول رئيسها الإمام ابن باديس حين صرّح في سنة 1936 " إنّ الاستقلال حق طبيعي لكلّ أمة من أمم الدنيا وقد استقلّت أمم كانت دوننا في القوة والعلم والمنعة والحضارة... فكما تقلبت الجزائر في التاريخ، فمن الممكن أن تزداد تقلبا مع التاريخ وليس من العسير بل إنّه من الممكن أن يأتي يوم تبلغ فيه الجزائر درجة عالية من الرقي المادي

المصدر السابق ، ص 26.

¹ . ينظر بوالصفاصاف عبد الكريم، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية

1931 - 1954. ص 108

والأدبي وتغيير فيه السياسة الإستعمارية، وتصبح البلاد الجزائرية مستقلة استقلالاً واسعاً، تعتمد عليها فرنسا اعتماد الحرّ على الحرّ.¹

هذا الهدف الذي كان يتراءى في الأفق البعيد عملت لأجله الجمعية بلا هوادة غير عابئة بالقيود فقد "صمدت في وجه الطغيان بقوة إيمانها وعزيمتها الصادقة، وأخذت تعيد بناء الحركة الوطنية مستمدة العبرة من الدروس التي تعلمتها في طورها الأول غير مبالية بقرار الحكومة ولا بتعنت المتعنتين"²، فرغم مالمقيه أعضائها من نفي وزج في السجون وتعذيب وتحقير، سارت نحو هذا الهدف وانطلقت انطلاقاً لا يكبحها كبح تدفعها عزيمة قوية وشعور حي نحو الحياة في غد أفضل للجزائر، وبذلك فإن جمعية العلماء تعتبر "أعظم نعمة أنعم الله بها على اللغة العربية في الجزائر عبر تاريخها النضالي العريق، وفي صراعها الحضاري العميق مع المستعمر هي نعمة تهيئة المناخ لإنقاذها والحفاظ على جذوة بقائها ولقد تمثل هذا المناخ في بزوغ فجر جمعية العلماء المسلمين بالدفع فلم يهيئ للغة العربية في الجزائر هيئة أكثر رسوخاً وأعمق تجذراً في أعماق الشعب الجزائري كجمعية العلماء...³.

ثالثاً : أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

إنّ تحقيق أهداف الجمعية التي سطرتمها وتجسيدها على أرض الواقع وإخراجها من دائرة الأقوال إلى دائرة الأفعال، كان يستلزم انتخاب فريق من الرجال يتحملون عبء هذه الأهداف، رجال يعرفون الواقع الجزائري ويعيشون معاناته ويضعون أيديهم على موضع الألم في المجتمع "هؤلاء الأشخاص الذين كانوا جلهم مشهورين بالاسم فقط، قد لعبوا أدواراً مختلفة جداً ووظائف متميزة للغاية في صلب مدرسة الشهاب وقد خدمت مواهبهم المتنوعة القضية

. الشهاب ، ج3، عدد جوان ، سنة 1936، ص 145، 146.¹

¹ . محمد قنانش، الحركة الاستقلالية في الجزائر بين الحربين 1919 - 1939، الشركة الوطنية للنشر ، والتوزيع، الجزائر، دط ، 1982، ص52.

² . عبد الرزاق قسوم، اللغة العربية في العهد الاستعماري، مؤسسة عالم الأفكار، الجزائر، ط1 ، 2007، ص 7

الإصلاحية وفق طرائق تعبير مختلفة، فقد كان بينهم العقائدي الرصين والخطيب المصقع والسجالي المتحمس والشاعر الملتزم و الصحافي وهذا من باب الحديث عن أبرز المواهب¹، وقد عمل هؤلاء الأشخاص ضمن فريق واحد متكامل كل يقوم بدوره حسب حاجة المجتمع إليه، رجال ألف بينهم حب الوطن وسعدت بهم الجزائر فقد كان من حظها "السعيد و من مفاخرها التي تتيه بها على الأقطار أنه لم يجتمع في بلد من بلاد الإسلام فيما رأينا وسمعنا وقرأنا مجموعة من العلماء: وافة الحظ من العلم مؤتلفة القصد والاتجاه مخلصه النية متينة العزم متحابة في الحق مجتمعة القلوب على الإسلام والعربية قد ألف بينها العلم والعمل مثلما اجتمع للجزائر في علماءها"².

كان هؤلاء العلماء ذخر الأمة ونبراس هديها إجتمعوا على كلمة واحدة واعلاء الحق ورسموا طريق الحرية وساروا نحو الهدف بخطى ثابتة، يبذلون كل ما في وسعهم لخير هذه الأمة يضحون بالغالي والنفيس ليروا الجزائر الوطن و قد خرج من محنته .

رجال " جمعتهم وحدة الهدف والمشرب والغاية، اتصفوا بغزارة العلم ورجاحة العقل وثبات الجأش و الوطنية الصحيحة لهم الباع الطويل في التحصيل والدراية و التحليل لا يفزعون مهما طمى سيل الباطل وكيف يتزعزعون وبعضهم لبعض ظهيرا؟ وهم على الإسلام الذي لا ذل معه والغنى الذي لا فقر معه فهم بمثابة القلب من الجسد"³.

إنّ هؤلاء الرجال هم غرة مشرقة في جبين الدهر حملوا لواء الإصلاح دون خوف ولا وجل رجال خرجوا من رحم الأزمة ليصنعوا مستقبلا للأجيال فأحيوا مبادئ اللغة العربية في العقول ورسخوا مبادئ الإسلام في النفوس وأرشدوا الضال إلى السبيل الأمثل وعلموا الجاهل فهم

1. علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، ص 101.

2. محمد خير الدين، مذكرات، ج1، ص 121.

3. علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، ص 101.

سليل شعب ليس كالشعوب فهم " رجال يؤثرون في زمنهم يدفعهم إلى ذلك نبوغهم... وهم من شعب تعرض للعدوان في جسده وأرضه وثقافته وخيراته فانطلق في وثبة جماعية يرفع للحرية نصبا في كل جبل من جباله الشاهقة"¹، فكان هؤلاء العلماء مصايحا منيرة في ليل الاستعمار المظلم الحالك وكانوا فجرا سطع في سماء الجزائر بعد طول انتظار وكانوا الانبعاث الذي سيعم أرض الجزائر فهم القادة الذين سيوجهون المركب نحو شاطئ النجاة ، وهم دعاة النور الذين راحوا يعملون كل ما بوسعهم لنشر هذا الضياء في الأوساط الجزائرية وراحوا يكونون جيشا يدافع عن هذه الأمة" فجمعية العلماء اتخذت على عاتقها مقاومة المستعمر بواسطة المدرسة الروحية، وهذه المدرسة هي عبارة عن ثكنة عسكرية لتحضير جيش مسلح بسلاح روحي..."²، لذلك وبعد تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في 5 ماي 1931 اجتمع المجلس الإداري التابع لها لتشكيل الأعضاء فكان التقسيم كالتالي:

- | | |
|-------------------|---------------------------|
| رئيسا | 1- عبد الحميد بن باديس |
| نائب الرئيس | 2- محمد البشير الإبراهيمي |
| كاتب عام | 3- محمد الأمين العمودي |
| نائب الكاتب العام | 4- الطيب العقبي |
| أمين مال | 5- مبارك الميلي |
| نائب أمين مال | 6- ابراهيم بيوض |
| مستشار | 7- المولود الحافظي |

³. بوعلام بسايح، أعلام المقاومة الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي بالسيف والقلم 1830 1954، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007، ص19.

. زهور أسعد، ثورة العلم من ابن خلدون إلى ابن باديس، دار هومة، الجزائر، دط، د.ت، ص 39.2

8- مولاي بن الشريف مستشار

9- الطيب المهاجيمستشار

10- السعيد البحري مستشار

11- حسن الطرابلسي مستشار

12 - عبد القادر القاسمي مستشار

13- محمد الفضيل البراتيمستشار¹

كان هذا التشكيل في العام الأول لتأسيس الجمعية لأن بعد ذلك تشكلت لجنة أخرى في العام الثاني تضم تقريبا كل الأعضاء الذين تشكلوا في العام الأول فقد "شهد العام الثاني من تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بداية ميلادها الحقيقي ومساهمتها في الحركة الإصلاحية في بلادنا فقد كان هذا العام حدا فاصلا بين العهدين و مرحلة انتقال من الفوضى والإضطراب إلى التنظيم والعمل الدقيق، فقد خابت مؤامرات أعداء المصلحين وردّ الله كيدهم في نحورهم وتأسس المجلس الثاني من رجال جمعت بينهم الرغبة الصادقة في الإصلاح والتعاون على البر والتقوى، لم يدخروا جهدا في سبيل تحقيق غايتهم النبيلة وسادت بينهم مبادئ الأخوة الصادقة فحقق الله على أيديهم خيرا كبيرا للعباد والبلاد"²، و جاءت القائمة الثانية للمجلس الإداري للجمعية بعد انتخاب نزيه قام به الشيوخ العلماء، " وتم توزيع الأدوار توزيعا دقيقا بمقتضى المناطق الجغرافية."³

¹. ينظر محمد البشير الإبراهيمي، كيف تكونت جمعية العلماء، الشهاب، ج5، م7، عدد ماي 1931، ص341 إلى 344.

. محمد خير الدين، مذكرات، ص 120.²

³. بوعلام بسايح، أعلام المقاومة الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي بالسيف والقلم 1830 1954، ص 261.

وقف إذن هؤلاء العلماء أمام عاصفة الإستعمار محاولين إصلاح حال الأمة وتوجيهها إلى الحق الذي لا باطل معه فهم " رجالات الجمعية الذين حملوا مشعل الإصلاح وصارعوا ظلمات الجهل والانحراف وصبروا وصابروا من أجل الحفاظ على الشخصية العربية الإسلامية للشعب الجزائري وهم في ذلك كمثل السحاب ساقه الله إلى بلد ميت فلا يقلع حتى يجيئه

... وهو سائق هذه الجمعية لهذا الوطن المشرف على الموت... وإن جعل المطر سببا في إحياء هذه الأرض هو جعل هذه الجمعية سببا في إحياء هذا الوطن".¹

كان هؤلاء العلماء متأزرين يعملون لخير هذه الأمة وقد وصفهم الشيخ ابن باديس أبلغ وصف حين قال فيهم " صراحة في الرأي وصلابة الحق ورغبة في الخير، نعمل للصالح الأمة في دينها وديناها على نور الكتاب والسنة وهدى السلف الصالح، فتمسك الأمة بإسلامها وعروبته وتحافظ على قوميتها وتاريخها وتتناول أسباب الحياة والتقدم من كلّ جنس وكلّ لغة، وتعمل مع كلّ عامل لخير البشرية وسعادة الإنسان"² ، و لا نجانب الصواب إن قلنا أن الجزائر محظوظة بهؤلاء العلماء الذين قيضهم الله ليخرجوها من محنتها ويبعثوا فيها الأمل في الغد الأفضل من جديد، علماء التفوا حول رئيسها عبد الحميد بن باديس الذي كان " قوة روحانية تسري في العروق والدّماء سريان الكهرباء في الأجسام، فتهزها هزّا عنيفا، وتحدث فيها انقلابا مفاجئا، فتحوّنها من الخمول إلى اليقظة، ومن خرافات وأوهام إلى تفكير ونظر صحيحين ومن استسلام وخضوع للباطل وجنوده إلى شجاعة ومقاومة منطقية عاقلة..."³.

¹ . عبد الغني بن محمد، أتعرف على الشيخ عبد الحميد بن باديس ورفقائه رواد الإصلاح، دار السحار، الجزائر، دط، د.ت، ص 16.

. الشهاب، في افتتاحية المجلة، ج1، م14، عام 1938.²

. ابو محمد سمير سمراد، الشيخ بلقاسم بن أرواق، دار الفضيلة، الجزائر، ط1، 2008، ص 20.³

كانوا أقرب مساعديه وأصدقائه فكانوا بذلك ترجمان فكره، وقوة لا تقهر ولا تعرف اليأس والقنوط، وقد أسهم هؤلاء العلماء في بلورة مذهب الشيخ ابن باديس الإصلاحية بضمائر يقظة ومشاعر حية محاولين ايقاظ الشعب الجزائري من سباته العميق واخراجه إلى دائرة النور تولوا ومجدارة" المهمة الأساسية للحركة الإصلاحية التي هي التعليم الابتدائي للغة العربية للشبيبة الإسلامية والتربية الدينية للكهول عن طريق الدعوة في المساجد والمحاضرات والتظاهرات الثقافية في النوادي الإصلاحية"¹، ومن ثمّ تنفيذ برنامج الجمعية التي ضبط محاوره الإمام ابن باديس في اجتماعه مع أعضاءها الذين تفرقوا" على القطر كلّه يرشدون و يعظون ويزرعون الوعي، ويراقبون حركة التعليم ويحضرون أماكنه"².

لقد استطاع هؤلاء الرجال بفضل حبهم لوطنهم وإيمانهم بعدالة قضيتهم أن يوحدوا صفوفهم ويجمعوا كلمتهم فكونوا جماعة تفكر وتتدبر وتتشاور وتتآزر، وتسعى من أجل مصلحة الأمة فهم" علماء يخدمون الإسلام بتبيين حقائقه ونشر علومه بالجزائر، وما صنعه الاستعمار الفرنسي بها، يستشعر عن سماع اسمها كلّ ما رآه وسمعه من آثار الاستعمار، ويستشعر مع ذلك أنّ طريق هذه الجمعية شاق، وأنّ أعمالها صعبة، وأنّ تبعاتها ثقيلة..."³، ورغم ذلك حمل هؤلاء الرجال اللواء وساروا نحو تحقيق أهداف جمعيتهم والتي "هزّت المجتمع الجزائري هزّا عنيفا لأنّها لم تستعمل الخطاب السياسي الذي لا يفهمه كلّ الناس، ولا الخطاب المادي الذي لا يهم كلّ الفئات، وإتّما استعملت الخطاب العقلي والروحي (الدين، اللغة، التعليم) الذي لا يستغني عنه أحد في المجتمع"⁴، ومن ثمّ فقد وقف هؤلاء الرجال وقفة رجل واحد ضد الإستعمار وسياسته و أتباعه وقاوموا بصمود وتحدي كبيرين، هؤلاء الرجال الذين ما عرف

. علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، ص 129-1.

. مجلة الثقافة، العدد 87، 1985، ص 25-2.

. محمد البشير الإبراهيمي، في قلب المعركة، ص 106-107-3.

. مازن صلاح مطبقاتي، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية، ص 9-10-4.

الزمان مثلهم استطاعوا أن يوقفوا عجلة زمن الإستعمار ويخطون تاريخ جزائر عهد جديد ، فقد انتخب التاريخ هؤلاء الرجال الذين استطاعوا أن يخطوا أسماءهم في ذاكرة الشعب بأحرف من ذهب لتحقيق غايتهم المنشودة والتي من أجلها جندوا وهي العيش بكرامة في ظل الحرية والإستقلال، " هؤلاء العلماء الذين أشرنا إلى أبرزهم فقط كانوا ساعدا قويا للشيخ عبد الحميد بن باديس وعضدا له في كلّ الملمات وسندا قويا له في كلّ المواقف السياسية الحرجة التي وقفها دفاعا عن عروبة الجزائر وإسلامها وقوميتها وفيما قام به من أعمال جليلة في ميدان التربية والتعليم والإصلاح الديني والإجتماعي"¹.

لقد وقف هؤلاء العلماء في وجه الإستعمار محاولين تصحيح العقيدة من الإنحراف والدجل، وتنقية العبادة من البدع، وتركية الأخلاق، وتقويم الألسنة وتبيان الانتساب متحلقين " حول زعيم المدرسة الإصلاحية الإسلامية الجزائرية عبد الحميد بن باديس الذين كانوا من أبرز ممثلي المدرسة الإصلاحية خلال الفترة ما بين الحربين ويتعلق الأمر، بمحمد البشير الإبراهيمي، ومبارك المليي، وأحمد توفيق المدني، ومحمد العيد آل خليفة، والطيب العقبي"²، دون أن ننسى الآخرين الذين كان لهم الدور الفعال منذ تأسيس جمعية العلماء والنضال الطويل في صفوفها، وكانت لهم بصمة واضحة في تاريخ الجمعية من أمثال: محمد الأمين العمودي، والسعيد الزاهري، والعربي التبسي، الذين تحملوا المشقة والأتعاب، واحتضنوا الحركة الإصلاحية التي أينعت وازدهرت وعمت الجزائر من أدناها إلى أقصاها إذ " لا تكاد توجد منظمة وطنية تركت بصماتها على الحياة الجزائرية وأثرت على عقلية أهلها تأثيرا واضحا مثلما فعلت جمعية العلماء فقد كانت أكثر بركة على الجزائر من المطر"³.

¹ . رابح تركي، الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهضة لإسلامية الجزائرية المعاصرة، مورفم، الجزائر، ط2، 2003، ص 50.

. ينظر علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، ص 101. ²

³ . ينظر مازن صلاح مطبقاتي، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية، ص 9- 16.

فقد تمضي الأيام وتنطوي السنون تاركة وراءها ملفات وحكايات ودفاتر لرجال كانوا يصنعون أيامهم، ويلونون أحلامهم ويطبعون أفكارهم، رجال عاشوا بشعور حي نحو الحياة فأخذوا منها ضعف ما أخذت، وغابوا وتركوا ملفاتهم مفتوحة ليطلع الفضولي وينهل الباحث، ومن بين هؤلاء الرجال رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الذين استطاعوا رغم الظروف الصعبة وقهر الاستعمار وجبروته أن يسبقوا الزمان ويوقفوا التاريخ ليدخلوا من بابه الواسع ويتصدروا عصرًا من عصور تاريخ الجزائر السياسي والثقافي.

الفصل الثاني :

أدب الجمعية

أدب جمعية علماء المسلمين الجزائريين

إن الأدب موهبة وإبداع ينميها الاكتساب الجماعي، أما الموهبة فهي الجانب الفردي الذي يجعل الأديب أديبا يختلف عن الآخر في المجتمع نفسه، واللحظة نفسها لعوامل نفسية ووراثية وبيئية خاصة فيجعل من هذا شاعرا ومن ذلك قصاصا، ومن آخر كاتباً، وهكذا ... ومع ذلك فإن لهذه الفروق حد تقف عنده بحيث يستطيع الناقد أو المؤرخ أنيستخلص طابعا عاما أو خصائصا مشتركة لأدب حقبة معينة، وهذا ما جعل أدب مجتمع يختلف عن أدب مجتمع آخر في الحقبة نفسها، وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين استطاعت أن ترسم معالم أدب خاص بها، فالأدب ينمو في بيئاته ويتغير ويمر بمراحل مختلفة، تاركا في كل مرحلة بصمات فنية وموضوعية، تجعل لكل مرحلة ميزتها الخاصة، وتعطيها انفرادية، وعنوانا لوجودها، فمع ظهور هذه الجمعية، أصبح للأدب طابعا خاصا يلون هذه المرحلة فقد اتخذت الفئة المثقفة في هذه المرحلة طريقا غير طريق السلاح في الدفاع عن الجزائر ومقوماتها فسلكت طريق الإعلام والصحف خاصة بظهور الشهاب والبصائر للوجود واتخذت الجمعية هاتين الجريدتين منبرا حرا للتعبير عن ما آل إليه الوضع بالجزائر، كما لا ننسى أن المد والتنوير الذي حدث في هذه

الفترة بعودة المثقفين إلى أرض الوطن مما سهل وعبد الطريق أمام الفئات المثقفة لفهم كنه المستعمر واستخلاص عناصر الهوية الوطنية المستقلة عن الإستعمار، مما جعل تلك الفئة المثقفة تطالب بإنشاء النوادي والجمعيات لممارسة الأنشطة فكان مثلاً نادي الترقى " مجتمعاً لابن باديس وأصحابه من أعضاء جمعية العلماء الأسبقين، يؤمنونه كل حين فيسمعون فيه إلى المحاضرين الذين لم يكونوا إلا منهم، ويتحاورون في قضايا الأدب والسياسة والمجتمع والدين".¹، فنتج عن ذلك ظهور أدب خاص بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين " فالأدب في حصيلته لا يمكن أن يكون عملية تدعيم مستمرة ودؤوبة للجدار الذي بين الروح الإنساني والفناء المشرعة أسلحته عبر لحظات الزمن واستمراريته"² فكما عملت جمعية العلماء المسلمين على إعادة الإشراف والبهاء لدين الإسلام وإعادة غرس اللغة العربية في النفوس، عملت أيضاً على خلق أدب رفيع، يستحق أن يرسم بأدب الجمعية فكما يحتاج الإنسان إلى الدين نقيمن الخرافات يطهر نفسه، ويحتاج إلى لغة سليمة يعبر بها عما يحتاج أيضاً إلى الأدب يعبر عنه، وقد عبر عن ذلك الشيخ ابن باديس بقوله: " كما تحتاج الأبدان إلى غذاء من المطعوم والمشروب كذلك تحتاج العقول إلى غذاء من الأدب الراقى والعلم الصحيح، ولا يستقيم سلوك الأمة ولا تنقطع الرذيلة من طبقاتها وتنشر الفضيلة بينهم إلا إذا تغذت عقول

¹. عبد المالك مرتاض، نخضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر، 1925-1954. الشركة الوطنية

للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1983، ص 40.

². وليد خلاصي، المتعة الأخيرة، اعترافات شخصية في الأدب، دار طلاس، دمشق، ط1، 1986،

ص16.

أبنائها بهذا الغذاء النفيس، فنحن ننشر المقالات العلمية والأدبية وكل ما يغذي العقول من منظوم ومنتثور من الصحف الشرق والغرب وأقلام الكتاب الوطن ونقاوم كل معوج من الأخلاق والفساد من العادات ونحارب على الخصوص البدع التي دخلت على الدين الذي هو قوام الإخلاص فأفسدته"¹، والحقيقة أن جمعية العلماء بعدما اتخذت الصحف منبرا للنشر والإعلام، خصصت مساحة في هذه الجرائد للأدب فنجد مثلا في جريدة البصائر، ركن "الأدب الجزائري" تنشر فيه أشعار لشعراء جزائريين، أمثال، محمد العيد آل خليفة، أحمد سحنون.... وغيرهما كما نجد أن جريدة البصائر كانت تنشر أيضا مواضيع أدبية بأقلام غير جزائرية تشجيعا للأدب بصفة عامة، فجمعية العلماء كانت ترى أن " أمثل مادة تنفخ روح الحياة في الهياكل البشرية فتنعشها وتفيض عليها من الأريحية والإمتاع ما به قوام منآدها ومساك فضائلها وحفاظ مميزاتا هي مادة الأدب"² لذلك حرصت على ترسيخ مبادئ هذه المادة في النفوس وتجبب الناس فيها، وذلك بما كانت تنشره في أعمدة صحفها وتفتح فيه المجال للمناقشة وإبداء الرأي والحق في الرد لأن " قوام الأدب روح قوية مفعمة بحب الخير والجمال، طلعة إلى المجد، مغرمة بالمثل العليا تهيم بها، وتحببها للناس حتى يعتنقونها فيسعدوا... و نفس كبيرة ترتفع عن دنايا وتستصغر البلايا... و قلب رحب يتسع لآلام الجماعات وآمالها... ونظرة صادقة قلما يخطئها التوفيق... وشعور خصب يجد فيتأثر ويؤثر فيتدفق كأنما

¹. رايح تركي، الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث الأمة الإسلامية الجزائرية، ص215، 216.

². البصائر، العدد 1938 □ 108، السنة الثالثة، السلسلة الأولى، ص4.

يوحي إليه بالأسرار... وثقافة حية غنية مكيئة متماسكة أصلها ثابت وفرعها في السماء...
وذكاء وقاد يصرفها في مجاريها وخيال وثاب على النماذج يجمع شتاتها ويؤلف بين أجزائها
ويمزج بين ألوانها، ليخرجها في الإطار المبتكر رائعة ناضجة"¹.

وكتاب جمعية العلماء المسلمين كانوا من هذا الطراز، موهبة خارقة وذكاء وقاد وقلب يسع كل
آلام وآمال الشعب، والمتتبع لجريدة البصائر وتلك النماذج التي كانت تنشرها يدرك أن تلك
الأقلام إنما كانت تتغنى بآمال الشعب وطموحاته في الحرية والاستقلال، كما كانت تصاغ
بأسلوب عذب رائق الديباجة، " فالأدب الرفيع ما كان انساني الموضوع، مشرق الديباجة،
خالدا مستجدا مع الأيام، قويا رائعا في كل ترجمة"² لذلك فإن المواضيع التي كانت تنشر
على جريدة البصائر، كانت تتوافق وذوق القراء بالإضافة إلى أن كتابها كانوا يراعون أوضاع
المجتمع الجزائري ويحسبون حساب كل الفئات التي تطلها هذه الجريدة لأن " الأدب لا يكون
حيا إلا كان موافقا مزاج الكتاب وملائما لذوق القارئ"³.

وكتاب جمعية العلماء هم قادة الفكر وحملة لواء الأدب الجزائري وإن كانت جمعية العلماء قد
ركزت في البداية على الشعر فقد كانت أعمدة البصائر مثلا تحتوي في ركن " الأدب الجزائري "
على الشعر خاصة وذلك لأن هذه الجمعية كانت ترى في " الشعر قوة ذات سلطان على
النفوس فيجب أن تنصرف هذه القوة للجدل لا للهزل وللعمل ولا للكسل وللرجولة لا

1. البصائر العدد 19، 1948، س 2، ص 2.

2. البصائر، العدد 19، سل 2، ص 2.

3. البصائر، العدد: 125، سل 1، 1938، ص 4.

لتخنت ولتوجيه القوى القومية إلى المجد وتحويلها عن جو العناء الضائعة فيه الآن، تحت سقوف القهاوي والملاهي....¹ فالمواضيع الشعرية التي كانت تنشرها الجمعية هي ما يخدم صالح الأمة وما يثير فيها إحساسات بالواجب، القومي، فحاجة الأمة كانت هي المحرك الذي يدفع هؤلاء الكتاب إلى اختيار مواضيعهم، "... فهذه الشعوب الناطقة بالضاد أحوح إلى شاعر يأخذ بشبانها وشاباتهما إلى باب الحانة بأحاييل الغزل."² لذلك اختارت الجمعية كتابها بعناية فائقة فهم ضمير الأمة المعبر عنها، وهم حملة لواء الإصلاح، وهم من يقودون هذا الشعب إلى الطريق الصحيح بفضل المواضيع التي يتناولونها وينشرونها على الجرائد " فالكتاب يلبس قناع التنوير والكشف لأنه قادر على أداء ذلك الدور أو أنه مكلف به كوظيفة إجتماعية، بل هي إحدى وظائفه الرئيسية في الحياة"³

والأدب قبل كل شيء هو المحرك الذي تعول عليه الشعوب وهو الخلاص الذي تنشده، فهو المساحة الأخرى للذات والتي يجب أن يكون فيها الربيع ربيعا، والزهر زهرا، لأن الأدب في الحقيقة هو " رسالة يؤديها الأديب اتجاه شعبه ووطنه والظرف الذي وجد فيه الأديب هو الذي يحدد مضمون رسالته لا العكس، ففي مجتمع مستعمر استعمارا استيطاننا لا يمكن أن تكون سوى رسالة وطنية ثورية، هذه الرسالة يميلها الواجب والضمير والأخلاق، السامية

1. الشهاب العدد 113، السنة الثالثة، ص18.

2. المصدر نفسه، ص18.

3. وليد خلاصي، المتعة الأخيرة، اعترافات شخصية في الأدب ص19.

تميلها تعاليم الدين الحنيف وأداء الأديب لهذه الرسالة مجد له وشرف وكمال¹، وإن كانت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين قد أولت عناية كبيرة للشعر في بداية الأمر وهذا ما يتضح جليا في جريدة البصائر وخاصة في ركن " الأدب الجزائري...وذلك لما في الشعر من خصائص في صياغته ولأن الأذن تستسيغه و تطرب إليه أكثر خاصة بإيقاعه الموزون، وأيضا لأن " الشعر هو نبضه قلب قبل أن يكون لمعة فكر، وهو خفقه حياة قبل أن يكون فكرة ذهن وهو حالة نفسية قبل أن يكون قضية فكرية وهو ظلال إنسان قبل أن يكون التمتع أفكار ووسوسة أفئدة قبل أن يكون رنين ألفاظ"² من أجل ذلك إختارت جمعية العلماء من الشعراء من يكتب في هذا الباب إلا الأفذاذ، وقد نجد مثلا في جريدة البصائر وفي نفس الركن نجد أشعار كثيرة موقعة باسم محمد العيد آل خليفة ولو غرو في ذلك فقد كان محمد العيد آل خليفة " أول شاعر تشظى عنه صدفة النهضة في الجزائر وشعره أول شعر حي رافق النهضة العامة وحد قوافلها الموقدة فأطرب وهو أول شعر جرى في عنانها وسجل مراحلها"³ وقد مدحه ابن باديس وهو الشخصية الأولى في جمعية العلماء المسلمين بقوله: " بالشاعر العظيم روح الجزائر العربية المسلمة الحساسة"⁴ ولم يبخل محمد العيد آل خليفة بأشعار فقد كان يرصع

1. مصطفى حمودة، مفدي زكريا وإنتاجه الأدبي في مرحلة ما قبل الاستقلال أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في

الأدب الجزائري الحديث بإشراف محمد الزمري، جامعة تلمسان، 2009-2010، ص583.

2. السيد قطب، كتب وشخصيات، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط1، 1983، ص49.

3. أبو القاسم سعد الله، محمد العيد آل خليفة ، دار الشروق، بيروت القاهرة، ط1، 1883، ص49، مصر

ط2، د، ص8

4. الشهاب، أبريل، 1934، ص223

الجريدة بأجل القصائد في كل مناسبة، كان شاعرا حقيقيا من هؤلاء الأوائل الذين أفنوا حياتهم في خدمة الأمة " فالشاعر الحقيقي، هذا اللقب إذن هو الذي يحس بالحياة إحساسا عميقا ويترجم عنها للأحياء وهو الذي صاغته الحياة ليكون واسطة بينها وبين أبنائها الآخرين¹ وكان يرصد مسار النهضة الوطنية وفي تربية الحركة الأدبية في الجزائر بوجه خاص، ويعمل من أجل سعادة هذا الشعب لأن " الواجب أن يكون للأديب غاية يرمي إليها ويجتهد حتى يصل إلى التأثير في الشعب " ² خاصة إذا كان هذا الشعب مغلوبا على أمره، يقف بين أنياب المستعمر من جهة وتفشى الأمية والجهل من جهة أخرى، لذلك فإن جمعية العلماء وحتى وصولها إلى كل الجماهير عملت على إحياء اللغة العربية ونشرها في أوساط الجزائرية وذلك عن طريق الإهتمام الكبير بحركة التعليم العربي في الجزائر فالتعليم " لم يدخله التطور إلا عند ظهور الحركة الإصلاحية...ومن الممكن وصفه بالتعليم الأصلي باعتباره تعليما يمثل المنهج التربوي الذي مارسه أجيال المتعلمين، وباعتباره الحافظ على التراث القومي في وجه الغزو الحضاري الأجنبي...وكان أهله يكافحون به بعد عجزهم عن مكافحة الإستعمار والإحتلال بالسلاح... " ³ ومن ثم فقد أولت الجمعية اهتماما كبيرا لهذا الجانب، وفعلا استطاعت وفي سنوات قليلة أن تنير الطريق أمام الجماهير وتستقطب إليها الأنظار، والذي يطالع أعداد جريدة البصائر يلاحظ أن جمهورها كان من كل الفئات وأنها فتحت الباب

1. سيد قطب، مهمة الشاعر في الحياة وسفر الجيل الجديد، دار الشروق، بيروت، دط. د.ت، ص17.

. البصائر، العدد، 12، سل1، 1938، ص5.

. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، 1830-1954، ص17.

للأفلام حتى لا تركز إلى السكون وأضاءت الدرب أمام العقول حتى لا يخيم عليها الجهل والجمود.

وقد اتخذت من أعمدها مساحة لكل من يحاول أن يترك بصمة أدبية" فالتاريخ الفكري والثقافي لأية أمة هو القياس والأداة الفعالة لوزن وقياس مدى نهضتها ورفيها وتقدمها ومدى مشاركتها في تشيد الحضارة الإنسانية المحلية والعالمية"¹ لذلك حرصت جمعية العلماء المسلمين على أن تطرق كل الفنون، وأن يكون لها بصمة في الحركة الأدبية في الجزائر، وبذلك تصبح مرحلة هامة من مراحل الأدب الجزائري الذي يؤرخ لها، ويبحث فيها لأن " الكتابة أصبحت مع تطور الزمن حاجة وشكلا جماليا للتعبير عن محاولة الإنسان الدائبة في التعبير عن ذاته في شكلها الفردي والجماعي"²، وجمعية العلماء ومن خلال الفنون التي طرقتها عبرت عن حاجات الفرد، وظلت أعمالها خالدة تعبر عن جميع جوانب المشكلات الاجتماعية والأخلاقية والسياسية .

وبقي كتابها في ذاكرة الأجيال تحتفظ لهم بالجميل، وتقيم لهم الاحتفالات لأنهم كانوا بحق من هؤلاء الرجال الذين " لا تسجل أنسابهم ولا صورهم ولا أموالهم في سجل الإنسانية شرائعها ورجالها، وإنما تسجل أعمال الذين أخرجوا الناس من فوضى اجتماعية إلى نظام اجتماعي

¹ . يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج1، دار البصائر الجزائر، 2009، ص7.

. وليد خلاصي، المتعة الأخيرة، اعترافات شخصية في الأدب، ص235.

توارثته الإنسانية بعدهم، وإنما تسجل المبادئ التي تفضى إلى ظلها الإنسانية حين تظفي على

الإنسانية الجوائح التي تجتاح الناس بسوط عذابها ولهيب نيرانها"¹

استطاعت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، أن تطرقفنون الأدب الجزائري، وتجعل لها روادا

وأعلاما لهم قضايا يدافعون عنها، وأصبح أدبهم فنا قائما بذاته له أصحابا وأدباء وأدوات

وطرقا وإبداعا.

وستتطرق للأنواع الأدبية التي نواشتها أقلام كتاب جمعية العلماء المسلمين، والتي تكشف لنا

طبيعة أساليب تلك المرحلة في التصوير والتعبير، فهي تعتبر وثائق تؤرخ لذلك العهد وتكشف

خباياه وأسراره في مختلف الشؤون .

1. محمد صالح رمضان، إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس، ص290.

المبحث الأول : فن الشعر و الخطابة و المقال :

أولا : فن الشعر :

إذا كان الشعر هو أسرع الملكات تعبيرا عن نفسية الفرد، و بالتالي عن نفسية المجتمع، فإننا بذلك نستطيع أن نجد في هذا الشعر ما يميز بلاد عن بلاد، و ما يفصل مرحلة عن مرحلة، والشعر الجزائري عبر مراحل المختلفة كانت ميزته الأساسية ارتباطه بالحركة الوطنية " حتى إذا ما استطاعت الحركة الإصلاحية أن تكون اتجاهها بارزا منذ الثلاثينات في الحركة الوطنية كان الشعر صوتها المكافح وأداتها المبلغة"¹، فقد شهد الشعر الجزائري مع ميلاد الحركة الإصلاحية بالجزائر قفزة نوعية بسبب الفكر الإصلاحي، و كانت الجريدة الشهاب منبرا اتخذه رجال الإصلاح الشعراء يطلقون منه قصائدهم المعبرة، الراضية للوضع الذي آلت إليه الجزائر نتيجة الاستعمار الذي دمر البلاد و العباد، و قد كانت قصائدهم تنضح بفكرهم الإصلاحي وواقعهم الوطني مما يجعلنا نتساءل عن معنى الإصلاح و ما المقصود بالشعر الإصلاحي.

" فالإصلاح هو محاولة رد الاعتبار للقيم الدينية و رفع ما أثير حولها من شبه وشكوك قصد التخفيف من وزنها في نفوس المسلمين، و هو محاولة السير بالمبادئ الإسلامية من نقطة الركود

1. شلتاغ عبود، حركة الشعر الحر في الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985. ص 67.

التي وقفت عندها حياة المسلمين إلى حياة المسلم المعاصر، حتى لا يقف مسلم اليوم موقف المتردد بين أمسه و حاضره عندما يصبح في غده"¹، قد ظهر الإصلاح الديني كمبدأ عام يهدف إلى إعادة الإشراق إلى الدين الإسلامي و تطهيره من الخرافات والبدع التي عمل الاستعمار الفرنسي على ترسيخها في العقول، و امتد هذا الإصلاح ليشمل النواحي الاجتماعية و السياسية .

و حمل العلماء هذا المشعل لينيروا به الطريق أمام الجماهير و ظهرت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تتبنى مبدأ الإصلاح في الجزائر في الثلاثينات تحاول أن تصلح المجتمع من جميع نواحيه فظهر الشعر الإصلاحى ليواكب هذه الحركة الإصلاحية، و هذا النوع من الأدب الذي ظهر في هذه الفترة ظهر " بمعناه أنه أدب حي ملتزم يهتم بالفرد من حيث ما هو مضطرب في مختلف مناكب الحياة"²، و عبّر عن آهات هذا المجتمع، تأمل واقعه محاولاً إصلاحه" فالشعر الإصلاحى مرتبط بين مفهومين : مفهوم القيم الدينية و الحضارية والإنسانية و بين نهضة المجتمع بكلّ ما تطلبه هذه النهضة من ظروف و عوامل و وسائل وأهداف"³.

كان الشعر الإصلاحى يهدف إلى وصف الواقع الذي تدهور إلى درجة تفسى فيه كلّ ما هو غير أخلاقى ولا دينى، ثم أن الإصلاح لم يمس الحياة السياسية فقط و لم يمس الجانب الثقافى ودور الأندية في ترقية الشباب و تنمية العقول بل تعزز ذلك بصوراً أخرى عن أمراض المجتمع من طفولة مشردة، و شباب متسكع، فاستعرض الشاعر تلك الصور القائمة متخذاً

¹- محمد البهي، الفكر الإسلامى الحديث و صلته بالاستعمار الغربى، دار الفكر، بيروت، ط6، 1973، ص421.

². عبد الملك مرتاض ، نهضة الأدب العربى المعاصر فى الجزائر(1925-1954، ص13.

³. محمد الطاهر يجياوى، أحاديث فى الأدب و النقد، شركة الشهاب، الجزائر، د ط ، دتص.15.

من الشعر أداة للتعبير عن ذوات مخدرة الإحساس فيستنهض محمد العيد آل خليفة المهم،
معبرا عن الوضع المأسوي في تلك الفترة فيقول:

"قِفْ مَعِيَ الْيَوْمَ فِي الْجَزَائِرِ وَ أَسْبِرْ *** غَوْرَ أَحْوَالِهَا بَعَيْنِوْ أَدْزِنْ
بِحْدِ الطِّفْلِ فِي الْأَرْقَةِ يَلْهُوْ *** وَ الْفَتَى يَشْرَبُ الْحَمْرَ وَ يَزْنِي
وَ فَشَا الدَّجْلُ فَالْوَلَايَةُ دَعَاوِيْ *** كُلُّ ذِي سَبْحَةٍ تَطُولُ وَ دَقْنِ."¹

و محمد العيد لا يصف الداء دون أن يعطي الدواء و لا يجعل هذه الوضعية خاتمة المطاف
لمجتمع يئن تحت وطأة الاستعمار، تحاصره الضغوط من كل ناحية، و إنما يمهّد لصرخة مدوية
للأخذ بأسباب النهوض من إصلاح في العقيدة و اعتزاز بالقومية و طموح الأمازيغ و بناء
المدرسة و تعليم المرأة فيقول:

« أَحْرِسُوا حَقِّكُمْ فَقَدْ سَبَقَ حَسَنًا *** لَا تَنَامُوا عَنْ حَقِّكُمْ لَا تَنَامُوا.
وَ جِّهُوا وَجْهَ سَعْيِكُمْ لِلْمَعَالِي *** فِي أَهْدَافِهِ وَ نُحْنُ السِّهَامُ
وَ اجْعَلُوا الدِّينَ رَأْدًا وَ إِمَامًا *** لَيْسَ كَالدِّينِ رَأْدٌ وَ إِمَامٌ »²

إنّ الشعر الحقيقي هو الذي يحمل عبق زمانه و مكانه في تناغم إنساني عميق ، والشعر
الإصلاحى، استطاع أن ينقل أجواء المجتمع و يدافع عن كيان الأمة من أجل تحرير الوطن
واللغة و الدين، فقد كان يهدم كل وضعية يريد الاستعمار أن يجعلها قانونا، و يحارب كل آفة
يريد الاستعمار أن يجعلها شريعة " والانغماس في هذه الموبقات سببها الجهل ، فالفكر
الإصلاحى يركز على هذه النقطة بالذات، لأن الأمية وضعف الثقافة و عدم العناية بالتعليم

1 . أبو القاسم سعد الله ، محمد العيد آل خليفة ، ص 265 .

2 . صالح الخرفي، الشعر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1984، ص 205-.

و كذلك الابتعاد عن القرآن والحديث من هدي و نصح، أدى إلى ما يتخبط فيه المجتمع من حيرة واضطراب"¹.

و قد استطاع الإصلاح على صعيد جمعية العلماء أن يبعد الخطر على الروح الوطنية و يخلق بها في شعور إنساني عائم، و يستنهض أبناء هذا الوطن بصفاتهم أبناء الضاد لتحرير العقيدة واللغة و ذلك من أجل تحرير هذا الوطن.

و واكب الشعر هذه التعبئة و كان زعيم الجمعية ابن باديس يدرك أبعاد التعبير الشعري عن المواقف التاريخية و التي لا يخلدها إلا الشعر، ففي ذروة التأزم ، وفي ذلك المخرج الخطير من المسيرة النضالية و تشابك الطرق و خطورة الخطوة يرقى الشعر إلى مستوى التعبير الخالد فكان ابن باديس ضمن خطبه وافتتاحيته الثورية بعض من الابيات الشعرية إيماناً منه بأن الشعر له سلطان قوي على النفوس و من تلك الأبيات هاته التي ذيلت بها خطبته في الذكرى الثانية للمؤتمر الإسلامي يقول:

"أَشْعَبُ الْجَزَائِرِيِّ رُوحِي الْفِدَا *** لِمَا فِيكَ مِنْ عِزَّةٍ عَرَبِيَّةٍ
بُنِيَتْ عَلَى أَرْكَانِهَا *** فَكَانَتْ سَلَامًا عَلَى الْبَشَرِيَّة"²

فلا غرو أن يصبح الشعر الإصلاحي أداة يجارب بها الشاعر الأوضاع الساندة آنذاك، وإذا كان الجهل قد تفسى بصورة واضحة جعل الشاعر في تلك الفترة يدعو إلى نشر العلم والفضيلة و مقاومة أعدائهما و اقتلاع قتل الجهل والرذيلة و قهر أنصارهما مثلما نجده في قصيدة محمد العيد آل الخليفة الذي يدعو المسلمين إلى النهوض مسترشدين بدينهم الإسلامي الذي هو دين عز و قوة وعمل ومجد إذ يقول:

"بَنِي الْإِسْلَامِ أَحْيُوا الدِّينَ أَحْيُوا *** شَعَائِرُهُ وَ أَوْفُوا بِالْعَهْدِ

¹ عبد الله الركبي، الشعرالديني الجزائري الحديث، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائري، 1981، ط1، ص-56

² . أبو القاسم سعد الله ، محمد العيد آل خليفة ، ص206.

فَدِينُ مُحَمَّدٍ دِينُ التَّرْقِي * * * * وَ مَجْدُ مُحَمَّدٍ مَجْدُ الخُلُودِ¹

لقد حاول الشعر الإصلاحى أن يعيد للإسلام بهاءه، فإصلاح العقيدة أولاً كان شغل شاغل هؤلاء الشعراء « وكانت فلسفتهم في فهم الأخلاق مستمدة من فهمهم العميق للإسلام ذاته و هو أنهم كانوا يريدونه أداة قوية لمقاومة المستعمر الأجنبي»²، و بذلك كانت قصائدهم تعكس الحياة في تلك الظواهر التي ظهرت في المجتمع الجزائري كظهور الطريقة و التي اتخذ منها الشعراء موقفا خاصا و عبروا عنه في قصائدهم مثلما نجده عند الشيخ العقبي الذي يصور الوضع المتردي الذي وصلت إليه الحياة الدينية إذ يقول:

"مَاتَتْ السُّنَّةُ فِي هَذِهِ الْبِلَادِ * * * * قَبْرَ الْعِلْمِ وَ سَادَ الْجَهْلُ سَادَ

وَ فَشَا دَاءُ اعْتِقَادِ بَاطِلٍ * * * * فِي سُهُولِ القُطْرِ طَرًّا وَ النِّجَادَ

عَبْدُ الكُلِّ هَوَاءَ شَيْخِهِ * * * * جَدُّهُ ضَلُّوا وَ ضَلَّ الاعْتِقَادَ

حَكَمُوا عَادَاتِهِمْ فِي دِينِهِمْ * * * * دُونَ شَرْعِ اللَّهِ إِذْ عَمَّ الفَسَادُ"³.

فالشيخ العقبي يصور الوضع الذي آلت إليه الحالة الدينية في المجتمع الذي تفتشت فيه البدع والخرفات و الأباطيل فاصبح للطرفين أتباعا يتحكمون فيهم دون اللجوء إلى شرع الله فعَمَّ الفساد في البلاد و في نفس المجال يتحدث محمد العيد آل خليفة محذرا من هذا الفساد الذي امتد إلى الدين إذ يقول:

¹ - صالح الخرفي، الأدب الجزائري الحديث تاريخا وأنواعا وقضايا و أعلاما ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1995، ص68.

² - محمد ناصر، أبو اليقظان و جهاد الكلمة ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1983، ط 2، ص261.

³ . المنتقد، العدد، 8، 20، أوت ، السنة الأولى ، 1925 ، ص 261

«لَا تَعْبَثْ وَيْحَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مُفْسِدًا *** إِنَّ الْحَيَاةَ مُحَارِمٌ وَ حُدُودٌ

تَدْرِي إِلَى مَنْ أَنْتَ فِيهَا كَادِحٌ *** أَمْ أَنْتَ فِيهَا إِلَاهٌ كَنُودٌ»¹

لقد ضاق الشاعر المصلح بالوضع الذي آلت إليه العقيدة الإسلامية من انحراف تفشى في البلاد و غداة التكالب الأعمى على المادة فوجد مثلا العقبي يصور ما وصل إليه بعض رجال الزوايا و الطرق:

« وَ قَدْ زَعَمُوا أَنَّا لَسُلُوكَ لَدَيْهِمْ *** حَقِيقٌ وَ هُمْ فِي بَحْرِ أَهْوَائِهِمْ عَزَقَى

قَدَانْتَشَرُوا بِالْعَيِّ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ *** فَلَمْ يَتْرُكُوا عَرَبًا وَ لَمْ يَتْرُكُوا شَرْقًا

وَ قَدْ أَوْلَعُوا بِالْفُسْطِقِ سِرًّا وَ جَهْرَةً *** فَحَيْثُ تَرَاهُمْ تُبْصِرُ الْخُبْثَ وَ الْفَسْقَا

دُعَاةٌ ضَالِّلٍ مَنْ أَجَابَ نِدَاءَهُمْ *** أَضَلُّوهُ عَنِ دِينِ النَّبِيِّ فَمَا أَشَقَى»²

إن الشيخ العقبي يشن هجوما واضحا على رجال الطريقة كاشفا لأعيابهم فهم أينما حلوا يحل معهم الفسق و الخبث و دعوتهم دعوة باطلة لأنها تحيد عند دعوة المصطفى، و الشيخ العقبي يحاول أن يحرك النفوس بشعره و يذكرهم بواجبهم نحو دينهم محذرا الذين يتبعونهم وهذا هو الشعر الحقيقي و هنا تمكن فائدته « فالشعر الذي لا يحرك نفوس العامة و لا يذكرها في واجبها المقدس و وطنها المفدى فهو خيانة كبرى و خنجر مسمم في قلب المجتمع الشريف»³ لذلك نجد شعراء تلك المرحلة يحاولون أن يستنهضوا الهمم و يذكروا هذا الشعب بعظمة وطنه، فهذا محمد العيد آل خليفة يستنهض أبناء وطنه فيقول:

1- الشهاب، السنة التاسعة، المجلد التاسع، 1937-1936، ص322

2- الشهاب العدد 119، 27 أكتوبر 1927.

3- الشهاب العدد 108 السنة الثالثة، ص159.

"يَا قَوْمُ شَعْبَكُمْ أَحَاطَ بِهِ الْأَذَى *** وَسَطًا عَلَيْهِ الْجَهْلُ وَ الْإِمْلَاقُ
وَ الْوَهْمُ عَشَعَشَ فِي الرُّؤُوسِ فَأَطْرَقَتْ *** وَ الْوَهْمُ شَرُّ بَلَائِهِ الْإِطْرَاقُ
حَطَبَ الْجَمَادُ الْحَيِّ فَاضْطَرَبَتْ لَهُ *** وَ تَمَوَّجَتْ بِحِطَابِهِ الْأَفَاقُ"¹.

و يواصل محمد العيد آل خليفة في استنهاض و الدفع بالشعب إلى الأمام إذ يقول:

"يَا حُمَاةَ الْبِلَادِ يَا فِتْيَةَ الضَّادِ *** تَرَى لَكُمْ مِنَ الرَّأْيِ مَعْنَى
سَارَ حَيْرَانِكُمْ مَعَ الْعَصْرِ شَوْطًا *** وَ وَقَفْتُمْ مَا بَيْنَ وَهْمٍ وَوَهْنٍ
تَحْتَشَّى الْقَوَى تُقَاسُونَ مِنْهَا *** مَا تُقَاسُونَ مِنْ أَدَى وَجَبِّي
أَيْنَ مِنْكُمْ مَهَابَةٌ وَ أَنْصَافَ *** أَمْ سَكَنْتُمْ إِلَى احْتِقَارِ وَ عُبْنِ.
لَا تَقُولُوا هَانَ الْجُدُودُ فَهِنَا *** سَاءَ نَشِئُ لَهُ بِهِمْ سُوءَ ظَنِّ"²

فالشاعر هنا يدعو شعبه إلى المضي إلى الأمام و عدم التكاثر و التراخي والسكون إلى الإحتقار و الغبن فهم سليل قوم أمجاد يتشرفون بأن ينتسبوا إليهم، لأن أجدادهم هم العظماء الذين كان لهم صيت في كل مكان.

و نجد محمد العيد آل خليفة يدعو إلى الإصلاح الديني بعد أن ظهرت الطريقة في البلاد فيتحدث عن هذه الظاهرة قائلاً:

"وَ فَشَا الدَّجَلُ فَالْوَالِيَةُ دَعَوَى *** كُلِّ ذِي سَبْحَةٍ تَطُولُ وَ ذَقْنِ
وَ غَلَا الْقَوْمُ فِي الْوَالِي فَظَنُّوا *** أَنَّهُكَالِإِلَهِ يُعْنِي وَ يُقْنِي
وَ تَنَادُوا فَوَدَعُوا مُصْلِحِيهِمْ *** وَ مَتَى كَانَ مُصْلِحٌ غَيْرُ سُنِّي"³

1. أبو القاسم سعد الله - محمد العيد آل خليفة، ص-245.

2. الشهاب، السنة التاسعة، 1936-1937/ص453 .

3. أبو القاسم سعد الله ، محمد العيد آل خليفة ، ص 111.

فهو يتحدث عن الدجالين الذين كثروا في البلادو اتخذوا الدين غطاء لدعوتهم فوجد محمد العيد آل خليفة يذكر هؤلاء بأن الدين هو إذعان للرب الواحد، و أن الله قد أرسل الأنبياء ليهدوا أقوامهم من قبل فلا حاجة أن يعرفوا هذاالدين فيقول:

الدِّينُ إِذَا كَانَ لِرَبِّ وَاحِدٍ *** سُبْحَانَهُ هُوَ غَافِرُ الْآثَامِ
وَ لِكُلِّ قَوْمٍ شِرْعَةٌ مَسْلُوكَةٌ *** وَ الْأَنْبِيَاءُ أَدِلَّةُ الْأَقْوَامِ
لَكِنَّمُخْتَرِي الدِّيَانَةَ حَرَّفُوا *** أَحْكَامَهَا وَ مُسَيِّطِرِي الْحُكْمِ"¹

و نجد محمد العيد آل خليفة يهيب بالدعاة أن يخوضوا أمواج الشك و الإلحاد ويسمو بها إلى اليقين و الرشاد فيقول:

"يَا مُشْهَرِينَ مِنَ الْعَرَا *** نِمِ مِثْلَ مُرْهَقَةِ الْأَسَلِ
حُوضُوا بِهَا الْأَمْوَاجَ وَ أَعْلَى الشَّعْبِ وَ اقْتَلِعُوا الْقِلْبَ
مَنْ قَالَجَلَّ عَدُوَّكُمْ *** قَالُوا لَهُ الْمَوْلَى أَجَلٌ
نَحْنُ الدَّعَاةُ وَ لَأَوْتَى *** نَحْنُ الْحُمَاهُ وَلَا وَجَلٌ"²

ثم إن الشعر الإصلاحى لم يتطرق فقط إلى مواضيع الطريقة و إصلاح الدين الإسلامى فقط فقد نجد الشاعر قد اهتم أيضا بالجانب الاجتماعى و إصلاحه فقد كانت المرأة مثلا موضوعا اتخذه الشاعر مجالا لأشعاره خاصة إذا رأينا أن بعض الشعراء كانوا ينظرون إلى المرأة من وجهة نظر اجتماعية محضة فالمرأة فى مجتمع إسلامى كنز ثمين يجب المحافظة عليه كما أن تعليمها كان من الأولويات خاصة و أن جمعية العلماء المسلمين بنفكرها الإصلاحى قد حملت لواء التعليم عاليا و حاولت أن تعيد للعربية نصاعتها وللدن الإسلامى بهاءه، و حالة المرأة

¹ - أبو القاسم سعد الله ، محمد العيد آل خليفة ، ص 269.

² - المرجع نفسه ، ص 266.

في المجتمع الجزائري الذي كان يتخبط في ظلام الإستعمار كانت مزرية إذ يصفها الشاعر محمد العيد آل خليفة بقوله:

«بِحَدِّ الطِّفْلَةِ الْيَتِيمَةِ تَشَقَّى *** تَحْتَ خِذْرِ يَبُوءُ أَوْ تَحْتَ خِذْنِ

أَوْ لَدَى الْبَيْضِ نَصْرُوهَا وَ قَالُوا *** أَذْرَكْتَهَا يَدُ الْمَسِيحِ بِحُضْنِ»¹

فالمرأة قد وقعت بين مخالب المبشرين ينزعون عنها ثوب الإسلام و يلبسونها ثوب التنصير لذلك واجب على علماء هذه الأمة تعليم المرأة حقائق الشرع ووسائل الوقاية و العفاف، ثم أن التعليم سيجعل منها امرأة متقدمة الذكاء تميز بين ما هو صالح و طالح و بذلك تسلك السبل الواضحة و ترسم لنفسها طريقا وسط غياهب الشك و المغريات فيقول في ذلك:

«عَلِّمُوا الْمَرْأَةَ الْحَقَائِقَ فِي الدِّينِ فَقَدْ طَوَّحَتْ بِهَا الْأَوْهَامِ

عَلِّمُوهَا كَيْفَ الْوَقَايَةِ مِمَّا هَاجَمَتْهَا بِشَرِّهِ الْأَيَّامِ

لَا تُعْرِثَنَّهَا بِضَاعَةُ نَحَّاسِينَ كَانَتْ بِهَا الْإِمَاءُ تُسَامِ»²

لقد كان الشعر الإصلاحى يصف ما وصل إليه المجتمع من انهيار دينى و خلقى، و هذا الوصف لم يكن يقصد منه الشاعر مجرد الوصف، بل كان يناشد في شعره العلماء أن يقوموا بدورهم في إصلاح هذا المجتمع و السير به إلى الطريق الصحيح و في ذلك يقول محمد العيد آل خليفة :

«أَيُّهَا الْمَسْلُومُونَ طَالَ بِنَا الْكَرْ *** بُ فَهَلْ لَنْفِرَاجِهِ مِنْ تَسَن

حَاشَ اللَّهُ أَنْ يُعَيَّرَ بِشَعْبٍ *** مُسْتَجِرٍ بِلُطْفِهِ مُسْجَنِ

أَرْقُبُوا اللَّهَ فِيهِ وَ أَهْدُوا حَيَارَى *** مِنْهُ ضَلُّوا سَبِيلَ جَنَّةِ عَدْنِ

وَاعْتَزَمُوا عُقْدَةَ الْعَقِيدَةِ لِد *** بَيْنَ نَفُوهَا مِنْ كُلِّ فَتَقٍ وَ فِتْنِ»¹

³. المرجع نفسه ، ص 266.

¹. أبو القاسم سعد الله ، محمد العيد آل خليفة ، ص 266

فالشاعر يدعو أهل الإصلاح إلى هداية الضالين و الحيارى و حماية هذه العقيدة من الفتن التي يقصد بها الطريقة التي تفتت في المجتمع، ثم يدعو الشاعر رجال الإصلاح إلى نشر أفكارهم دون خوف أو جبن لأنهم ينادون بالحق و الحق لا يهزم مهما طال الزمن فيقول:

«وَأَتَّبِعُوا حَقَّهُمْ مِنَ الْعَيْشِ عَدْلًا*** لَا تَمَلُّوا الْقَسْوَةَ أَوْ الْجُبْنَ
ازْفَعُوا صَوْتَكُمْ بِهِ وَاسْتَمِئْتُوا*** فِيهِ لَا تَيَأْسُوا وَ لَوْ أَلْفَ قَرْنٍ
صَرَخَتْهُ الْحَقِّ فِي الْمِسَامِعِ تَنْقُ*** ضُ كَسْتَهُمْ مِلءَ الْفَضَاءِ مَرْنٍ²»

لقد اتخذ محمد العيد آل خليفة الحفلة التي أقامتها مدرسة الشبيبة الإسلامية في السابع والعشرين من رمضان و ألقى بها هذه القصيدة مذكراً أهل الإصلاح من الأمة بواجبهم نحوها، و في قصيدة أخرى يستمر الشاعر في دعوى رجال الإصلاح ليقوموا بدورهم المخول لهم في نشر الفضيلة في المجتمع فيقول:

« وَكُنْ عَلَى الْبَغِيِّ حَرْبًا لَا تَكُنْ سِلْمًا *** فَالَنْصُرُ لِلْحَرْبِ لَيْسَ النَّصْرُ لِلْسِلْمِ
لَا تَخْشَ سَيْفَ مَنْ الْبَاغِي وَ لَا قَلَمًا *** فَمَعَارَةُ اللَّهِ فَوْقَ السَّيْفِ وَ الْقَلَمِ
الظُّلْمُ فِي الْأَرْضِ سَارَ كَالظَّلَامِ بِهَا*** وَ كَاشِفُ الظُّلْمِ فِيهَا كَاشِفُ الظُّلْمِ³»

رجال الإصلاح حسب الشاعر هم المنارة التي تستقطب إليها كل الناس و هي المنارة نفسها التي تشع ضياء و نورا يهدي الحائرين و الضالين كما نجد الشاعر مبارك محمد بن جلواح يهب برجال الإصلاح اللذين حملوا راية الإصلاح على عاتقهم، فيذكرهم بواجبهم نحو هذه الأمة التي أصبحت تتخبط في ردهات الجهل و الفساد الذي طال كل المجتمع فيقول:

يَا حَامِلِي رَايَةَ الْإِصْلَاحِ فِي وَطَنِ*** صَالَ الْفَسَادُ بِهِ فِي فَيْلَقِ الْجُبِّ

² .الشهاب ،السنة التاسعة ، 1936 1937 ،ص163.

¹ .الشهاب ، السنة التاسعة ، 1936 . 1937 ، ص 163 .

² .الشهاب ، السنة التاسعة ، 1936 . 1937 ، ص577.

³ .الشهاب، السنة الحادية عشر ، 1936 □ 1935،ص203.

لَا تَسْأَمُوا الْجِدَّ فِي إِصْلَاحِ حَالِهِ مَنْ *** بَأَثُوا مِنْ إِصْلَاحِكُمْ فِي السُّخْطِ وَالْغَضَبِ

فِيهِمْ فَقَدُوا الْإِحْسَاسَ مِنْ أَلَمٍ *** لِمَوْتِ جَهْلٍ بِهِمْ هَذَا السَّالِفِ الْحَقْبِ

لَوْ كَانَ عِنْدَهُمْ مَا كَانَ عِنْدَهُمْ *** مِنَ الشُّعُورِ لِمَا بِنْتَنَا عَلَى شَجَبٍ¹

إن الأمراض التي تفشت داخل المجتمع جعلت الشاعر الإصلاحى يحاول أن يرصدها ويصفها قصد إيجاد الدواء لدى المصلحين، و لم يترك الشاعر أي جانب إلاورصده فمثلا ظاهرة "الربا" و التي مست المجتمع حاول الشاعر أن يوجه لها أنظار المصلحين فقد انتشر الربا وتنافس فيه الناس و نسوا حكم الله فذهبت سعادتهم من جراء ذلك.

"وَكَمْ دَاسَ الرَّبَا أَعْنَاقَ قَوْمٍ *** وَ لَوْلَاهُ لَسَادُوا مُنْعَمِينَا"²

فالابتعاد عن الشريعة الإسلامية جعلت الناس ينغمسون في المحرمات، لذلك انتشر الربا في الأسواق.

« وَ تَفَشَى الرَّبَا بِسُوقِكَ حَتَّى *** لَيْسَ عَنْهُ لِلْكَاسِبِينَ حِيَادٌ³ »

ثم يذكر الشاعر الناس بتعاليم إسلامية و أن الرجوع إليه و إلى قيمه هو المنهج الصحيح فيقول:

أَلَا يَا قَوْمُ مَا الْإِسْلَامُ هَذَا *** وَ دِينُ اللَّهِ رَبُّ الْعَالَمِينَا

أَتَى الْإِسْلَامُ يَأْمُرُنَا بِعِلْمٍ *** وَ سَيْرٍ فِي الْمَنَافِعِ مَا حَيِينَا

وَ جَمَعَ بَيْنَ دُنْيَانَا وَ أُخْرَى *** تُدِيرُ قَوْلَ حَيْرِ الْمُرْسَلِينَا⁴.

1. عبد الله الركيبي، الشعر الديني الجزائري، ص564.

2. الشهاب السنة الحادية عشر، 1935 1936، ص285.

3. المرجع السابق، ص 566.

فالاتبعاد عن القيم السامية للدين الإسلامي جعلت المجتمعتندهور وتتفشى فيه الأمراض لأن
الوازع الديني غائب عند هؤلاء القوم.

و بالإضافة إلى هذه الأمراض التي أصابت المجتمع نجد أيضا ظاهرة تفتت هي الزواج
بالأجنبيات و ما ينتج عنه من تبعات و قد وقف لها الفكر الإصلاحى بالمرصاد، و نجد
الشاعر الأمين العمودي قد خاض معركة الشعر الإجتماعى الساخرو تحدث فى شعره عن
هذه الظاهرة إذ يقول:

"حَيِّ الطَّبِيبِو لَأ تَنْسَى قَرِيبَتَهُ *** فَهُوَ (سُلَيْمَانُ) وَ المَادَامُ (بَلْقَيْسُ)
لَهُ غُلَامٌ أَطَالَ اللهُ مُدَّتَهُ *** تَنَازَعَ الْعَرَبُ فِيهِ وَ الْفَرَنْسِيْسُ
لَأ تَحْذُلُوهُ إِخْتَانَ مِلَّتَهُ *** فَصَفُّهُ صَالِحٌ وَ التَّصْفُفُ مُورِيْسُ"¹

فى هذه الأبيات يصور حالة طبيب جزائرى تزوج بفرنسية و أنجب منها « ابن » فأسماه الأب
«محمد صالح» و سمته أمه «موريس» و الشاعر هنا يتجاوز الخلاف فى الاسم لأنه
سيتمادى إلى تربية الطفل هل ستكون تربية عربية إسلامية جزائرية أم تربية فرنسية .
و فى موضوع آخر نجد الشاعر أيضا يذكر الناس بأنهم مسلمون لذلك وحب عليهم اتباع
تعاليم الإسلام فىقول متسائلا فى بيت شعري.

«قُلْ لِلَّذِينَ تَمَادَوْا فِي غَوَايَتِهِمْ *** هَلْ فِي قُلُوبِكُمْ يَا قَوْمُ إِسْلَامٌ؟²

و فى موضع آخر يعاتب الذين تخلوا عن دينهم، و عمت أبصارهم عن تعاليمه فىقول:

«أَسْفَى عَلَى قَوْمٍ هُمْ دِينٌ وَ هُمْ *** عَن دِينِهِمْ فِي عَقْلَةٍ وَ دُھُولِ

صُمُّ لَوْ حَاطَبْتَهُمْ وَ وَعَظْتَهُمْ *** بِفَصَاحَةِ الْحَنَسَا وَفَقِهِ حَلِيلِ

1 . محمد الأخضر السائحي ، محمد الامين العمودي الشخصية المتعددة الجوانب، دار الهدى ، الجزائر، ط3، 2005
ص،61.

2 . المرجع نفسه ،ص76 .

3 . المرجع نفسه ،ص82.

بُكُمْ إِذَا فُرِضَ الْحَوَارُ عَلَيْهِمْ *** أَمْرًا مَعْرُوفٍ وَ تَرَكَ رِذِيلَ
 عُمِّيَعْنَ الْآيَاتِ، أَعْدَاءُ لِمَنْ *** يَبْغِي السُّلُوكَ بِهِنَّ لِحَيْرِ سَبِيلٍ¹
 فهو يخاطب الذين نسو دينهم و يتأسف عليهم لأنهم باعوا عقيدتهم فلا الخطب والوعظ،
 أفادهم و لا الأمر بالمعروف و التذكير بآيات القرآن أثرت فيهم.
 كذلك نجد محمد العيد آل خليفة يشارك الأمين العمودي في دعوته إلى الرجوع إلى الدين
 الإسلامي فيقول:

شَرَعَ الْإِلَهَ الدِّينَ الْإِتِّبَاعِ *** وَ دَعَا إِلَيْهِ الخَلْقَ لِإِفْتِنَاعِ
 فَإِنَّهُ بَادِرٌ بِالرُّجُوعِ مُلَبِّياً *** قَبْلَ الْقَضَاءِ عَلَيْكَ بِالْإِرْجَاعِ
 وَ أَحَدَزَ شِرَاكَ الشِّرْكَ فَهِيَ كَثِيرَةٌ شَتَّى المَظَاهِرِ جَمَّةُ الْأَنْوَاعِ²

لقد كان النهوض بالإسلام، و تنقيته من الأباطيل و الخرافات، و التبعية الرخيصة الإستعمار
 حجر الزاوية في شعر الإصلاحين فعلى عتبة المستعمر التقت الطرقية المنحرفة بالدين
 الإسلامي لتقديم « دلائل الإخلاص ، و استطاع الدخيل بذلك أن يحكم الخناق على الدين
 في البلاد على المستوى الشعبي و الرسمي. فضمنت له الطرقية قيادة الجماهير في القرى
 والأرياف وضمن له المشايخ الموظفون عواصم البلاد بتربعهم على كراسي الإفتاء و التعليم
 فيها»³ ، و أصبح الشعب يتخبط في دوامة بين الطرقية و الإستعمار، يحاول الشاعر
 الإصلاحى أن يقوده إلى الطريق الصحيح فيصور ذلك الواقع و ذلك الانحراف الديني الذي
 انقادت له البلاد و امتلأت به رؤوس العباد فنجد الشاعر محمد السعيد الزاهري يصور ذلك
 الانحراف الديني بقوله:

¹ . بشير كاشة الفرحي، إمام المجاهدين الشهيد العربي التبسي، دار الأفاق، الجزائر، 2004، ص92.

² . صالح الخرفي، شعراء من الجزائر، الحلقة الأولى، معهد البحوث والدراسات العربية، مصر، 1969، ص42.

«لَوْ الْأَلَى ابْتَدَعُوا فِي دِينِنَا (طُرْقًا) *** لَمَا تَشَتَّ أَمْرَ الدِّينِ وَ انْقَسَمَا

تَنَاسُوا دَعْوَةَ اللَّهِ صَادِقَةً *** فَأَكْثَرُوا اللَّغْوَ وَ الْأَقْوَالَ وَ التُّهْمَا

هُم يَنْكُرُونَ عَلَى دَاعِي الْهَدَايَةِ مَا *** لَا يَنْكُرُونَ عَلَى مَنْ يَعْبُدُ الصَّنَمَا»¹

فقد كان محمد سعيد الزاهري من الشعراء الإصلاحيين الذين حاربوا هذه الظاهرة وكشفوا هؤلاء الطرفين، و انتقدوهم في قصائدهم، و لم يكن يكتب ذلك بين السطور .بل كان يكشفه للعيان و في عناوين قصائده دليل على ذلك فنجد من قصائده (الإنحراف الديني) و (الطرقية) و كانت قصائده شواذ من نار في وجه هذا الإنحراف الديني الذي كان يغذيه الاستعمار من جهة و يزيكه الجهل السائد من جهة أخربوشعب أصبح يقوده شيخ جاهل واستعمار جائر يقول:

« يَا وَيْحَنَا مِنْ أُمَّةٍ لَمْ تَتَّبِعْ *** فِي الدِّينِ غَيْرَ مَشَايخٍ وَ ذُنَابِ

قَسَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَعْنَامًا لَهُمْ *** فَالْجَاهِلُونَ لَهُمْ مِمَّا لَأَذْنَابِ

مَلَكُوا عَلَى الْبُسْطَاءِ مِنْجَهَالِنَا *** مَا كَانَ مِنْ مُهْجٍ وَ مِنْ أَسْلَابِ »²

فالزاهري يتأسف و بتحسر على هذه الأمة التي حاولت فرنسا مسح كيانها و ذلك حين إمتدت يدها الأثمة إلى الدين الإسلامي ، فجعلت الأوقاف تابعة لهاوجعلت المشايخ موظفين لديها.

فأصبح الموظف يئن تحت وطأة الجهل بدينه، و قد أقعده الفقر الذي انتشر في الأوساط الجزائرية، فأصبح مسلوب الإرادة يتبع المشايخ دون أن يفقد شيئاً.

« لقد تسلط على هذه الأمة عواملو تسلط عامل واحد منها على أمة كبيرة، لززع ركنها و هدّ بناءها، ألا و هي الجهل، و الفقر، و الفرقة، فالجهل أفقدها شعورها بوجودها، وكيف

. المرجع نفسه ،ص71.1

1 . صالح الخري ، شعراء من الجزائر ،ص91.

تذب عنه، و الفقر أفقدها عن العمل، و شلّ أعضائها عند الحركة، والافتراق أذاب قوتها ذهب بريحتها فبقيت و الحالة هذه عرضة للتلف و الاضمحلال والهلاك، و هي نتيجة طبيعية لتلك الحالة المحزنة التي جرّ إليها الظلم و الاستبداد¹

هذه أوضاع الجزائر كما يصفها أبو اليقظان فهذه الأمة خدرها الإستعمار بجهروته و ظلمه وطغيانه فانزلت في الهاوية تتخبط في بؤس قاتل، ونجد محمد سعيد الزاهري يصف حالة الجزائر يومئذ بنعمة حزينة و رؤية تشاؤمية تخنقه كلماته كما خنق الاستعمار الجزائر فيقول:

« أرى الجزائر في أنياب بؤس بمضغها مضغاً، و أراها في فقر يأكلها أكلاماً، و أراها بعد ذلك تتخبط في جهالة عمياء، و تعمه في ضلال مبين ... إنه ليكاد يقضي على الكمد، و يقتلوني الأسي، إذا أنا تذكرت ما كان لوطني من العزة والشرف، و ما كان له من السيادة على الفرنجة ثم أراه صار بعد ذلك كله إلى الذل و الهوان»².

هذه الحالة التي صبغت الجزائر في تلك الفترة جعلت للشعر الإصلاحية فيها جولات وصولات تقوده كوكبة من الشعراء الذين حفر الألم في أعماقهم بعنف فكانوا دعاة إصلاح ديني و اجتماعي و هم «يلتزمون هذه الوجهة لتأثر خاص بالحركات الإصلاحية في الشرق العربي و الإسلامياستنكار تلقائي للحالة المتعفنة في الجزائر»³، فراحوا يصدحون بأشعارهم،

². صالح الخرفي، الشعر الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، د.ت، ص16.

¹. محمد الهادي الزاهري، شعراء الجزائر 1، المطبعة التونسية، 9261 ص62.

². صالح الخرفي، الشعر الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، د.ت، ص16.

مصورين الحالة التي آلت إليها الجزائر و الأمل يحدوهم في استنهاض الهمم، و ايقاظ تلك العقول التي خدرها الإستعمار و زادت عليه الطريقة مثلما نجده عند الشيخ العقبي الذي حاول أن يفضح رجال الطريقة الذين اتخذوا من الدين وسيلة يتصيدون به أموال الشعب اليائسيزيدوه في فقره مستغلين جهله إذ يقول:

« فَمَا لَطُرُقِي فِي هَذَا الزَّمَانِ مُجَادَةً *** وَ لَكِنَّهَا يَبْنِي بِهَا أَهْلَهَا الرِّزْقَا
تِجَارَةً قَوْمٍ عَاجِزٍ سَبِيلَهُمْ *** سَبِيلَ ضَلَالٍ جَانِبُوا الهمَّ وَ الصِّدْقَا
وَ شَيْخَهُمُ الأَثَقَى، الوَلِيُّ بَرَعِمِهِ *** إِذَا مَا رَأَى مَالًا، أَمَالَ لَهُ عُنُقَا
أَوْلِيكَ عِبَادُ الدَّرَاهِمِ، وَيَلُهُمْ *** سَيَمَحُّهُمْ رِي، وَ أَمْوَالُهُمْ مُحَقَا
مَتَى أَلْقَهُمْ، أُبْصِرُ شَيَاطِينَ فِتْنَةٍ *** وَ يَأْلَيْتَ أَيُّ لَأَ أَرَاهُمْ وَ لَأَ أَلْقَى
قَدَانْتَشَرُوا بِالْعَيِّ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ *** فَلَمْ يَتْرُكُوا غَرْبًا وَ لَمْ يَتْرُكُوا شَرْقًا¹

و الملاحظ أن الشعر الجزائري في هذه الفترة أي الفترة ميلاد الحركة الإصلاحية بالجزائر، قد حلق بالقصيدة بعيدا، و أصبح مرتبط بمعنى الأصالة و التراث، و مال ميلا إلى القديم، و تشبث بكل ما يحافظ على الشخصية العربية الجزائرية كرد فعل ضد وسائل التبعية الاستعمارية، و«بناء على ذلك كان على الشعراء الإصلاحيين أن لا يخرجوا على القوانين الموروثة للشعر العربي لأن ذلك يشكل علامة تدويب لهذه الشخصية و تفتيت لها حسب تلك المرحلة»² بالإضافة إلى ذلك فإن هؤلاء الشعراء قد وجدوا في القصيدة ملاذا أين عبّروا أكثر عن الأهداف الواضحة و حاولوا إيصالها إلى الجمهور و ذلك من خلال موسيقى الشعر التي تحفز الجماهير على التمرد و على الثورة، و من الأمثلة على شعر تلك الفترة قصيدة محمد العيد آل

1 . الشهاب ، العدد 199 ، 27 أكتوبر 1927 .

الخليفة التي نظمها في محاولة اغتيال الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح في الجزائر فيقول:

"حَمَّتْكَ يَدُ الْمُؤَلَّو كُنْتَبِهَا أَوْلَى *** فَيَا لَكَ مِنْ شَيْخَ حَمَّتْهُ يَدُ الْمُؤَلَّى

فَيَا لَوْ ضِيَعِ النَّفْسِ كَيْفَ تَطَاوَلَتْ *** بِهِ نَفْسُهُ حَتَّى أَسْرَ لَكَ الْقَتْلًا"¹.

فبعد أن يسرد الشاعر وقائع الحادثة التي ألمت بالإمام ابن باديس يلتفت إلى الماضي ليسنجد بأبطاله في رنة كلها حسرة وأسى على الواقع الذي أصبح فيه من يقول كلمة الحق، و ينير درب هدفالقتل و الاغتيال فيقول:

فَوَاعَظَمَ صَبْرِي أَيْنَ عَهْدُ (مُحَمَّدٍ) *** تَرَى هَلْ يُتَبَّخُ اللَّهُ رَجْعَةً أَمْ لَا؟

فَتَعَالَ (أَبْ حَفْصٍ) تَرِ الْعَدْلَ ذَاهِبًا *** كَمَا شَاءَتْ الدُّنْيَا، تَرِ الظُّلْمَ مُحْتَلًّا

وَ جَاءَ عَلَى الْإِسْلَامِ بَعْدَكَ مَعْشَرًا *** تَعُدُّ وَجْمِي الْإِسْلَامَ، وَ انْفَرَقُوا سُبُلًا

غَرَارَهُمْ فِي الْحَقِّ دَعْوَى عَرِيضَةً *** وَإِنْ سَمِعُوا الْحَقَّ اسْتَحْفُوا بِهِ جَهْلًا"²

و قد واكب الشاعر محمد سعيد الزاهري الحدث، بقصيدة رائعة يقول فيها:

«لَا تَجْزُ عَنْ (عَبْدَ الْحَمِيدِ) لِنَكْبَةٍ *** كَانَتْ عَلَيْهِمْ أَكْبَرَ النِّكَبَاتِ

أَنْتَ الزَّعِيمُ الْخُرِّي فِي (الإِصْلَاحِ) *** وَ الْأَحْرَارِ لَا تَرْتَدُّ بِالصَّدَمَاتِ»³

فالشاعر يطلب من عبد الحميد أن يواصل طريقه في الإصلاح مهما لقي في سبيلها من مضايقات حتى و إن وصلت إلى الاغتيال.

2 . شلتاغ عبود ، حركة الشعر الحر في الجزائر ، ص 68 .

3 . صالح الخري ، الشعر الجزائري ، ص 78 .

1 . صالح الخري ، الشعر الجزائري ، ص 80 .

2 . المرجع نفسه ، ص 80 .

و هكذا واكب الشعر الإصلاحى الأحداث و ظلّ متحلّقا حول كلّ ما يخصّ الجزائر ،وتفجرت عواطف الشعراء حول كلّ الموضوعات بنبض من الأسى والألم من جهة ،وأقوى من الإيمان و وضوح الرؤية و التفاؤل بالمستقبل من جهة أخرى.

فالشعر فى حقيقتهاإفصاح عن مكنونات الصدر، و عن خلجات النفس ، فهو يكشف عن الهموم و الآلامو الآمال و التطلعات، فما بالك إذا كان الشعر يهدف إلى إصلاح العقيدة والذود عن اللغة و حماية الهوية «فليس الإصلاح بمتاع يباع و يشتري، و لكنه عقيدة حق، وفكرة سداد و رشد يوجبها الإيمان الصادق يحمل عليها خوف الله و تقواه، و الرغبة فيما عنده لا سيما عند سواه»¹،على حد قول الشيخ الطيب العقبي و من ثمّ حمل الشعراء لواء الإصلاح يستنهضون الهمم بشعرهم و الشعب فى أمس الحاجة لما يحرك مشاعره و يهز وجدانه، خاصة إذا كان هذا الشعر قد استوحى معاينة من القرآن الكريم، فقد كان لهذا الكتاب المقدس الأثر الكبير فى نفوسشعراء تلك الفترة، و كان الدستور الالهى الذى يوجه الحياة إلى الأفضل و الأحسن والأقوى فهو المعين الذى لا ينضب و الذى كل الشعراء متعطشين للاستلها م معانيه وزخرفة شعرهم بها. مثلما نجد ، عند محمد العيد آل خليفة الذى يقول:

« كِتَابُ اللَّهِ كَنْزٌ لَيْسَ يَفْنَى *** وَ الشَّمْسُ لَا يُغَيَّبُهَا ضِيَاءُ.

هَدْيٌ لِلْمُتَّقِينَ فَكُنْ تَقِيًّا *** وَسَلُّهُ مِنَ الْهِدَايَةِ مَا تَشَاءُ

تَدَاوَى بِهِ مِنَ الْأَسْقَامِ صَبْرٌ *** فَفِيهِ لِكُلِّ ذِي سُقْمٍ شِفَاءٌ »²

لقد كان القرآن الكريم رافدا أساسيا فى أشعار رجال الإصلاح و لا غرو فى ذلك فإن الثقافة الدينية لهؤلاء الشعراء هى التى تمدهم بالشواهد الغزيرة و تجعل الجمال و قوة التأثير ديدن

¹ . صالح الحزبى ، الشعر الجزائرى ، ص 80 .

² . محمد العيد آل خليفة ، الديوان ، الشركة الوطنية للتوزيع و النشر ، الجزائر ، 1979 ، ص 538 .

مختارات هؤلاء الشعراء فقد نشأوا في بيئة يشكل القرآن فيها الركن الأساسي في الحياة الاجتماعية و الثقافية « إن هؤلاء الذين أدركوا الإسلام سمعوا الطبقة العالية من الكلام في القرآن و الحديث و الذين عجز البشر عن الإتيان بمثلهما لكونها ولجت في قلوبهم و نشأت على أساليبها نفوسهم، فنهضت طباعهم و ارتقت ملكاتهم في البلاغة فكان كلامهم في نظمهم و نثرهم أحسن ديباجة و أصفى رونقا.»¹

و اتخذوا من القرآن معينا لهم على تنوير المجتمع، هذا الأخير الذي تصدع بنيانه لأنه ابتعد عن كلام الله فضل سبيل النجاح و الفلاح و السعادة و في هذا يقول أحمد سحنون :

"لَمْ نَتَّبِعْ *** مَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ
وَ هُوَ الْكِتَابُ الْمُرْقِي *** الْكَائِنَا لِلْإِنْسَانِي
وَ هُوَ الدَّوَاءُ لِمَرَضِي *** الْعُقُولِ وَ الْأَذْهَانِ
وَ هُوَ الْحُسَامُ قَسَمْنَا *** بِجِدِّهِ كُلِّ شَانِي
فَكَمْ دَعَانَا لِحَيْرِ *** بِحِكْمَةٍ وَبَيَانِ
فَمَا فَعَلْنَا فَأَبْنَا *** بِالطَّرْدِ وَ الْحُسْرَانِ
دَوَاءَنَا لَوْ رَجَعْنَا *** إِلَيْهِ فِي الْقُرْآنِ"²

فالشاعر هنا يشيد بالقرآن الكريم و يرى أن هلاك المجتمع إنما يعود إلى كونه لم يتبع القرآن دليلا و مرشدا في حين أنه الدواء لكلّ الأسقام و كلّ ما فيه يدعو للخير.

إنّ هؤلاء الشعراء كان هدفهم الأول هو تنوير المجتمع و لم يجدوا وسيلة أفضل من العودة إلى كتاب الله ففيه الدواء لكل داء فقد كانت رغبتهم « في توجيه أقطابهم بهدي القرآن وبالتالي هي أقوم في هذه الحياة و ما يضمن لهم الفوز السعادة وفي الأخرى »¹

³ . ابن خلدون، المقدمة، المؤسسة الوطنية للكتاب، ج2، الجزائر. ط1، 1984، ص722.

¹ . أحمد سحنون ، الديوان، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1977، ص-108.

و من هنا يتضح أن الرسالة هؤلاء المصلحين كانت تهدف إلى إنشاء جيل من الشباب المسلم متخلق بأخلاق القرآن متمسك بهذا الكتاب لأن فيه صلاح الفرد والمجتمع، و قد كان الإيمان بالله هو أعظم شيء تعين على الشعراء الدعوة إليه و الإشادة به و دعوة الناس إلى الإخلاص لدين الله و إفراده بالعبادة و في هذا يقول محمد العيد آل خليفة:

«و نَحْدُ الرَّجَالِ الثَّابِتُونَ عَقِيدَةً*** عَلَى الْمَهْدِ الْأَسْمَى إِلَى حِينٍ تُقْبَرُ»²

فهذا الثبات على الدين يزيد هؤلاء الشعراء قوة الإيمان و اليقين بالرسالة الإصلاحية التي يدعون إليها، فهذا الشعر على حد قول أبو اليقظان «هو لسان الإنسانية فيه يدود عن الحمى و يرفع صوته إلى عنان السماء فيرن صدها متموجا في الهواء إلى أن يسمعه الصم وينطق به البكم و يبصر به أهل العمى»³.

لقد كان الشاعر الإصلاحي يؤدي دور المرشد و الموجه هدفه التنوير و الكشف عن المكونات فهو يشعر كأنه مكلف به كوظيفة أساسية في الحياة يعبر من خلال شعره عن ذاته في شكلها الفردي و الجماعي .

و قد وجد هذا الشاعر ضالته في الحركة الإصلاحية التي تبنتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فقد «كان للحركة الإصلاحية دور فعال في بعث نهضة شعرية جديدة في الجزائر فهي التي أحيت الحرف العربي و أعادت له روحه بعد ما أشرف على الاندثار نتيجة لسياسة التغريب و التجهيل التي مارستها فرنسا على الشعب، فكان من الطبيعي أن يرتبط الشعر

² . محمد ناصر بوحجام، أثر القرآن في الشعر الجزائري الحديث (1976-1925) ج1، ط1، المطبعة العربية، الجزائر، ص، 43.

¹ محمد العيد آل خليفة، الديوان، ص160.

² محمد الهادي الزاهري، شعراء الجزائر ج1، ص62.

بالفكر الإصلاحية»¹، و لا غرو في ذلك فقد كان الشاعر هو صوت الأمة المعبر عن آلامها و طموحاتها، مهتما بقضايا الشعب، ساكبا شعره في قوالب شعرية، بل و من الشعراء من جعل شعره كله تقريبا في خدمة الشعب و قضيته كمحمد العيد آل خليفة الذي يقول في إحدى قصائده:

« أَيُّهَا الشَّعْبُ أَنْتَ مَوْضِعَ شِعْرِي *** وَ شُعُورِي لِأَزَيْنَبَ وَ لِأَرْبَابٍ »².

لقد كان الاهتمام بالشعب و الظروف المزرية التي كان يعيشها من القضايا التي احتلتالصدارة في هذه المرحلة و جعلت من الشعراء أنفسهم روادا و قادة يسرون بهذا الشعب إلى بر الأمان.

ثانيا: فن الخطابة

الخطابة فن من الفنون الأدبية، عرفها الأدب العربي كغيره من الآداب ، فهي إذن من أقدم الأغراض الأدبية ، عرفها العصر الجاهلي مع خطب قس بن ساعدة الأيادي ثم صدر الإسلام وخطب الرسول صلى الله عليه وسلم فالعصر الأموي إلى ما في ذلك من العصور الأدبية وكل عصر كانت للخطابة ميزات وخصائص. وقد أدى ظهورها الدعوة إلى إصلاح المجتمع فهي: " تزدهر إذا تفتشى في الأمة سخط على نظمها الدينية والسياسية والاجتماعية

³. الوناس شعباني، تطور الشعر الجزائري منذ سنة 1945 في سنة 1980، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.ص

¹. محمد العيد آل خليفة، الديوان، ص، 138.

وارتبط هذا السخط بطموح إلى مثل أعلى، وحياء أرقى وجدّ في تبديل الحالة وتحقيق المثل"

1.

فهي إذن وليدة الظروف التي يعيشها المجتمع، فهي بمثابة الصرخة العالية التي توقظ الأمم وتغرس روح التغيير في الأفراد والجماعات فإذا "اضطرت الأمة لتغيير سياستها أو تبديل دينها أو إصلاح نظمها انبعث منها خطباء يتصدرون الدعوة ويحتضنونها فيدعون إلى الجديد ويكشفون مزاياه ويزعزعون القديم في النفوس ينفرون منه... ولكن من الناس من يحرص على القديم ويلاحى عنه فيصطرع هؤلاء وهم جميعا يتذرعون بالخطابة"² فدور الخطيب مهم في المجتمع فهو يوقظ الضمائر ويشحن الهمم خاصة إذا كان هذا الخطيب قد أوتي من الأدوات المعرفية والزاد اللغوي ما يجعل الأعناق تشرئب إليه، والأذان تصم عن كل شيء إلا عن صوته، فيسمعه المتلقي، بروحه وعقله وقلبه بالإضافة إلى " ثقة الخطيب بكلامه فتعني إيمانه بالمبادئ التي يدعوا إليها.

هذه الثقة تدفعه تلقائيا إلى تكييف صوته وانفعاله وتلهمه الحجج والبراهين وتجعل الآخرين يتأثرون به وقديما قالوا: ما خرج من القلب وصل إلى القلب وما خرج من اللسان لا يجاوز الأذان أي لا يجاوز أذن السامع إلى قلبه كما قالوا: ليست النائحة المأجورة كالنائحة الثكلى"³، لذلك كان للخطيب الدور الكبير في ازدهار هذا الفن، فهو يستطيع أن يحرك أوتار

1. أحمد محمد حربي، فن الخطابة، دار النهضة، مصر، د.ت. ط1، ص46.

2. أحمد محمد الحربي، فن الخطابة، ص33.

3. عبد الجليل عبده شليبي، الخطابة وإعداد الخطيب، دار الشروق، القاهرة، 1981، ط1، ص37-38.

قلوب الجماهير وعواطفهم بقوة ويستميلهم ببيانه وفصاحته فيأخذهم حيث يريد هو، ويقف على مواطن الألم ليصف لهم الدواء الشافي النافع، وهذا لا يتأتى لهذا الخطيب إلا إذا كان ذا " سعة المحفوظات الأدبية من الشعر والنثر ومأثور من كلام العرب من الحكم والأمثال والوصايا هذا فضلا عن حفظ القرآن وحفظ الكثير من الأحاديث النبوية"¹، حتى يتسنى له إقناع الجماهير المستمعة إليه واستمالتهم بالحجج والبراهين ومخاطبة عقولهم وقلوبهم في آن واحد، فالخطابة هي " القوة الحاسمة التي يقودها الزعماء والمصلحون الإجماعيون أمهم إلى حياة أرقى وأبقى وهي لسان الأحزاب السياسية تنشر به دعوتها وتظفر به على خصومها... فهي عدة الزعماء والقادة والساسة"².

وقد مرت الخطابة كغيرها من الفنون الأدبية التي عرفها الأدب العربي بمحطات فمن الازدهار إلى انحطاط إلى الانتعاش من جديد.

أما في الجزائر ففن الخطابة مر بهذه المحطات وإن كان للجزائر وضع خاص مع الإستعمار الفرنسي الذي سلب البلاد وحاصر الثقافة، فالخطابة إذن في هذا الظرف الإستعماري قد وجدت التربة الخصبة التي تنبت فيها خاصة مع ظهور الأمير عبد القادر الذي حاول أن يسترجع البلاد وفي ذات الوقت حاول استرجاع المجد الأدبي للجزائر، فقد أدرك خطر الخطابة ودورها في الدعوة إلى الجهاد، فحاول إعادة البهاء لها وقد خطا " بالخطابة خطوة طيبة من

. المرجع نفسه، ص35.¹

¹. عبد الكريم ابراهيم دربان البنائي، تاريخ الخطابة العربية إلى القرن الثاني هجري، المكتبة الثقافية الدينية، القاهرة،

2005، ط1، ص21

حيث الصياغة فتحررت من الركاقة والتعقيد والتراكيب المحفوظة وأصبحت فنا هدفه الإبانة والإفصاح عن الرأي لا التلاعب بالألفاظ والتقليد الجامد للأقدمين¹ وهكذا سارت الخطابة شوطا كبيرا في عهد الأمير عبد القادر إلا أن جاءت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931 فأنشأت النوادي والمدارس، وخصت يوما كاملا لفن الخطابة يتبارى فيه الشباب، وكانت الخطابة في هذه المرحلة إبداعا وكانت فيه جوائز تشجيعية، فازدهر هذا الفن على يد رجال الجمعية وكان رئيسها الشيخ عبد الحميد بن باديس "خطيبا ساحرا ومتواضعا كأحد أبناء الشعب... ثوريا خالصا وحكيما، لا يتطلب من كل مرحلة تاريخية أكثر مما تقدر أن تعطي"². بالإضافة إلى رجال الجمعية الآخرون أمثال الشيخ محمد البشير الإبراهيمي والعقبي وغيرهم.

لقد كانت جمعية العلماء في حاجة ماسة إلى نشر أفكارها و توضيح أهدافها، لذلك كان لزاما وجود الخطباء يوجهون الأمة ويرشدونها إلى نهج الصحيح لأن " بث الفكرة الإصلاحية يتطلب قدرة على الإقناع واتصال مباشرة بالجماهير في شتى أنحاء الوطن فكانت الخطابة أداة صالحة لإذاعة هذه الأفكار واستنهاض الهمم"³.

1. عبد الله الركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث، دار الكتاب العربي، الجزائر د.ت. د.ط، - ص 17.

2. بن خليف مالك، الفكر السياسي عند العلامة عبد الحميد بن باديس، دار طليطة، الجزائر، 2010، ط 1، د.ت، ص 437.

3. عبد الله الركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث، ص 26.

وبما أٌتجمعة العلماء قد حملت على عاتقها اصلاح المجتمع الجزائري كانت موضوعها الخطب تدور في هذا الفلك وكان خطباء الجمعية يقصدون إلى تنشيط هذا الفن بخطب تمس صميم واقع الجزائريين الذين قهرهم جبروت الاستعمار فكان ابن باديس " قد أناه الله الحكمة وفصل الخطاب، فهو يملك السلاحين وزيادة، ولو رأيته يخطب لصغر في عينك كل خطيب عرفته، ويمتاز بأنه لا يؤثر في الجماهير وغيرهم بقوة فصاحته وسحر بيانه فحسب بل قوة إيمانه بما يقول كذلك...¹ فهو بالإضافة إلى كونه رئيس الجمعية كان خطيبها وكان يضمن جريدة الشهاب بعض من خطبه، ومن ذلك خطبته التي ارتجلها في الاجتماع العام بعد تجديد مكتب الإدارة. والتي يشكر فيها أعضاء الجمعية على تجديد الثقة فيه فيقول " إخواني قدمتموني للرئاسة وهذا اعتراف منكم بأني أبقى على ما كنت عليه، فأنا رجل مسلم ورجل وطني، كل حواسي وكل عقلي هو خدمة لوطني، نعم أخدمه وأدرجه حتى لا يكون هناك انحدار ولا انهيار.

إن ميدان العمل في هذه الجمعية لميدان واسع وهناك للعمل ميادين أخرى لا أدخلها باسمها. ولكن (إن كان فيها منفعة) أدخلها باسمي - إن كان عند قومي قيمة لإسمي - وأرجو أن يعيني الله عليه....

إخواني !

¹. باعزير بن عمر، من ذكرياتي عن الإمامين الرئيسين عبد الحميد بن باديس و محمد البشير الإبراهيمي ، منشورات الحبر الجزائر، ط2007، ص56..

إن لنا أعمالا تتبعها، ونسأل الله أن يجعلنا حي أعمال لا حي أقوال ، صدق الله أعمالنا
وأقوالنا.....¹.

وفي خطبة أخرى له ألقاها في الاجتماع العام بمركز الجمعية بنادي الترقى بالعاصمة، يذكر فيها الغاية من تأسيس الجمعية فيقول: " القصد من هذه الجمعية هو محاربة الآفات الاجتماعية كالخمر والميسر والبطالة والفجور، فكل ما يفسد على الناس عقولهم أو يضع عليهم أموالهم- فهو من الآفات ولهذا حاربت الجهل والجمود والدجل والخرافة وكل أنواع الأباطيل، وحاربت كل واقف في طريق التعلم والتعليم، أي أنواع التعلم والتعليم- وحاربت (الزردات والوعدا توالفدوات) وبدعة المآثم ومنكرات الولائم وكل وجوه السرف وأكل أموال الناس بالباطل، حاربت أثرة ذوي المال بما جعلهم الله مستخلفين فيه، وقعودهم عن تأسيس المشاريع العلمية والخيرية لأن ذلك من أسباب البطالة والفجور.²

لقد عملت جمعية العلماء على توضيح أهدافها في أكثر من مناسبة، وغايتها كانت واضحة فمحاربة الاستعمار كان الشغل الشاغل لرجالها والشيخ ابن باديس كان يرى أن الإستعمار هو أساس كل بلاء فقد حارب الإسلام واللغة العربية وهما أهمها مقومات الشخصية الجزائرية الذي عمل ابن باديس على تأسيسها، وما إنشأؤه للمدارس ونشر للتعليم عبر القطر الجزائري إلا دليل على ذلك ففي خطبة له يذكر الأمة بمحاربة الاستعمار للإسلام والعلم فيقول: "

. الشهاب، ج8، م12، 1936.¹

. البصائر، سل1، العدد1936، ص37.²

وحورب فيكم الإسلام حتى ظن أن قد طمست أمامكم معالمه، وانتزعت منكم عقائده ومكارمه، فجئتم بعد قرن ترفعون علم التوحيد، وتنشرون من الإصلاح لواء التجديد، وتدعون إلى الإسلام كما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وكما يرضى الله لا كما حرفة الجاهلون وشوّهه الدجالون ورضيه أعداءه.

وحورب فيكم العلم حتى ظن قد رضيتم بالجهالة، وأخلدتم للندالة ونسيتم كل علم إلا ما يرشح به لكم أو ما يمزج بما هو أضر من الجهل عليكم، فجئتم بعد قرن تدفعون للعلم بناء شامخاً وتشيدون له صرحاً شامخاً، فأسستم على قواعد الإسلام والعروبة والعلم والفضيلة جمعيتكم هذه، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين...¹.

لقد اتخذ زعيم الجمعية من الإسلام والعلم شعار يدافع به عن هذه الأمة ويستنهض به الهمم، وقد اتخذ من الإسلام والعلم أساسين للنهضة التي كان يريد لها للجزائر، وجمعية العلماء التي نادى بتأسيسها كنت ترى أن هذه الأمة لن يكون لها مستقبل إن لم تتشبث بالإسلام ولن تقوم لها قائمة إن لم تواكب قطار العلم وفي هذا يقول: " العروبة والإسلام والعلم والفضيلة، هذه أركان نهضتنا، وأركان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي هي مبعث حياتنا ورمز نهضتنا، فمازالت هذه الجمعية منذ كنت تفقهنا في الدين، وتعلمنا اللغة، وتنيرنا بالعلم، وتحلينا بالأخلاق الإسلامية العالية، وتحفظ جنسيتنا وقوميتنا السامية، وتربطنا بوطنيتنا الإسلامية الصادقة ولن تزال كذلك بإذن الله ثم بإخلاص العالمين.

. وزارة الشؤون الدينية، آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، ج4، دار البعث، الجزائر، ط1، ص 203.¹

كانت جمعية العلماء فكانت نهضة الأمة دون صوت العلم فأيقظها من رقدتها، وكذلك
عرفت الأمم في تاريخها لا تنهض إلا على صوت علمائها...¹

إن الشيخ ابن باديس في خطبته هذه يشيد بالعلم ودوره في بعث الأمم الميتة من جديد، كما
يبرز دور العلماء الذين يشهد لهم التاريخ عبر مسيرته الطويلة بفضلهم في ايقاظ الشعوب.

والملاحظ في خطب الشيخ ابن باديس أنها صادرة عن نفس خبرت خفايا العقول وكأنها رحلة
في نفوس سامعيه، يدغدغ أحاسيسهم بكلمات رنانة وأفكار متسلسلة لا يخل بها شيء من
استطراد أو إعادة فهو يستميلهم لأن الهدف واضح والإخلاص للمبدأ هو عنوان خطبته
بالإضافة إلى ذلك فإنه يضمن خطبه بأبيات شعرية تجعل مستمعيه يخلقون حوله وهو
يستشهد بالشعر ومن مثلا قوله في وسط خطبته:

" هذه - أيها الإخوان - نهضتنا، وأركانها وأسبابها واضحة العيان محفوظة للتاريخ خالدة
للأجيال، نورثها أبنائنا الذين سيقولون- إن شاء الله فينا مثلما قلنا في أسلافنا:

أَنَا وَإِنْ كَرُمْتُ أَوَائِلُنَا ***** لَسْنَا عَلَى الْأَحْسَابِ نَتَكَلُّ

نَبْنِي كَمَا بَنَتْ أَوَائِلُنَا ***** نَبْنِي وَنَفْعَلُ (فَوْقَ) مَا فَعَلُوا²

أما ثاني خطيب لمع في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين هو الشيخ محمد البشير الإبراهيمي
الذي أضاف الكثير لهذا الفن لأن " خطابة الإبراهيمي تميزت بالطابع الأدبي والبلاغي

. الشهاب، ج8، م13، 1937.¹

. الشهاب، ج8، م13، 1937.²

واستحضار المحفوظات والشواهد، وكان مؤثرا في الخاصة أكثر من العامة.... وقد ألقاها الشيخ البشير الإبراهيمي الخطب الكثيرة في الجزائر...¹، فقد كان لا يتوانى في مخاطبة الجماهير في كل مناسبة وذلك إيمانا منه بأن الكلمة الصادقة والمعبرة سوف تجد من يسمعها ويلقفها ومن ثم يستجيب لندائها، بالإضافة إلى أن الإبراهيمي كان خطيبا من نوع خاص فقد استحق أن يكون "رائد هذا الفن بدون منافس، لما اتصف به من صفات الخطيب البارع فقد كان شديد العارضة، فصيح اللسان ساعده على ذلك محصوله من اللغة وفير، وإلمام بالأمثال وبراعة في حسن إجرائها في مضاربها، ومعرفة عميقة بطرائق الكلام والقدرة على التصرف فيه"²، فالإبراهيمي كان فصيح اللسان، نافذ البيان لذلك استطاع أن يقطع بهذا الفن أشواطاً بعيدة، وبما أن جمعية العلماء كانت قد وضعت خطة منذ البداية تسير عليها في الإصلاح فقد سخر الإبراهيمي خطبه لتخدم هذا الغرض، وبما أن التعليم كان شغل الشاغل للرجال الجمعية كانوا كلما افتتحت مدرسة أو مسجد يقوم خطيب يخطب فيها، وكان الإبراهيمي فارس هذا الميدان يشرف على افتتاح المدارس الموجودة في الغرب الجزائري فيقدم بين الجمهور خطبا رائعة ومن ذلك مثلا خطبته في افتتاح مسجد قرية "الحنايا" ومدرستها في تلمسان فيقول: ".... طالما قال القائلون عن أمتنا، إنها ماتت وطالما فرح الشامتون بموتها، وطالما نعاها نعاة الاستعمار على مسمع منا، وأعلنوا البشائر بموتها في عيدها المئوي فعدوها تشييعا لجنابة

¹. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي في ج8 (1830-1954)، ص 109 .

¹. عبد الملك مرتاض، فنون النثر الأدبي في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، دت، ص281.

الإسلام الذي هو مساك الحياة هذه الأمة في هذا الوطن، فقالوا: ماتت لا رحمة الله وصدقهم ضعفاء الإيمان منا فقالوا: ماتت رحمها الله، وقلنا نحن: إنها مريضة مشفية، ولكن يرجى لها الشفاء إذا حضر الطبيب وأحسن استعمال الدواء، فحقق الله قولنا، وخيب أقوال المبطلين وكذب فآلهم.. فإذا بقى في الدنيا الممسوس يكابر في المحسوس، ولا يصدق في وجود هذه الأمة، ولا يؤمن بحياتها، فقالوا له: تطلع من هذه الثنايا على قرية الحنايا، وقارن يومها بأمسها، يراجعك اليقين، ويعاودك الإيمان..¹، إن هذه الخطبة وبفضل هذه الديباجة المحكمة جعلت الأذان تشد لها والأعناق تشرئب لها، وترحل في فلکها العقول وتتابع معها العواطف، فهي رحلة في أغوار النفس الجزائرية التي عانت ويلات الإستعمار ومحاربتة للدين الإسلامي في المقام الأول ثم محاولته لمسح اللغة العربية من الوجود، حتى ظن هذا الظالم أن الإسلام قدرحل من الديار الجزائرية وأن اللغة قد اندثرت أمام زحف الجيوش اللغة الفرنسية، وقد هلل له أنصاره وفرحوا لهذه الأخبار لكن جمعية العلماء المسلمين لم تؤمن يوماً بأن الإسلام واللغة العربية يمكنهما أن يتزحزحا أمام جحافل الغزو الفكري والمادي الفرنسي .

فقد جاءت هذه الجمعية كطبيب شخص الداء ووصف الدواء النافع وما انتشار موجة التعليم العربي في الجزائر إلا خير دليل وما افتتاح المساجد والمدارس بالقرى والمدن إلا بشائر خير دليل على تماثل هذا الوطن العزيز للشفاء. إن الإسلام حي خالد في هذا البلد خلود الروح في العالم

. الإبراهيمي، آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص236¹

اللاهوتي فنجد الإبراهيمي في خطبه أخرى أمام الوفود العربية والإسلامية في الأمم المتحدة يؤكد على هذه الحقيقة فيقول:

" أيها الإخوان !

لم يؤثر الفاتحون المتعاقبون على الشمال الإفريقي، ولا أثرت الأديان الراحلة إليه - جزءا مما أثر الإسلام ، وأثرت العروبة، ذلك لأن الفاتحين لهذا الوطن قبل الإسلام إنما جاءوه بدين القوة وشريعة الاستغلال، أما الإسلام فقد جاء بالعدل والإحسان وجاء وافيا بمطالب الروح، ومطالب الجسد... لذلك كان سريع المدخل إلى النفوس لطيف التخلل في الأفكار، قوي التأثير على العقول، ولذلك طال في هذا الشمال أمده وسيبقى ما دامت الفوارق قائمة بين الإنسان والحيوان..."¹.

إن الإبراهيمي في خطبته هذه يحرص على الاتصال الدائم بين الشعوب الإسلامية والامتزاج بها والسعي في مصالحتها والشد على ما يوحد كلمتها ويقود مسيرتها نحو النجاح والغد الأفضل، وقد كان الإسلام هو نقطة تلاقي الأمة الإسلامية لذلك فإن الإبراهيمي يخاطب هذه الوفود من هذا الجانب الديني الذي يوحدهم ويجعلهم خير أمة أخرجت للناس، وقد كثرت الخطب التي قيلت بمناسبة تدشين المدارس ولم يكن الشيخ الإبراهيمي وحده في هذا الميدان فقد رافقه زملاءه في جمعية العلماء في الإشادة بالعلم ودور المدرسة في ترقية المجتمع

. البصائر، العدد183، السنة الخامسة، سل1952م²،¹

والنهوض بالأمة فقد ألقى أحمد توفيق المدني خطبة هو الآخر بمناسبة تدشين مدرسة الأمير عبد القادر بمدينة معسكر جاء فيها:

"...أيها الملأ الكريم، أيها الشعب العظيم، أيتها الأمة الكبرى التي تشق طريقا نحو المجد والسؤدد.

إنني أحمل لكم تحية الأخوة الخالصة، إني أحبي فيكم العمل الجبار... علمتموني أن الأمير عبد القادر إنما استطاع تأسيس دولة، وتنظيم حكومة، لأنه كان معتمدا على آباءكم! وآباؤكم كانوا أجداد الجزائر، وأشبال الوطن، ومنهم كَوْن تلك الدولة الهاشمية التي أخرجتنا من الظلمات إلى نور .. وإن هذه المدارس التي تخلد الإسلام وتكون الجزائر إنما هي صدقة جارية إلى يوم القيامة، فمن دفع شيئا فيها فقد شارك في بث العلم... أنكم بالمشاركة الفعالة تنقذون هذا الشيء من البؤرة الاستعمارية وما فيها من فساد وأدران.."¹ إن أحمد توفيق المدني يحاول في هذه الخطبة إن يربط الصلة بين الجيل الماضي وهذا الجيل المتعطش للعلم، فالجيل الماضي والذي يمثله الأمير عبد القادر باعث النهضة الحديثة بالجزائر قد استطاع أن يقف في وجه الاستعمار ويحاربه ويحاول القضاء عليه، وعلى هذا الجيل أن يقتدي بذلك الجيل وأن يعمل على محاربة هذا الداء المستفحل في الأوساط وذلك عن طريق المساهمة في نشر العلم والتعليم ولا يكون ذلك عن طريق التظاهر والتأزر والتضامن، فهو يدعو هؤلاء الحشود إلى التبرع بالمال من أجل

. البصائر، سل2، العدد245، 1953، ص376¹.

بناء المدارس حتى يستطيع هذا الجيل الوقوف في وجه الاستعمار فيخلص هذه الأمة من
برائينه السامة ومن فسادته المنتشر.

إن الدفاع عن الإسلام وحصنه المنيع للغة العربية كان ديدن رجال الجمعية فقد كان الشيخ
الطيب العقبي " من رجال الحركة الإسلامية البارزين...وقد عرف بخطبة الإصلاحية التي تهاجم
البدع والخرافات وتدعو إلى التحرر من رواسب الماضي، وهو من الخطباء المشهورين في العصر
الحديث...¹ وقد لاقت خطبه رواجاً كبيراً، وهو يدافع عن الإسلام وبين فضله وأنه الدين
الصالح لكل زمان ومكان فيقول:

"... أن الإسلام دين كل تقدم ورقي يأمر بكل فضيلة وينهي عن كل رذيلة، أساسه المساواة
بين بني البشر، وهيكله المشاد على ذلك الأساس إنما هو الرحمة والعدل... وأنه هو الدين
الوحيد الذي يساير أدوار الحياة ويسير مع كل مدينة ترتكز على قوتي العلم والحق..."²

فالشيخ العقبي كان من المدافعين عن الإسلام ولا يترك مناسبة تمر دون أن يذكر بفضل
الإسلام، وأنه أساس الرقي والتقدم، وأساس المدينة التي ترتكز على العلم والإسلام جاء أول
ما جاء يدعوا إلى العلم والتعلم، بالإضافة إلى ذلك فإن " صفة الخطيب تكاد تكون الصفة

1. عبد الله الركي، تطور النثر الجزائري الحديث، ص 39.

2. محمد الطاهر فضلاء، الطيب العقبي رائد الحركة الإصلاح الدين في الجزائر، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، د.ط،

1985، ص 145-141.

الطبيعية فيه والطاغية على بقية مواهبه الأدبية الأخرى ، الشيء الذي جعل كل من عرفه يؤكد هذه الصفة فيه أكثر من غيرها"¹.

لقد استطاع رجال الجمعية أن يطوروا فن الخطابة ويجعلوا له لمستته خاصة، وأن يضيفوا عليه مسحة إصلاحية. فهم رجال الإصلاح الذين حملوا على عاتقهم إصلاح الفرد ومن ثم إصلاح المجتمع فجاءت خطبهم آية في الإبداع خاصة وأنها جمعت بين دعوة إلى ايقاظ الضمائر بصياغة حانية ووضوح في الموضوع والأخذ من التراث العربي العريق وبذلك أعادت لهذا الفن بهاءه الذي كان عليه قبل عصر الضعف.

ثالثا: فن المقال

المقالة فن من فنون التعبير النثري الحديث، كثر استعمالها في الأدب العربي الحديث، وهي من ثمرات الاتصال بالغرب وأدبه، ومن ابرز عوامل ازدهارها تطور مختلف وسائل الإعلام، كالصحف وهي تتناول كل ما له صلة بالجوانب الأدبية والاجتماعية والسياسية والنقدية.. فهي " قطعة نثرية محدودة في الطول والموضوع تكتب بطريقة عفوية، سريعة، خالية من

¹.كمال عجمي ، الطيب العقبي أدبيا ، بحث مقدم لنيل شهادة دكتوراه دولة في الأدب الحديث ، إشراف العربي دحو ، جامعة قسنطينة ، 1997 . 1998 م ، ص 498 .

التكلف والرهق، وشرطها الأول أن تكون تعبيراً صادقاً عن شخصية الكاتب"¹، وقد أدى إلى ظهور المقالة في أدب جمعية العلماء المسلمين ما كان عليه المجتمع الجزائري من تأخر وتخلف، مما تولد عنه شرور في المجتمع لا سيما وأن الاستعمار قد بسط نفوذه وكبت الحريات وما جر ذلك من مشكلات اجتماعية، كالفقر والشباب والعمال بالإضافة إلى استبداد وظلم وجور الاستعمار ورجاله مما أثار في نفوس كتاب الجمعية من غيظ فقاموا بإنشاء الصحف والجرائد واتجهوا بنشاطهم إلى الدفاع عن شعبهم ومحاربة الاستعمار وإثارة الحمية الوطنية، متخذين من المقالة أداة للتعبير عن آرائهم وأفكارهم فجاءت مقالاتهم صورة حية معبرة عن آمال وآلام المجتمع.

" فالمقالة إحدى فنون الأدب في دوحة الفنون الإنسانية، فن إبداعي لدى الأديب تبرز فيه إمكانية الفكرية ورؤاه المختلفة ، كما هي فن إنساني بمضامينها الاجتماعية والثقافية والسياسية وحتى العلمية بجوانبها المختلفة..."²

والمقالة كفن نشري لها أنواعها حسب الموضوعات التي تتناولها فمنها السياسية والاجتماعية، والعلمية، وأكثر الأنواع شيوعاً هي المقالة الأدبية وهي: " ملاذ الأديب الذي ليس له من دونها ملاذ، تصدر عن قلق يحسه مما يحيط به من صور الحياة وأوضاع المجتمع...."³ فيتخذ من

1. محمد يوسف نجم، فن المقالة، دار صادر، بيروت، ط1، 1996، ص76.

¹عمر بن قينة، الأدب العربي الحديث، شركة الأمة للطباعة والنشر والتوزيع ن ط1، 1999، ص203

²المرجع نفسه ، ص 7.

قلمه عدسة التصوير لينقل كل ما له صلة بانشغالات الناس لأنها في الأساس " تكتب على صفحات الجرائد ليقراها الخاص والعام... والصحافة هي الوعاء المقالة والوسيلة التي يقدم بها إلى القراء"¹.

وقد أسهمت المقالة الأدبية في التطور الحاصل في الأدب الجزائري لأن الذين حملوا لواء كتابتهم قد أخذوا بحظ وافر من الثقافة العربية، في الفترة استقام فيها أسلوب التعبير العربي، ونزعه إلى التحرر والتخلص من كل قيد، وتوخي المعاني الدقيقة والعبوات السهلة، وأصبحت اللغة تميل إلى الشعرية، فأصبحت المقالة تبدو فيها شخصية الكاتب جلية واضحة جذابة تستهوي القارئ وتستأثر بقلبه، وقد كانت عِدَّة الكتاب في ذلك الأسلوب الأدبي الذي يشع بالعاطفة، ويثير الانفعال ويستند إلى ركائز قوية من الصور البيانية والصيغة البيانية والعبارات الموسيقية والألفاظ القوية الجزلة.

وكانت جريدة البصائر ساحة لفرسان الكلام من أمثال عبد الحميد بن باديس والإبراهيمي والشيخ العقبي وغيرهم من رواد جمعية العلماء المسلمين تزخر بخير ما انتجوا من هذا الفن، فقد حاولوا أن يجسدوا أهداف الجمعية في مقالات يقرأها العام والخاص، فقد كتب الطيب العقبي يبين هذه الأهداف قائلا: " كان من أسمى غاياتهم نشر هداية الإسلام الذي عرفوه بما

¹. حامد حفي داود، تاريخ الأدب الحديث ، تطوره ومعامله الكبرى، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر دط، 1999،

لم يعرفه به المجرمون الكذابون والمهتدون الآثمون وتثقيف عقول الناس في تعاليم القرآن من أخلاق وما في سنة سيدنا محمد صلى الله عليه من آداب"¹.

لقد شملت المقالة الأدبية كل الموضوعات وخاضت في جميع الشؤون فقد كان الدين الإسلامي هو الذي يتمحور حوله جل الموضوعات فقد كتب الشيخ ابن باديس يعرف هذا الدين قائلا:

" الإسلام هو الدين الله الذي وضعه لهداية عباده وأرسل به جميع رسله، وكمله على يد نبيه محمد الذي لا نبي بعده...يستوي في الكرامة البشرية والحقوق الإنسانية بين جميع الأجناس والألوان يجرم الاستعباد والجبروت بجميع وجوهه..."²

وجمعية علماء المسلمين وبحكم ثقافة روادها الواسعة وحنكتهم وفطنتهم، كانوا ملمين بكل شؤون الجزائر السياسية والاجتماعية والثقافية، فكما كانوا ذوي خبرة بكل أساليب الاستعمار الفرنسي الذي لم يكن للجزائريين في ظله بد " .. من تجرع الذل ومعاناة الشر، ومكابدة الاضطهاد في صور مختلفة وأنه لم يكن هناك أمل في حكومة استعمارية كان قصارها إجاعة الشعب الجزائري وإذلاله وتمريغ كرامته في الرغام وتعفير وجهه بالقتام، ومحاوله فصله عن أصله

. البصائر ، العدد 46، السنة الأولى، 1946، ص 21

. البصائر، العدد 58، السنة الثانية، 1937، ص 12

والكيد له حتى يتنكر لهذا الأصل فيمسي بدون ماضي ولا حاضر ولا مستقبل¹، ومن أجل هذا الشعب وكرامته خاضت الجمعية معركة عنيفة ضد الاستعمار الفرنسي.

إنّ الاستعمار دنيوي المادي فهو لا يتنزه في سبيل غاياته المعروفة عن استعمال كل ما يمكنه من وسائل على حد تعبير الشيخ ابن باديس، فقد كتب في هذه القضية سلسلة من المقالات الطوال، ما غادر كبيرة ولا صغيرة في مسألة إلاّ وأحصاها، وما تمسكت فرنسا ومن اتبع هواها بحجة إلاّ وأتى بأقوى منها وما تذرعت هي وأنصارها ببهتان إلاّ جاء ببرهان مجادلا بالحجج القوية التي تثبت لفرنسا ولغيرها سقم منطقتها وسفاهة رأيها و ضعف حجتها في رد له في إحدى مقالاته في الدفاع عن اللغة العربية يقول " اللغة هي الطابع الصحيح للقومية التي تعرب عن وحدة الشعور والتفكير وعمما يعمها من إحساسات الألم وبوارق الأمل مما اتحد من ماضيها وحاضرها ومستقبلها فاللغة العربية إنما هي من تراث القومية العربية فقط "².

لقد أدى المقال وظيفة هامة بارزة حين كانت الصحافة مشعلا من مشاعل النهضة القومية، فأيقظت الوعي القومي بالدعوة إلى الجهاد، ونورت الأذهان، ونهت الرأي العالمي إلى فضائح العدو، ولا شك أن رجال الجمعية وكتابها على الأخص ساهموا بفعالية في هذا المجال، من خلال مقالاتهم المتنوعة في جريدة " البصائر" فقد " بينت البصائر النهج القاصد ونصحت المخطئ، وفضحت المريب، واشتدت لحكمة ولانت لحكمة، فلما أدت حق الله وأمانة النصح

¹ - عبد الملك مرتاض ، أعلام الثقافة والعلوم ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر ، دط ، 1984 ، ص100.

. البصائر، العدد166، السنة الرابعة، 1939، ص1.2

، وكلت الأمر إلى الزمن وتركت سنن الله في أعينتها، وما زالت هذه السنن تري المبصرين صدق البصائر" ¹ ، لقد كانت أقلام هؤلاء الكتاب سيالة، إذ تناولوا الشؤون الدينية، وعالجوا الموضوعات الاجتماعية والإصلاحية وخاضوا في السياسة خوضا جريئا دون أن يفرطوا في ذات الأدب أثناء ذلك كله، وقد أقاموا مقالاتهم على الركائز ولبنات الأساسية أهمها الشعب الجزائري ومقوماته من دين ولغة وعروبة، فالدين الإسلامي هو أساس سعادة البشر، والقرآن هو الدستور المتبع وهو المنبع الصافي والخالد وليس كلاما يردد إنه روح ودستور ومنهج فكري يتزود منه المسلمون فقد " ساس الإسلام الأرض بقانون السماء، فأشاع اشراقه في غسقتها، وأدخل نسقه في الأحكام على نسقتها، وقيد الحيوانية العارمة في الإنسان بقيود الأوامر والنواهي الإلهية التي لا خيار معها، ولا مراجعة فيها، وبذلك نقل الأمم التي دانت به من حال إلى حال، نقلها من الفوضى إلى النظام، ومن التنابد إلى التأخي، ومن الخوف إلى الأمن، ومن الاضطراب إلى الاستقرار ومن النزاعات النفسية إلى نزعة واحدة أقرها فيهم" ² ، إن العودة إلى الإسلام وتعاليمه في نظر كتاب الجمعية هي السبيل الوحيد لحل كل المشكلات التي يتخبط فيها العرب والعالم بأسره" فلو أن الإسلام فهم علهقيقته وطبق على وجهه الذي جاء من عند الله، لكان هو الدواء النافع الذي يحل العقد ويرفع الإشكال، ولكان هو الحكم في معترك الخلاف، والجالب بقوانينه وأخلاقه لسعادة العالم، ولكن الإسلام جمدا، فذهبت

1. الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، ص317 .

2. الإبراهيمي، آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ، ج1، ص89.

خواصه وتفرقت مذاهبه، فزهقت روحه وذهبت ريجه" ¹ فكتاب الجمعية ينظرون إلى الدين فيما وراء حدوده الضيقة التي يريد أعداءه أن يكبلوه بها " فيعلم إخواننا المسلمون أن الإسلام دين له عقائد وأخلاق وأحكام، وأن على المسلم أن يعرف من ذلك ما لا يكون المسلم مسلماً إلا به، وأن عليه أن يقوم بذلك في أهله وبيئته وبناته ومن في رعايته وكفالاته" ² فالإسلام بمنهجه الرباني جاء لسعادة البشر، وقد حاولت فرنسا أن تضعف هذا الدين في نفوس الجزائريين لكن رجال الجمعية كانوا لها بالمرصاد، فقد عاصر هؤلاء الكتاب اضطرابات سلوكية واجتماعية فرضتها عليهم المرحلة، ولأنهم كانوا يؤمنون بأن " الارتباط الوثيق بين الحياة الاجتماعية والسياسية، لذلك كانت الدعوة إلى النهوض بالمجتمع وتطويره ورفع مستوى الوعي لدى الفرد الجزائري، والثورة على الجهل والفقر والمرض، تتبع وتمزج بالدعوة إلى الخلاص الوطني بمقاومة مظاهر الإحتلال والهيمنة والاستعباد" ³ ، إذ كان المجتمع يعيش مزيجاً من سلوكيات غريبة إسلامية، حل بها الضعف والانحطاط الذي أصاب البيئة الأصلية للإسلام فيها، وقد كان كتاب الجمعية يحاربون هذه الآفات بمقالاتهم، خاصة في

1. الإبراهيمي ، آثار الشيخ الإبراهيمي ، ج3، ص.78

2. وزارة الشؤون الدينية، آثار الإمام عبد الحميد بن باديس ج4، ص.66

3. عمار زايد، النقد الأدبي الجزائري الحديث ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، دط، 1990، ص.109.

الدفاع عن اللغة العربية والذين كانوا يتمنون أن يرد " على اللغة العربية شبانها وتحى ذكرها كل الطرق والذرائع"¹.

من أجل ذلك، ومن أجل إعادة اللغة العربية بهائها اهتمت جمعية العلماء المسلمين بالتعليم، وتأسيس المدارس العربية التي قامت بتلقين الشباب اللغة العربية ومبادئها، فسياسة الجمعية كانت تعول على تعليم ونشر المعرفة بين الناشئة، وقد نشرت مقالات عديدة تتحدث عن التعليم فقد كان " .. المبدأ الرئيسي الذي علمه العلماء لطلابهم وأتباعهم هو : "الجزائر وطني والإسلام ديني والعربية لغتي"²

وتحت هذا الشعار حملت الجمعية مشعل العلم والمعرفة فقد كان التعليم " قبل ظهور جهود المصلحين في الجزائر ... كان عبارة عن مظاهر لا تختلف في الكثير من الأطوار عن الجهل نفسه والتخلف عينه... والذي روج لذلك التعليم المتخلف ترويجا وزكاه تزكية طيبة وأرخی له في الحبل حتى استطال، وأرسل مسيرته في العنان حتى امتدت مع الطريق إنما هو... الإستعمار،الفرنسي..."³ لذلك طالبت جمعية العلماء فرنسا بحق الجزائريين في وضع نظام تربوي خاص بهم " فالمهمة التي تقوم بها جمعية العلماء المسلمين بأدائها، هي السير بهذه الأمة

1 . شرفي أحمد الرفاعي، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، دار البعث، الجزائر، ط1، 1981، ص44.

2 . أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، ط3، 1983، ص422.

. عبد الملك مرتاض، أعلام الثقافة والعلوم، ص39.3

إلى الحياة عن طريق العلم والدين، وهي أقدم الطرق وأمثلها وأوفقها لمزاج الأمة"¹، فوضعت جمعية العلماء جملة من المبادئ التربوية التعليمية في إطار فلسفتها التربوية التي تنهل من التربية القرآنية، ومنهج السيرة النبوية من جهة أخرى، و اشتترطت أن يكون النموذج التربوي نابعا من أصالة الأمة وقد ترجم الإبراهيمي على لسان الجمعية هذا المبدأ بقوله "...نعمت على أنفسنا ونتوكل على ربنا، ونتعلم ديننا ولغتنا وكل ما يخدمنا من علوم وفنون من البدايات إلى النهايات لأن ذلك ألزم لحياتنا ووجودنا من الطعام والشراب، ولا نبالي بمخلوق يقف في الطريق، ولا حقوق يغص في حقه بالريق"²، فالجمعية أدركت حاجة الأمة إلى التربية والتعليم، ودورها في صياغة الشخصية المتحررة فكريا الساعية للتحرر ماديا ومعنويا، كما أدركت محاولة الاستعمار المتكررة في بسط نفوذه على الشعب الجزائري، ولاسيما بسيطرته المطبقة على التربية والتعليم التي حولها من عامل بناء إلى عامل هدم، ومن وسيلة إصلاح إلى وسيلة فساد، لذلك انتقدت الجمعية الطرق البيداغوجية في التعليم، التي تبناها جامع الزيتونة، والتي لم تعد تسائر الحياة، ولم تعد تستجيب لا للمصالح الدين، ولا لمصالح الدنيا " والحق أنقي الجهاز التعليمي بجامع الزيتونة خلاا يحتاج إلى الإصلاح وعللا يجب أن تزاح، ونفائص يجب أن تعالج، وتوافه من النظم يجب أن تلغى"³ لذلك طبقت جمعية العلماء طريقة سهلة وحديثة في تعليم الأجيال، وذلك بسعي معلميهما إلى " أن يطهروا اللغة العربية من الدخيل

1. الإبراهيمي، آثار محمد البشير الإبراهيمي ج3، ص165.

2. الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، ص275.

3. الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج1، ص72.

والاستعمالات الهجينة كما كانوا يعلمون القرآن في هذه المدارس ولكن بتفسير حديث... وكانت كتبهم المقررة تختار لفائدتها وسهولتها وحدائتها، وكان الطلاب يعلمون أفضل الطرق في البحث، وقراءة التاريخ والأدب، وعلم الاجتماع والتراجم أولئك الذين ساهموا في التراث الإنساني¹ فالجمعية حرصت على تعليم الشباب تعليما يؤهلهم لحمل لواء العلم والمعرفة، وتحمل المسؤولية وسط الظلام الدامس والحالة المزرية التي كان يعيشها المجتمع الجزائري لذلك فالجمعية تعدهم " لحمل الأمانة وهي ثقيلة، ولاستحقاق الإرث وهو ذو تبعات وذو تكاليف، وتنتظر منهم ما ينتظر المدجج في الظلام من تباشير الصبح، فالحياة في نظر الجمعية قسمان: حياة علمية وحياة عملية ، وإن الثانية منهما تنبئ على الأولى قوة وضعفا وإنتاجا وعمقا، فهم لا يكونون أقوياء في العلم إلا إذا انقطعوا له"² كما اهتمت الجمعية بالمعلم ولم تغفل بالدور الذي يقوم به في حمل مشعل المعرفة، فبينت مكانته ومسؤوليته العظيمة في أداء الرسالة التربوية فخصصت مقالات تتحدث عن دور المعلم ومن ذلكمقال " إلى المعلمين: الذي جاء فيه " ها أنتم هؤلاء تبوأتم من مدارسكم ميادين جهاد، فاحرصوا على أن يكون كل واحد منكم بطل ميدان، وها أنتم هؤلاء خلفتم هؤلاء مرابطة الثغور عن سلفكم الذين حملوا الدين والدنيا، ووقفوا أنفسهم لإحدى خطتين: الدفاع المجيد، أو موت الشهيد، فاحذروا أن تؤتى أمتكم من ثغرة يقوم على حراستها واحد منكم فيجلب العار والهزيمة لجمعكم،

1. أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية ج2، ص425.

3- ينظر. المرجع نفسه ، ج2 ، ص118

واعلموا أنكم مسؤولون عن أعمالكم فمجزيون عنها من الله ومن الأمة، ومن التاريخ ومن الجيل الذين تقومون على تربيته...¹.

إن نظرة الجمعية إلى المعلم نظرة مسؤول أمام الأجيال، ومهمته هي جهاد ومثابرة، لأنه مسؤول أمام الله، وأمام الأمة، وهو الآخذ بيد الأجيال إلى المستقبل الأفضل.

إن الأمم قديما وحديثا ترى أن قيمة الحضارة والازدهار في العلم والأدب وجاء القرآن الكريم ليعزز هذه المكانة للعلم لذلك فإن جمعية العلماء " قد أدركت ذلك المغزى التشريعي الإسلامي في الابتداء بالتعليم وعرفت تلك الثمرة الطيبة في هناء الإنسانية وسعادة المسلمين فاهتمت بالتعليم"²، وحرصت على نشره عبر كافة التراب الوطني، فأنشأت المدارس والكتاتيب ووجهت دعوة عامة لكل من يرغب في التعليم دون تمييز فقد كتب الشيخ ابن باديس يدعو الجميع إلى التعليم إلى يقول: " نحن - معشر المسلمين - نؤمن إيمانا دينيا بأن العلم حق مشاع لجميع البشر وأن التعليم من حق كل إنسان "³.

. الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص260-263.¹

. البصائر، العدد 114، السنة الثالثة، سلسلة الأولى 1938، ص2.²

. المصدر نفسه، ص2.³

إنّ جمعية العلماء قد تنبّهت إلى خطر الأمية والجهل على الشعب الجزائري، فعملت على " إحياء التراث العربي الإسلامي بتعميم الثقافة العربية ونشر الوعي الوطني في أوساط الجزائريين، وبذلك كانت أكبر علامة للتحدي لكل محاولات الغزو الفكري والاستلاب الثقافي"¹.

فإعادة اللغة العربية بهاءها وحفظها من الزوال والاندثار عن طريق جعلها محور التعليم العربي في الجزائر، جعل جمعية العلماء تعيد للجزائريين ثقّتهم بأنفسهم، وجعل هذه اللغة ركيزة عامة من مقومات الأمة الجزائرية.

كما حاول الإستعمار الفرنسي أن يزرع العداوة بين أبناء الوطن الواحد حين فرق بين العرب والأمازيغ وأرادها حربا بين أبناء الملة الواحدة فكتب الشيخ ابن باديس مقالا مطولا بعنوان " ما جمعته يد الله لا تفرقه يد الشيطان" إذ يقول: " إن أبناء يعرب وأبناء ما زيغ قد جمع بينهم الإسلام منذ بضعة عشر قرنا، ثم دأبت تلك القرون تمزج ما بينهم في الشدة والرخاء وتؤلف بينهم في العسر واليسر، وتوحدهم في السراء والضراء حتى كونت منهم في أحقاب بعيد عنصرا مسلما جزائريا، أمه الجزائر وأبوه الإسلام..."².

موضوع آخر حاز على اهتمام رجال الجمعية وكتبوا فيه مقالات عديدة اشتملت على أفكار متنوعة ونظرات عميقة غاضبة، وتضمنت تحليلا جيدا للأحداث والمواقف المختلفة، وهو

¹ - يسلي مقران، الحركة الدينية الإصلاحية في منطقة القبائل (1920-1945) دار هومة، الجزائر، ط1، 2007،

. الشهاب، ج11، م11، فيفري 1936.²

موضوع قضية فلسطين التي حملت وجهات نظر مستقبلية للنتائج المترتبة على تعاقب الأحداث، وتسلسلها الإيجابي والسلبي، كما كشفت عن تخاذل العرب في الدفاع عن فلسطين ومنها مقال يصف قرارا تقسيم فلسطين، بانفعال عاطفي يكشف عن هول الموقف فقد " تصدع ليل فلسطين الداجي عن فجر الكاذب العيان وتمخض مورد الطامعين في إنصاف أوروبا القديمة وأوروبا الجديدة عن آل لماع يرفع الشخوص ويضعها في عين الرائي لا في لمس اللامس، وباء الظانون ظن الخير بالضميرين الأوروبي والأمريكي، بما يستحقونه من خيبة تعقبها حسرة، تعقبها ندامة وتكشف ذلك اللبس الذي دام عشرات السنين عن الحقيقة البيضاء، وهي أن حق الشرق لا ولي له في الغرب ولا نصير وجاء بها يسمونه- زورا- مجلس الأمم المتحدة شنعاء لا توارى من أحكام القاسطين وأحلام الطامعين.... أيها العرب؟ قسمت فلسطين فقامت قيامتكم... وسالتأقلام الكتاب وأرسلها الشعراء صيحات مثيرة وانهقدت المؤتمرات وأقيمت المظاهرات فهل كنتم ترجون من الدول المتحدة على الباطل غير ذلك؟ وهل كنتم تعتقدون أنه مجلس أمم كما يزعم؟.... وكأنكم ما علمتم أن ذلك المجتمع يمشي على أربع ثلاث موبوءة والرابعة موثوءة"¹، تقف جمعية العلماء المسلمين مدافعة عن فلسطين، مناديه بأحقية العرب والمسلمين فيها مثبتة ذلك بالحجج التاريخية الدامغة والأحداث الهامة التي هي شاهد على هذه الحقائق، كحادثة الإسراء والمعراج يقول الإبراهيمي في إحدى مقالاته مخاطبا فلسطين " يا فلسطين إذا كان حب الأوطان من أثر الهواء والتراب،

. البصائر، العدد 21، سل 2، 1948.¹

والمآرب التي يقضيها الشباب، فإن هوى المسلم لك أن فيك أولى القبلتين، وأن فيك المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله وإنك كنت نهاية المرحلة الأرضية وبداية المرحلة السماوية، ومن تلك الرحلة الواصلة بين السماء والأرض صعوداً... وإليك إليك ترامت همم الفاتحين، وترامت أينق الذلل بالفاتحين تحمل الهدى والسلام وشرائع الإسلام وتنقل النخوة العامة إلى أرض النبوات الخاصة، وثمار الوحي إلى منابت الوحي القديم... وكانت النتيجة أن الإسلام طهره من رجس الرومان، كما طهر أطراف الجزيرة قبلك من رجس الأوثان¹.

إن العاطفة الدينية تتدفق بين سطور هذا المقال، وهي الدافع الأقوى الذي جعل كتاب الجمعية يستشهدون بالتاريخ، ليشهد عن بصمات العرب في فلسطين فهي " أرض عربية، لأنها قطعة من جزيرة العرب، وموطن عريق لسلاسل من العرب، استقر فيها العرب أكثر مما استقر اليهود، وتمكن فيها الإسلام أكثر مما تمكنت اليهودية، وغلب القرآن أكثر مما غلبت التوراة وسادت فيها العربية أكثر مما سادت العبرية..."²، كما تفضح جمعية العلماء النظام الصهيوني بوصفة بأبشع الأوصاف، وبإبرازها لمكرها وخبثه فالصهيونية " نظام يقوم على الحاخام والصيرفي والتاجر، ويتسلح بالتوراة والبنك والمصنع وغايتها جمع طائفة قدر لها أن تعيش أوزاعاً بلا وازع، وقدر لها أن تعيش بلا وطن، وإن كانت جميع الأوطان لها، فجاءت الصهيونية تحاول جمعها في وطن تسميه قولاً فلسطين ثم تفسره فعلاً بجزيرة العرب كلها، فهو

1. الإبراهيمي، عيون البصائر، ص 491.

2. المصدر نفسه، ص 493، 494.

في الحقيقة استعماراً من طراز جديد، في أسلوبه ودواعيه وحججه وغاياته.... إن الصهيونية تعتمد قبل كل شيء على الذهب تشتري به الضمائر والأرض والسلاح وتشتري به السكوت والنطق، وتشتري به الحكومات والشعوب، وتعتمد عليه في الحيلة والمكر والتباكي والتصاغر في حينه، وعلى التمر والإرهاب في فرصته"¹، ويطفح الغضب بجمعية العلماء فلا تملكه، وتذره يتدفق على سجيته شظايا من نار " فما أشأم الصهيونية على فلسطين وما أعق صهيون لفلسطين وما أضل ضلالة اليهود إذ يجرون وراء خيال الوطن القومي، فيجرون البلاء لفلسطين، ويزهقون روح (سام) بمادة الغرب المسمومة، وسبحان من فاوت بين العنصريين في الرقة ودقة الحدس، والأمل واحد، وسبحان من خص العرب بالعامري وخص اليهود بالسامري"² إن تحليل القضية الفلسطينية من وجهتها السياسية يدل على عمق في النظرة وسداد في الرأي، وحساسية مرهفة في فهم الأحداث وتقصي الحقائق لتبلغ صوت الأمة إلى العالم ولتشحن الإرادة العربية والإسلامية نحو القضية الفلسطينية.

كما تنوه جمعية العلماء المسلمين بدور الشعوب العربية في نصرة القضية الفلسطينية " فواجب شعوب الشرق العربي أن تندفع كالسيل، وتُصَبِّحَ صهيون وأنصاره بالويل، وأن تبذل لفلسطين كل ما تملك من أموال وأقوات، وما قيمة الأموال المدخرة لنواب الزمن إذ لم تبذل في نائبة النواب؟ وما قيمة الأقوات المتحركة لمصائب القحط إذ لم تدفع بها مصيبة المصائب؟ والله يمينا

¹. الإبراهيمي، عيون البصائر، ص493.

. المصدر نفسه، 2.507.

برة لو أن هذه القوى- روحيا وماديا- انطلقت من عقلها وتظافت وتوافت على فلسطين وتوافرت، لدفنت صهيون ومطامعه وأحلامه إلى الأبد، ولأزعجت أنصاره المصوتين إزعاجا يطير صوابهم ويحبط ثوراتهم...¹، فهذه المقالة تتدفق بلهجة مشحونة بالإخلاص والغيرة العربية، فهي لا تمثل موقف جمعية العلماء المسلمين وحده وإنما تمثل موقف الشعب الجزائري بالأمس واليوم والغد، فلا تزال هذه القضية، قضية المصير الأكبر والشرف الأسمى، وستظل فلسطين ولو استحال الأموات إلى أحياء، عربية اللسان، عربية القومية، عربية الماضي، عربية المستقبل، وسيأتي يوم ينبج فيه فجر الحرية على فلسطين " وما بيننا وبين ذلك اليوم إلا إفاقة رجل نائم وصحوة جو غائم وإن ذلك لقريب إنه لقريب....."².

وأيا كانت مقالات جمعية العلماء المسلمين فهي في العموم لا تكاد تخلو من اللغة العنيفة، واللهجة الشديدة، وكأنها شظايا حارقة في وجه خصوم الجزائر وأعدائها في الداخل والخارج، وفي وجه خصوم الأمة العربية بصفة عامة، فقد أرسل كتابها أقلامهم على سجيتها، وتركوا العنان لأفكارهم لتخط أجمل وأرقى المقالات في النشر الأدبي، وحق لهؤلاء الكتاب أن يكتبوا في سجل فطاحل الكتاب، الذين حبروا كلمات من ذهب، وشحنوا أفكارا بقيت على مر العصور.

1. الإبراهيمي ، عيون البصائر ، ص 517، 518.

2. المصدر نفسه ، ص 506.

فقد كانت مقالاتهم تجمع بين العناية بالصياغة وبين التعبير عن العاطفة والشعور المتقدم، كما جمعت بين الفكرة الإصلاحية في مضمونها وبين الجمال الأدبي في تعبيره، وقد رصدت مقالاتهم الواقع وعبرت عن موقف كتاب الجمعية تجاه المجتمع ونحو قضايا شغلت أذهان الناس وكانت محور انشغالهم واهتماماتهم .

المبحث الثاني : القصة و المسرح والنقد .

أولاً: فن القصة

إن القصة تتطور شأنها في ذلك شأن مبدعها الإنسان، وقد مرت بمراحل متعددة، ولبت حاجات اجتماعية ونفسية عند الإنسان منذ طفولته كفرد، هذا الفن في حد ذاته والذي سطعت شمس في سماء أوروبا لتنسل منها خيوطا نحو المشرق العربي، لم يصل إلى الجزائر إلا متأخرا وذلك لعدة عوامل يراها معظم النقاد سياسة واجتماعية وثقافية بالإضافة إلى مسألة اللغة التي حاول الاستعمار القضاء عليها مما جعله ينعكس على الأدب بصفة عامة وعلى القصة بصفة خاصة" لأن القصة كفن أدبي تحتاج إلى لغة مرنة متطورة، لغة تستطيع أن تعبر في يسر عن أدق الخلجات وأعمق المشاعر، بأشكال متنوعة حية"¹.

أضف إلى ذلك فإن اللغة العربية لم تستطيع أن تجدد أثوابها نظراً لمحاربة الاستعمار لها، وهذا أدى إلى فتور الحركة الأدبية وعدم طموحها إلى التجديد ولو تركنا اللغة والتي هي وسيلة للتعبير، وبحننا عن النظرة للقصة وفهم وظيفتها في العقود الأولى من هذا القرن لوجدنا أن تلك النظرة وذلك الفهم كانا عاملين هامين من عوامل تأخر القصة وعائقها لها، وذلك لأن مفهوم الأدب كان ينحصر في الشعر وحده دون غيره من الفنون، إذ " كان الشعر هو الأدب، وكان

- عبد الله الركي، القصة القصيرة، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر القاهرة، 1969، ص18.

الشعراء هم الأدباء فقد كانت جريدة البصائر مثلاً في السنوات ما بين 1937 و1955 تخصص باباً يحمل عنوان الأدب الجزائري لا يتناول إلا الشعر والشعراء¹، بالإضافة إلى عوامل أخرى أدت إلى تأخر هذا الفن في بلادنا من أهمها التقاليد وجبروتها، فقد كان الحديث عن المرأة مثلاً يُعتبر من المحظورات في مجتمع يئن تحت وطأة الاستعمار من جهة وسلطة الأعراف من جهة أخرى، فكان من الصعب، بل من المستحيل أن تعالج القصة علاقة الرجل بالمرأة، أو تتعرض لموضوع وما إلى ذلك.

" فوضع المرأة في المجتمع وطبيعة الحياة التي كان يحياها الشعب الجزائري تحت الحكم الاستعماري المباشر طبعت المجتمع بطابع الجدية الصارمة مما أثر في الإنتاج القصصي"².

أضف إلى ذلك، تأخر وسائل النشر، فقد كانت الصحف آنذاك تعاني من تعسف الرقابة الفرنسية، زيادة على الحصار الذي ضربته السلطات الاستعمارية على الساحة الثقافية، إذ لم يكن من الممكن دخول الكتب من الدول المجاورة إلى الجزائر ووصولها إلى يد الجزائري، زيادة على ذلك " غياب الساحة النقدية العلمية الجادة التي من شأنها تطوير الأدب الجزائري ليواكب الآداب العالمية"³.

1. بنظر عبد الله الركبي، تطور النشر الجزائري الحديث (1830-1974)، دار نافع للطباعة، القاهرة، د.ط 1976، ص161.

- عبد الله الركبي، القصة القصيرة الجزائرية، ص29.

- أحمد طالب، الأدب الجزائري الحديث، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط. د.ت، ص09.

بالإضافة إلى ذلك فإن صلة الجزائري بالثقافة الغربية والتي تحمل بذور القصة كادت تكاد تكون شبه منقطعة وذلك بحكم العدا المستحکم فقد وقف الجزائري من الثقافة الغربية موقف العدا، ولم يحتك بها إلا متأخرا، فمنذ أن دخلت فرنسا أرض الجزائر وهي تعمل للقضاء على الشخصية الجزائرية وبدأت لذلك بمحاربة الثقافة العربية والجزائري غيور على تراثه ومن ثم حدث العدا بين الثقافتين، " وليس بمقدور المؤرخ للأدب الجزائري أن يفصله عن الأدب العربي العام في العصر الحديث، من حيث الاتجاه العام الذي اتجه نحو الغاية والهدف في العصر الحديث، والهدف، ونحو المسعى في تحقيق القيم الحضارية والتراثية وفي الحفاظ على معاني الأصالة والإباء والشرف والحرية في تثبيت الشخصية"¹

وهكذا يظهر أن طريق القصة لم يكن معبدا، ولم يكن لهذا الفن أصولا، وقواعد يرتكز عليها لذلك ظهرت القصة في الجزائر أولا في أشكال بدائية انحصرت فيما يسمى: المقال القصصي، والصورة القصصية.

1- المقال القصصي:

إن ارتباط الحياة الأدبية بالحركة الإصلاحية هو الذي جعل المقال القصصي يسير في خطها، فلم يكن الدافع إلى كتابته دافعا فنيا أدبيا بقدر ما كان الدافع خدمة الفكرة الإصلاحية، أي إصلاح العقيدة وإحياء التراث من لغة وتاريخ وأدب" والواقع أن المقال

¹. محمد عباس، الإبراهيمي أدبيا، ديوان المطبوعات الجامعية، وهران، 1983، ص21.

القصصي ما هو إلا صورة من المقال الإصلاحى الدينى وخاصة فى مضمونه ووظيفته.... ولم يكن الدافع إليه فنيا بقدر ما كان لخدمة الدعوة الإصلاحية وشرحها بأسلوب قصصى جذاب"¹، فكان كتاب جمعية العلماء المسلمين متمسكين بالثقافة العربية التقليدية، فعالجوا فى المقال القصصى فى هذه الفترة- أى ما قبل الحرب العالمية الثانية- قضية الحضارة والدين، وكيف أن المدنية أضرت بالدين و أثرت بالقيم و المثل بماديتها الصرفة هذه المادة التى سبب هى البلاء والحروب على الإنسان وبالطبع فإن الإسلام هو الذى يحمى الإنسانية من هذه المصائب ويجنبها الكوارث الحضارية المادية"².

على أن هذه المواضيع وغيرها التى تناولها المقال القصصى لم تكن محل تركيز واهتمام وإنما التركيز كان أساسا على محاربة البدع والخرافات وتصحيح العقيدة، كما ركز على قضية السفور والحجاب والمرأة، كما أن المقال القصصى وبالرغم من المقدمة القصصية يدور محوره على تعليم الدين الصحيح وتعليم السنة النبوية الشريفة بمفهومها الصحيح أيضا فالفكرة التعليمية بارزة واضحة فيه، ومن هنا يأتي عدم الاعتناء بالشخصية الإنسانية وعدم الاحتفاء بالترابط بين البداية والنهاية، بل إن الكاتب يترك نفسه على سجيتها، يتحدث بالتفصيل عن كل ما يجرى من نقاش والحوار بين الأشخاص وما يجرى من أحداث فى المكان الذى يريد أن يصوره، كما " أن أثر الأساليب العربية القديمة واضح فى المقال القصصى فالألفاظ فخمة

- عبد الله الركيبي، تطور النثر الجزائرى الحديث (1830-1974) ص 165.¹

- عبد اله الركيبي، القصة الجزائرية القصيرة، ص 67.²

جزلة والتعابير قوية تملأ الفم ومثال على ذلك قول محمد سعيد الزاهري في مقال إلى زيارة سيدي العابد المنشورة بمجلة الصراط سنة 1934 يقول :- فتراءى أمامنا سهل فسيح مترامي الأطراف ولكنه كالبحر العجاج يتلاطم بالمضارب و القباب وبالأخبية والخيام وبالخيل والحمير ؛ وبهذه الخلائق التي تموج بعضها في بعض والتي لا يأتي عليها عدولا يأخذها إحصاء"¹، بالإضافة إلى ذلك فإن السمة الواضحة في المقال القصصي هي التحوار بين الشخصين أو أشخاص، ولكن هذا الحوار لم يكن إلا تفسيراً عن شخص الكاتب وأفكاره وأراءه لأن ملامح الشخصية واحدة لا تتغير، وكثيراً ما يأتي الحوار بين مصلح طريقي أو محافظ رجعي، والغرض من هذه المحاورات هو تغلب أحد الخصمين على الآخر في تثبيت رأيه ورجحان فكرته وتنتهي دائماً الغلبة بانتصار المصلح وفكرته.

و كان جل عناوين قصصهم توحى بالمواضيع الفكرية المعالجة نفسها مثل " ما كتبه محمد السعيد الزاهري: الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير اعترافات طرقي قديم، وذكريات ونظريات" كل هذه العناوين تشير إلى ما علق بالدين الإسلامي من شعوذة وطرقية زائفة وأباطيل ودجل وشجع الحجاج في اكتساب المال بطرق غير مشروعة"².

وقد تميز المقال القصصي بالخصائص التالية:

- "كان الكاتب يميل فيه أكثر إلى الوصف إلى حد إنقال النص.

- عبد الله الركيبي، القصة الجزائرية القصيرة، ص 68.¹

- أحمد طالب، الأدب الجزائري الحديث، ص 12.²

- انصب الاهتمام على الحدث والميل إلى النقل الحرفي للواقع.
- كان المقال القصصي عبارة عن مزيج من القصة و غير القصة .
- إنه خليط من المقالة و الرواية والمقامة والحكاية.
- شخصيات ثابتة لا تنمو مع الحدث.
- النبرة الخطابية المحملة بالوعظ والإرشاد لأهداف إصلاحية "1.

هذا عن المرحلة الأولى لمسيرة المقال القصصي، أما في المرحلة الثانية والتي جاءت بعد الحرب العالمية الثانية واستمرت حتى قيام الثورة، تطور المقال القصصي وكان تطوره بصورة أوضح من حيث المضمون فأخذ ينتقد مظاهر الحياة الإجتماعية المختلفة والتقاليد البالية التي تعوق تطور المجتمع "حتى أنه ليكمن القول بأن في هذه الفترة تميزت بالحوار الدائم في السياسة والثقافة والدين والفكر عموماً."2

وإذا كان المقال القصصي قد ساهم في التمهيد لظهور القصة الفنية فإن ظهورها يسمى الصورة القصصية والتي تعد التمهيد الحقيقي لظهور القصة الفنية بالجزائر .

1. مخلوف عامر، مظاهر التجديد في القصة القصيرة الجزائرية، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، د.ت، ص48.

. عبد الله الركيبي، القصة الجزائرية القصيرة، ص85.2

2- الصورة القصصية: " الصورة القصصية هي قصة لم تنضج، لم تتوفر لها سمات

والخصائص الكاملة للقصة الفنية، ولكنها أقرب إلى روح القصة وشكلها من المقال

القصصي"¹.

فقد نشأت الصورة القصصية في نفس الوقت مع المقال القصصي وسارت معه واستمرت

حتى الإستقلال، بينما توقف المقال القصصي عند قيام الثورة.

لقد حاول الكثيرون وضع تعريف محدد للصورة القصصية، لكنهم لم يستطيعوا سوى تحديد

بعض ملامحها مثلما فعل عبد الله الركيبي " فهي تهدف إلى رسم صورة للطبيعة أو صورة

كاريكاتورية لشخصية إنسانية أو التركيز على فكرة معينة"².

وبذلك إن الغرض من الصورة القصصية هي إعطاء صورة تنطبع في ذهن القارئ كما انطبعت

في ذهن الكاتب فالكاتب يحاول أن ينقل القارئ إلى جو الشخصية مثلا الذي يحاول أن

يرسمها، ويعطيها دلالات لتبدو وكأنها حية واقعية، بل إنها تبدو كأنها ملتصقة بالواقع التصاقا.

وقد عالج الكاتب في الصورة القصصية جملة من الموضوعات أهمها تعليم المرأة وحريتها

وزواجها على أساس سليم، وقضية الاندماج، والتزوج بالأجنبيات والحث على تعليم العربية

والحفاظ عليها، وهي نفس الموضوعات تقريبا التي عالجها المقال القصصي ولكن بشكل

- عبد الله الركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث (1830-1974)، ص 166¹

- عبد الله الركيبي، القصة الجزائرية القصيرة، ص 89².

آخر، ولعل أفضل قصة مثلت هذا الوضع، هي قصة "الشيخ رزوق" لأحمد رضا حوحو، " وقد صور هذه الشخصية تصويراً فنياً بأسلوب تمثيلي يجعلنا نقف على أدق ما يميزها من أوصاف عن بقية الشخصيات الأخرى الواقعية التي نعرفها عادة"¹، وقد حرص الكاتب على الإعلان في مقدمة مجموعته عن واقعية الشخصيات المستمدة من الحياة حيث قال: " التجأت إلى المجتمع وانتزعت من مختلف طبقاته نماذج عشت مع بعضها وسمعت عن بعضها نماذج حية أقدمها للقارئ، لعله يتوصل إلى تفهم بعض طباع مجتمعه، فيلمس أنبل نفس في أحقر شخصية، ويلمس الإيمان القوي في قلب الرجل الضال، والزيغ والإلحاد تحت عمامة الرجل الشرع"².

كما سلطت قصص أخرى الضوء على خطر الاندماج في المجتمع الفرنسي يبدو ذلك من خلال بعض القصص التي نكتشف مضامينها من خلال عناوينها المتشابهة، مثل قصة: " من المعلوم، لزهور ونيسي ومضمونها يتحدث عن خطر انتماء الأطفال الجزائريين في تلك الحقيقة إلى المدرسة الفرنسية، وتأثير ذلك على لغتهم وعاداتهم وتقاليدهم، وكذلك قصة " خطر الاندماج في البلاد لأحمد بن عاشور، وهناك قصص أخرى تتعلق بالمضمون نفسه وتحدث عن زواج الجزائري بالأجنبية، وزواج الجزائرية بالأجنبي وهو نوع من الاندماج أيضاً، وقد مثلته القصص التالية: زوج متدين ، وزوجة أوروبية، وزواج عصري، لأحمد بن عاشور.

- أحمد طالب، الأدب الجزائري الحديث، ص12.¹

- عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث، تأريخاً وأنواعاً وقضايا وأعلاماً، ص172.²

وكانت " الصورة القصصية في كل هذا تعبر عن الواقع حتى في بعض عناوينها فقد اشتد الصراع بين الشعب والاستعمار وأحس الشعب بأن حالة البؤس والشقاء والتخلف الاجتماعي والثقافي إنما سببها السيطرة الإستعمارية، فجاءت الصورة القصصية لتصف هذا الواقع وتسجله وكأنها تشير في كل فقرة منها إلى هذا الواقع وتريد أن تلفت أنظار الشعب إلى حالته في هذه الفترة التي سبقت الثورة.¹

ويمكن تلخيص خصائص الصورة القصصية فيما يلي:

- " الإهتمام برسم الحدث كما هو.
- رسم الشخصية في ذاتها وفي ثباتها بطريقة لا تتفاعل فيها مع الحدث
- الحوار يعبر عن أفكار الكاتب في إسقاط واضح.
- عدم التركيز بالإستطراد في ذكر التفاصيل والجزئيات.
- السرد يختفي فيه الإيجاء ويسيطر الوعظ.
- وصف الواقع دون تحليله، اعتماد الأسلوب المسترسل والجمل الطويلة والتراكيب القوية القديمة بروح تعليمية واضحة²

وإلى جانب وزن جمعية العلماء المسلمين الثقيل نجد طابعا ثانيا تتميز به هذه المرحلة وهو طغيان التيار الرومانسي المهيمن على معظم محاولات هذه الحقبة " ولا ننكر ما لأسلوب

. عبد الله الركيبي ، القصة الجزائرية القصيرة ، ص 103.¹

. مخلوف عامر، مظاهر التجديد في القصة القصيرة الجزائرية، ص 48.²

المنفلوطي من ذبوع وتأثير فقد أعجب به القراء في العالم العربي كله، ولم يُحْف الأدباء والكتاب تأثرهم الشديد لهذا الأسلوب إذ أصبح السمة الواضحة التي تتميز بها كتاباتهم إرضاء لذوق المتلقي في تلك الفترة"¹ ، ومهما يكن من شيء، فإن الأمر الذي لا ينكر هو أن المقال القصصي والصورة القصصية، وإن لم ترتكزا على الأسس الفنية التي تتطلبها القصة القصيرة إلا أنها عاجت موضوعات، شغلت الأذهان في تلك الفترة وسجلتها كنقد للواقع ومعالجة له، ثم، "إن هذه البداية في نشأة القصة الجزائرية قد انطلقت طموحه إلى تأصيل فن قصصي واعد بالجدة والقوة والأناقة والحيوية"²، وإن كان معظم الدارسين قد اعتبروا أن قصة "فرنسوا والرشيد" لمحمد السعيد الزاهري، والتي كتبت سنة 1925 ونشرتها جريدة الجزائر في عددها الثاني، هي أول محاولة قصصية جزائرية.

ثانيا: فن المسرح

بما أن الحركة الثقافية والفكرية في الجزائر قد نشطت مع ظهور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والتي طرق علماءها جل الفنون تقريبا، فقد حاول هؤلاء أن يضعوا بصماتهم على فن المسرح في الجزائر. وبالرغم أن الفن قد ظهر في الجزائر . " بعد زيارة فرقة مصرية سنة 1921 على رأسها جورج الأبيض بمعية القرداحي وفاطمة رشدي"³، لكن هذه الفرقة قد

¹ - أحمد طالب، الالتزام في القصة القصيرة الجزائرية المعاصرة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ت. د.ط، ص48.

- عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث، تأريخا وأنواعا وقضايا وأعلاما، ص173

. خيثر عبد النور، منطلقات وأسس الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954، ص161.³

فشلت في عروضها في الجزائر وقد يرجع ذلك إلى " ضعف مستوى اللغة العربية عند الجزائريين وصعوبة الفهم لها مع عدم تداولها بينهم، وانشغال الشعب الجزائري بهمومه ومشاكله المختلفة التي يعيشها... " ¹، إلا أن زيارة هذه الفرقة كانت حافزا مهما للجزائريين للاهتمام بهذا الفن، فقد ظهرت مسرحيات عديدة لمجموعة من الهواة، كما ظهرت الفرق المسرحية ومحاولة التأليف المسرحي، وبما أن اللغة العربية الفصحى كانت تشكل عائقا في هذا الفن فقد ظهرت العامية في الحوار المسرحي بدل اللغة الفصحى مما فتح آفاقا في التمثيل لدى الشباب المهتم بهذا الفن ومن ثمّ فقد عرف المسرح الجزائري منذ سنة 1926 تحولا جذريا على مستوى الشكل والمضمون معا وكان أبرزه ذلك التحول هو استعمال العربية الدارجة في الحوار بدل اللغة الفصحى والتحول من الدراما الاجتماعية الجادة إلى الكوميديا وأيضا بين التمثيل والموسيقى والغناء والرقص أحيانا ²، وقد كانت موضوعات المسرح في هذه الفترة تعالج المشاكل الاجتماعية، لكن بصورة تميل إلى الفكاهة في أسلوبها وإلى الهزل في طريقة التعبير عنها ، ومع ظهور جمعية العلماء المسلمين، ظهر " المسرح المكتوب بالعربية الفصحى من جديد موازيا للمسرح المكتوب بالعامية، بعد أن اختفى من الساحة الفنية عاد في ثوب جديد على يد كتاب جدد... " ³، فكانت مسرحية محمد العيد آل خليفة " بلال بن رباح " أول نواة شعرية

¹ . ينظر صالح لمباركية، المسرح في الجزائر، دار البهاء الدين للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط 2 ، 2007 ، ص44 .

² . أحمد منور، مسرح أحمد رضا حوحو دراسة أدبية تحليلية مقارنة، بحث لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي، تحت إشراف أ، عبد الله الركيبي، جامعة الجزائر 1989، ص20.

³ . المرجع نفسه ، ص25.

استلهم فيها التاريخ العربي الإسلامي وقد حاول الشاعر محمد العيد آل خليفة أن يصور في هذه المسرحية معاناة الصحابي الجليل بلال بن رباح وصبره على الشدائد وكأنه بذلك يبعث رسالة إلى الشعب الجزائري يدعو فيها إلى الاقتداء بهذا البطل الجليل في صبره وشجاعته أمام الكفار فكأن الشاعر محمد العيد آل خليفة يسقط التاريخ القديم على الواقع الذي يشبه الماضي.

وقد كان المسرح في مرحلة جمعية العلماء المسلمين ذا طابع مدرسي إذ كان التلاميذ هم أنفسهم الممثلين، فكان الهدف منه تربويا بالإضافة إلى تلقين اللغة العربية الفصحى والتي حرصت جمعية العلماء المسلمين على إحيائها من جديد، وكانت مسرحية بلال بن رباح للشاعر محمد العيد آل خليفة: "مسرحية تاريخية وشعرية فصيحة، موضوعها الصبر على المكارِه في سبيل الدين في المبدأ، واتخذ منها محمد العيد آل خليفة رمز صبر الشعب على الاستعمار في المقابل صبر بلال على التعذيب والاضطهاد وتلك هي رسالة المسرحية"¹ وكانت كتابة المسرحية باللغة العربية الفصحى يدعم جهود العلماء المصلحين في الحفاظ على الشخصية العربية المسلمة، ثم إن استلهام التاريخ الإسلامي في المسرح سيوثق العلاقة بين الإنسان الجزائري وماضيه الإسلامي العريق، فهذه المسرحية "تخدم وتغذي هذا الاتجاه فقد عكف كتابه على الإمام بماضي الأجداد وتسجيل بطولاتهم وأعمالهم الجليلة ومآثرهم، سعيا

. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج8، ص141.

إلى تخليدها وإيقاظ النفوس بها"¹، لأن الشعب الجزائري كان في حاجة إلى من يعيد له ثقته بنفسه، بعدما عمل الاستعمار على هدم كل مقومات الشخصية الجزائرية العربية المسلمة، من دين ولغة، ثم إن " الأديب الذي يوفق في تصوير الأحداث القومية وتوجيه الأضواء على مواقع العبرة والموعظة فيها يسهم في تكوين التاريخ المقبل لأمته لأنه هو الذي يشحن أفراد الأمة بطاقات من العزة والإحساس القومي"²، وهذا ما كانت جمعية العلماء المسلمين تحاول أن ترسخه في أذهان الجزائريين، فهي وبعودتها إلى التاريخ والتنقيب عن البطولات المحسدة فيه تحاول أن تدفع بهذا الشعب إلى استلهام العبرة والأخذ بالأسباب من أجل استرجاع الحق المغصوب . "

غرف المسرح الجزائري من ينابيع التراث فوجد فيه مادة غنية بالمضامين و الطاقات والدلالات التعبيرية فالتراث بحكم تمكينه من وجدان الأمة يمنح الخطاب المسرحي قوة بلاغية كبيرة³ وهذا ما حاول كتاب جمعية العلماء المسلمين استخلاصه في كتابتهم المسرحية ، وهم بذلك يحاولون ترويق و ترميم ما هدمه الاستعمار الفرنسي ، لأنّ الأخذ من التاريخ يمنح النص المسرحي قوة بالإضافة إلى أنه يمنح المشاعر الإحساس بالفخر والاعتزاز ، ويثير في

¹ . ادريس قرقوة، الظاهرة المسرحية في الجزائر، دراسة في السياق والآفاق، دار الغرب للنشر والتوزيع الجزائر، 2005، د.ط، ص51.

. أنيسة بركات درار، أدب النضال في الجزائر من سنة 1945 إلى الاستقلال ص.69²

³ . أحسن ثليلاني، المسرح الجزائري و الثورة التحريرية ، وزارة الثقافة ، الجزائر ، دط ، 2007، ص65 66.

الفساحمية والشهامة ، ويجعله يشعر أنه سليل شعب عريق ، أصله ثابت في الأرض و فروعه تسمو في السماء .

و لم يكن الشاعر محمد العيد الخليفة وحده مولعا بكتابة المسرحية واستنطاق نصوصها من التاريخ و ذلك " لأن النهضات الثقافية لم تقم على كتف قلم واحد أو أقلام قليلة فقيرة، وإنما قامت على أقلام سيالة غنية كثيرة ، متعددة اتجاهاتها من أجل ذلك رأينا توفيق المدني يعالج مواضيع تاريخية " ¹ فقد كتب مسرحيته الشهيرة حنبعل مستلهما موضوعها من التاريخ الإفريقي تماشيا مع روح المقاومة الوطنية للاستعمار الفرنسي فتناول فيها "قضية الصراع بين القرطاجيين وهم سكان تونس في القديم وبين روما التي كانت تمثل إحدى القوتين الكبريتين في التاريخ قبل الإسلام فاختر شخصية حنبعل الذي كان بطلا وطنيا وقف ضد مطامع روما وحاربها بشجاعة نادرة وانتصر عليها في معارك كثيرة ..."²، وهو باختياره لهذه الشخصية التاريخية يحاول أن يعطي لهذا الشعب دفعا قويا من أجل الثورة على الاستعمار فيقول على لسان حنبعل وهو يحث جنوده على الثبات وقوة العزيمة " ارجعوا مسرعين لأرض الوطن واعملوا على مقاومة اليأس والقنوط ، وحدوا صفوف الأمة ونظموا المقاومة ، فالأعداء لن يتركوكم تستريحون . إن طغيان روماسيمضي، و سيمضي من بعده كل طغيان ولا حياة إلا

1 - ينظر ، عبد المالك مرتاض ، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر 1925، 195، ص 209

2. أحسن ثليلاني ، المسرح الجزائري و الثورة التحريرية ، ص65.

للأمم الشاعرة بوجودها المجاهدة في سبيل حريتها و المحافظة على كيانها ووحدها¹. فهذا الخطاب لهذا القائد يحاول توفيق المدني أن يوصله إلى الشعب الجزائري ليحرك به النفوس على التمرد و الثورة على الاستعمار ، فلا حياة ولا وجود للأمم دون تضحيات ودون جهاد و دون مكابدة الصعاب فتوفيق المدني " يمجّد الرجال في مسرحية حنبعل . رجال التاريخ و يضيف عليهم هالة ضخمة من الإجلال والإكبار على طريقة الكتاب الكلاسيكيين² وهو يفعل ذلك حتى يستميل المشاهد ويجعله يتأثر بتلك الشخصيات ويحذو حذوها ، خاصة وأنّ أوضاع الجزائر في تلك الفترة كانت تدعو إلى محاولة إيجاد بؤرة تلاقي الواقع الجزائري المرير والماضي المشرق .

استطاعت جمعية العلماء المسلمين أن تسمو بهذا الفن من حيث المواضيع ومن حيث المحتوى بالإضافة إلى نشر اللغة العربية الفصحى في الأوساط الجزائرية "فالمسرح الفصيح نما وتطور في أحضان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين متخذاً من مدارسها فضاء له ،وقد اتسم بطابع المسرح التعليمي"³، لأن غاية جمعية المسلمين كانت واضحة ، فهي تهدف إلى خلق جيل جديد متشبع بالروح الإسلامية العالية ، متمسك بجذوره ،حتى يستطيع مجابهة الواقع الذي تمخض عن الاستعمار الفرنسي ، ثم إن الكتابة باللغة العربية الفصحى للمسرح الجزائري ليس بالعمل السهل في تلك الظروف لكن كتاب جمعية العلماء استطاعوا أن يطعموا هذا الفن

1 . ادريس قرقوة، الظاهرة المسرحية في الجزائر، دراسة في السياق والآفاق، ص 52 .

2 . المرجع نفسه، ص 52 .

3 .عبدالمكمر تاض، فنون النثر الأدبي الجزائري، 1931-1954، ص 40

بروح هذه اللغة العربية الفصيحة ،بالإضافة إلى غرس القيم السامية في النفوس فمسرحية "بلال بن رباح" للشاعر محمد العيد آل خليفة مثلا تعتبر "نقطة تحول في تاريخ المسرح الجزائري لا لأنها أول عمل شعري متكامل في هذا المجال وحسب وإنما لأنها عبرت أيضا عن اتجاه جديد تجلّى في مضمونها التاريخي إلى جانب الناحية الدينية والتربوية"¹ لذلك اكتسبت طابعا تعليميا وكانت مسرحية " بلال بن رباح " سلما ترقى به الناشئة نحو المثل العليا فهي قبس من نفس الشاعر المشتعلة و صورة من عواطفه المنفعلة فهي كما وصفها محمد صالح الخرفي "أبوة شعرية تنامت على صفحات الجرائد و حلقت بين أجنحة القصائد ... كان ولم يزل شعره الأنيس والرفيق و المرشد و الرائد و النخوة و الاعتزاز"²، فمحمد العيد آل خليفة بالإضافة إلى كونه شاعر الجمعية و الناطق باسمها كان عضوا فيها أيضا ورائدا من روادها مدافعا عن مبادئها....فقد كان "شديد الحساسية ،رقيق العاطفة ،سريع التأثر ،مرهف الشعور ،تهزه الكلمة المشحونة يثيره المشهد الصاخب وتدمي قلبه حقوق البؤساء فيذرف الدمع لما نالهم من مظالم ونكبات"³ لذلك جاءت مسرحيته "بلال بن رباح" آية في الإبداع ،جمعت بين المستوى الشعوري و البعد الانفعالي له بالإضافة إلى نزعتة الدينية في معالجة الوقائع التاريخية مما أضفى على العمل المسرحي عنده مسحة جمالية رائعة .

لقد استطاع فن المسرح أن يشق طريقه وسط الزحمة ويبيّن له رجال الجمعية مرحلة يؤرخ لها في بداية المسرح الجزائري المكتوب باللغة العربية الفصحى و الذي حظي بإقبال كبير ابتداء من الثلاثينات ، نتيجة تقدم الحركة الوطنية و الاعتزاز باللغة ولكثرة المدارس التي أنشأتها جمعية

¹ . إدريس قرقوة ، الظاهرة المسرحية في الجزائر ، ص 82.

² . محمد صالح خرفي ،محمد العيد آل خليفة (مسرحية بلال) المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ، د ط 1986 ص 13

³ . أبو القاسم سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي ،ج8 ،ص 427 .

العلماء والتشجيع عليها ... ، فبرز هذا الفن إلى الوجود بهذه الخاصية التي تلونه وهي كتابة المسرح باللغة العربية الفصحى ، و ساهم في بناء النهضة الإصلاحية والعلمية في الجزائر .

ثالثا : النقد الأدبي .

إن الأدب هو موضوع النقد و ميدانه الذي يتطور فيه ، فالأدب هو مجموع الكلام الجيد المروى شعرا أو نثرا صادر عن مهارة أو صناعة لسانية رائعة و من ثم يكون الخلق والإبداع فمنه ما يرقى إلى مستوى الجودة و الكمال ومنه ما يقصر دون ذلك .

و النقد هو تمييز جيد الأدب من رديئة للتعرف على أسباب القوة و الضعف في العمل الأدبي و مواطن القبح و الجمال و إصدار الأحكام عليها ، فهو بذلك يبحث في الأدب وفنونه وصناعته ، وفي الأدباء و الشعراء و الكتاب والسمات المميزة لكل واحد منهم ويحلل العناصر الأدبية تحليلا يقوم على الذوق السليم .

و سواء أكان النقد علما أم فنا فإنه ليس قائما بذاته و إنما ظل مساهرا للأدب وملازما لهو عليه فإن الحركة الأدبية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين قد واكبتها حركة نقدية "وهي تظهر فيما كان يدرسه الشيخ عبد الحميد بن باديس لتلاميذه من طرائق في الأدب و أساليبه اللفظية الجزئية حتى البناء الكامل ، فقد كان للشيخ طريقة خاصة في تناول الحياة كلها تشهد له بالحدق والبراعة إذ كان يدعو تلاميذه و المنتفعين بثقافته إلى القديم و الجديد معا ، و إذا كانت هذه الدعوة من الشيخ عامة تشمل أسلوب الإصلاح جميعا ، فلقد كانت أوضح ما

يكون فيما عالجته من وسائل الأدب لتلاميذه و لا سيما في دراسته للكامل و الأمالي وغيرها¹، و كانت مهمه الأديب تكمل فيما ينقله من إحساس بالجمال و إبراز القيم الجمالية و الإنسانية في العمل الأدبي . كما كان ابن باديس يدعو تلاميذه إلى العودة إلى الأدب القديم لأخذ منه فهو الزاد الذي يقنات منه طالب العلم و أي زاد خير من التراث العربي القديم من الشعر والنثر فهو يقول " فعلى أدباء الجزائر و شعرائها أن يدرسوا آدابهم العربية...²، ولم يكتف بالدعوة إلى العودة إلى التراث العربي القديم بل كان هو نفسه يعكف على دراسته ليحتذي به تلامذته و يؤكد الشاعر محمد الهادي سنوسي على هذه الحقيقة حين دعا هو أيضا إلى العودة إلى آثار القدامى ودراستها والاطلاع عليها فيقول : "فهلا رجعنا إلى أسفارهم الخالدة لنأخذ منها زادا لأقلامنا ، فنرقى برقي لغتنا الخالدة لغة عدنان و قحطان ، لغة عبد الحميد الكاتب و ابن العميد ، و لغة الجاحظ و الحريري و لغة البحري ، و أبي تمام ، و المتنبي"³ وفي ذات الموضوع نجد الشاعر محمد العيد آل خليفة يدعو الآخرين للأخذ بالأدب القديم و العودة إلى محرابه للتزود منه فيقول مخاطبا الشعارين محمد الأخضر السائحي و عثمان بو قطايه:

"وَلَدِي قَدْ أَنْعَشْتُمَا فِي غِبْطَةٍ بِلِقَاكُمَا وَعَمَرْتُمَا فِي جُودَا

1. أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، ط1 ، دت ، ص80.

. وزارة الشؤون الدينية ، آثار الإمام ابن باديس ج3 الجزائر ، ط1 ، 1984 ، ص 279.

. محمد الهادي السنوسي ، شعراء الجزائر في العصر الحاضر ، ج2 ، ص 128 .³

إِنِّي أَرَى الْأَدَبَ الْجَدِيدَ كَسَاكُمَا حُلَاً تَرْقَى بِحُسْنِهَا وَبُرُودًا

فَتَعَهَّدَا الْأَدَبَ الْقَدِيمَ فَإِنَّهُ أَخْلَى مُحَاوَرَةً وَ أَصْلَبَ عُدَاً¹

إنّ كتاب الجمعية ينادون بالاستفادة من التراث العربي القديم في استلهام منه الأفكار والأساليب في كتاباتهم، رغم الضواغط المتعددة عليهم، فهم منجذبون بين الروح الدينية والذوق الأدبي و تقديس القدامى ، إضافة إلى أن ظروفهم الثقافية لم تكن تسمح لهم بالإفصاح عما أرادوا بكيفية صحيحة، علاوة على ذلك فإن الحركة الأدبية السائدة آنذاك كان تتميز بطابع إصلاحى لذلك نتج عنه أدب ملتزم في كل قضاياها لأن "الالتزام بمفهومه الصحيح هو الموقف الواضح الذي يقفه الأديب مما يجري حوله بحيث يدرك مسؤوليته تجاه قضايا أمته إدراكا تاما و يعيش تجارب الآخرين في تجربته الذاتية من خلال المعاناة الروحية والفكرية لمشكلات الإنسان الكبرى و الصغرى"².

فالأديب في تلك الفترة من حياة الجمعية كان يعيش الواقع بكل حذافيره و يحاول أن يصقله بطابع أدبي متميز ، فهو يتخذ من أدبه عدسة تصوير لنقل الأحداث وفي ذات الوقت يحاول أن يطبعها بطابع فني فيأتي أدبه رسالي هادف يحمل خصائص عصره ومجرات أحداثه لأنه " وما دامت الحياة نضالا و صراعا فقيمة الفنان تكمن في قدرته علي تجاوز المتناقضات والتغلب علي الظواهر السلبية في المجتمع و محاربة التلوث الاخلاقي والتسمم الفكري والتصدؤ الروحي و التفسخ السلوكي"³.

1. محمد بن سميحة، النهضة الأدبية الحديثة في الجزائر، مؤثراتها، بدايتها مراحلها ص 70.

2. عمارية بلال (ام سهام) شظايا النقد و الأدب و الدراسات الادبية ، المؤسسة الوطنية للكتاب والنشر، الجزائر دط

1989 ص 110

3. المرجع نفسه ص 109.

فكان لزاما علي أديب الجمعية ان يجاري الأحداث و يصلح مايريد إصلاحه لكن كل ذلك بأسلوب راقى و قد كانت نداءات موجهة الي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من أجل الأخذ بهذا الجيل الي ينابيع الأسلوب الراقى في الكتابة "فواجب الجمعية أن تذيع البلاغة العربية والبيان العربي وتعمل على نشرهما في كتاباتها وصحفها ومنشوراتها" ¹ من أجل أن يطلع عليها العام و الخاص فتجري في اساليبهم و كتاباتهم .

ولم يكن التراث العربي القديم وحده الذي دعت جمعية العلماء للإطلاع عليه وانما كان الأدب العربي الحديث هو الآخر ملاذ الكتاب و مرجعهم فقد قال محمد الهادي السنوسي يشيد بفضل الأدباء العرب "فمن منا معشر الأدباء الجزائريين من لم يفتح عينيه منذ انتهت الحرب الكبرى الأولى (14- 18) على ما ظلت تنتجه مدرسة إسماعيل صبري وحافظ وشوقي وطه حسين و العقاد و أحمد أمين والمنفلوطي و الزيات و غيرهم من رجال الرعيل الثاني للنهضة الأدبية في الأقطار العربية و كان أساتذتنا لا يفتؤون يتخيرون لنا من منظومهم ما يؤثر فينا لتثقيف عقولنا و إصلاح ألسننا .." ².

لقد إهتمت جمعية العلماء بالشعر و الشعراء فقد خصصت بابا في جريدة البصائر لكتابة الشعر فقط، فقد كان للشعر عند الإصلاحيين تعريفا خاصا مثلما نجده عند إبراهيم أبو اليقظان الذي يقول : "اعلم أن آداب كل أمة مرآتها و مرآة الأدب الشعر فالشعر هو مظهر تظهر فيه مشاعر الأمة و تتجلى فيه أحوالها وتترأى للرائي نفسيتها و يعرف به درجة مزاجها العقلي... الشعر ميزان توزن به الأقوال و معرض فيه تعرض عظام الأعمال... الشعر لسان

1. البصائر، العدد 3، سل 2 1947 .

2. محمد بن سميعة، النهضة الأدبية الحديثة في الجزائر، مؤثراتها، بدايتها مراحلها ص 71 .

الإنسانية فيه يذود عن الحمى و يرفع صوته إلى عنان السماء،فيرن صدها متموجا في الهواء إلى أن يسمعه الصم و ينطق به البكم و يبصره أهل العمى"¹.

إن هذا التعريف بالشعر يجعله يتبوأ الصدارة في اهتمامات كتاب الجمعية فهو ترجمان العواطف و العقول وهو الذي تطبع فيه معاني الأشياء كما تطبع الصورة في المرآة فكل موروث شعري هو مرآة التي يرى فيها الجيل الجديد نفسه،لذلك كان كتاب الجمعية يدعون الجيل الجديد إلى الغوص في أعماق الماضي التليد للأجداد و الأخذ من دواوين فطاحلهم من أجل السمو بالأدب العربي الجزائري وجعله في صف الآداب الراقية وذلك لا يكون إلا بالتوفيق بين القديم و الجديد والأخذ من كليهما فقدقال رمضان حمود يوما "يا أيها الأدباء الأحداث ، اجعلوا نصب أعينكم إعلاء الأدب العربي و ترقيته،و افهموا واعتقدوا أن موقفنا مع أجدادنا الكرام كموقف الأم الحنون مع ولدها فإنما إذا ربته وبلغ أشده واستوى فلا بد من القيام و السعي في مناكب الأرض لا الركود في حجرها والدوران حولها"² فهو يدعوا الأدباء إلى المضي قدما بكل ما أخذوه من التراث العربي القديم و تطويره و السير به فلك التجديد فيه لا الأخذ به والركون به للجمود و " هنا تبدو قوة و أصالة شخصية الأديب ، أو ضعفها وخفوت ملامحها أو انعدامها بالمرّة،وتتجلى قوتها في إيمان الأديب الراسخ برسائلته اتجاه مجتمعه لتحقيق التقدم و التطور عن طريق تحوير الذوق ، أو تحطيمه و إعادة تشكيله من جديد على هيئة جديدة"³.

إذن فالأدب الذي يؤدي رسالة أو يوصل رسالة الأديب للناس هو الأدب الذي يتلائمواالمستوى الفني للإنتاج الأدبي وهو الذي يعبر عن وضع اجتماعي أو يدافع عن قضية

¹ . علي خذري، مفهوم الشعر في نظر نقاد الحركة الإصلاحية الجزائرية، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة باتنة

، الجزائر، العدد 11 ديسمبر 2004 ص 58

. عمار زايد، النقد الأدبي الجزائري الحديث، ص 132²

³ . المرجع نفسه، ص 105

وطنية هو الذي يكتب له الخلود فالأديب إذا كان " ملتزما ووطنيا و تشارك في بناء بلاده فإن إنتاجه يستحق الخلود و لو كان إنتاجه أقل من الإنتاجات الأخرى الراقية لأنه أدى رسالته في وقت معين و إذا كان منسلخا عن حقيقة و مبادئ شعبه فيجب أن لا يغتر بفضله مهما بلغ ذروة الرقى"¹، لذلك حرصت جمعية العلماء المسلمين أن يكون إنتاجها الأدبي من النوع الذي يستحق الدراسة لأنه يعبر عن آمال و طموحات هذا الشعب و بالتالي يكون دور الأدب هو خدمة الشعب و الدين ،فإذا كان ابن باديس كما أسلفنا الذكر قد اعتمد على تلقين تلامذته طرائق في الأدب و الأساليب و قد اعتمد في ذلك على المشافهة في أغلب الأحيان فإن الشيخ محمد البشير الإبراهيمي الذي كان القلم واللسان يغلبان عليه "قد أعطته هذه الميزة ميلا للنقد و التوجيه فاتخذ من الصحافة و لا سيما جريدة البصائر منبرا لقيادة الجيل الجديد في الأدب سواء بما كان ينشره من نماذج تثير الإعجاب و تدعوا إلى الاقتداء به أو بما كانت تنشره الجريدة بإرشاده من شروط للأدباء و الكتاب الذين يرغبون ان يساهموا في التحرير ..."² و من تلك المقالات التي كان ينشرها لرسم الخطوط العريضة في الكتابة مقالة " الي الكتاب " و التي يقول فيها " للبصائر طرفان أعلى وهو معرض العربية الراقية في الالفاظ والأساليب وهو السوق الذي تجلب إليه كرائم اللغة من مأنوس صيره الاستعمال فصيحاً وغريباً صيره الاستعمال مأنوساً وهو مجلى الفصاحة والبلاغة في نمطها العالي وهو أيضا النموذج الذي احتذاه الناشئون من أبنائنا الكتاب لفحلت أساليبهم و استحكمت ملكاتهم ... و نصيحتنا لهؤلاء و إلى ناشئتنا الكاتبة أن ينظروا إلى أنفسهم و أن يعتمدوا عليها و أن يدمنوا القراءة لأثار فحول الكتاب من القدماء و المحدثين و أن يحملوا

1- محمد مصايف ،فصول في النقد الادبي الجزائري الحديث ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر ط2 دت


أقلامهم على الاحتذاء بها بالتدرج...¹ فهذه المقالة النقدية و الموجهة إلى الكتاب بصفة خاصة كفيض شعوري عن مهمة الكاتب و محيطه وعوامل نجاحه و المعوقات لرسالته و أثره في مجتمعه والإبراهيمي هنا لم يتكئ على نظريات جاهزة يرصصها رصا ، و لم ينطلق من مقدمات تفضي إلى قضائية تكون ميدان فحص و مقارعة حجة بحجة لتسفر عن نتيجة في شكل خلاصة أو خاتمة ، بل عبّر الإبراهيمي في هذه المقالة عن رأيه ونظرته إلى دور الأدب و الأديب في حياة الناس ومحيط هؤلاء جميعا و في هذا يقول في مقال : " حرية الأديب و حمايتها " :

"فالأدب هو خلاصة التجارب الإنسانية و الثقافة البشرية خلال الأجيال وهو رباط لا ينفك بين الناطقين بلغته و العارفين بلسانه "²... فالأدب الأصيل حسب الإبراهيمي يرى من خلال الكتاب لا يهمهم إلا التشجيع و رواج الاسم لأن الأدب وظيفته إنسانية متعددة المقاصد و النهوض بالأمم و الارتقاء بحسها بروح من المسؤولية الحضارية والتاريخية .

والملاحظ أن الإبراهيمي وهو يوجه نداءه إلى الكتاب جعل أسلوبه يتراوح ما بين الصياغة وبين الإهتمام بالحجة والمقارنة بين واقع الكتاب الذين يركضون وراء الشهرة وما فيها من اضطراب وتعقد وبين إنجازات كتابالبصائر ، وما فيهم من نموذج رائع متفرد وكأنه في مقام المتأمل الناصح الذي يريد أن يخلص إلى نتيجة ، وهي أن الكاتب لا يستحق هذا الاسم - أي الكاتب- إذ لم يكن واسع الاطلاع غزير المعرفة ثاقب النظر يحمل إلى الناس الأفكار السامية و الحقائق الراهنة ، وذلك كله بأسلوب يحتاج فيه الكاتب إلى التألق في عباراته وتخير ألفاظه ، و الإهتمام بموسيقاه ، حتى يخرج الكلام بلسان عذب يستسيغه الذوق وتطرب له الأذن ويترك الأثر في أذهان سامعيه .


1. البصائر ، العدد 86 السنة الثانية سل 2 ، 1949 .

1 . الإبراهيمي آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج 5 ، دار الغرب الإسلامي بيروت ، ط 1 ، 1997 ، ص 211



الباب الثاني :

فن الترسل وقضاياها



الفصل الأول : فن الترسل

الأعلام و الموضوعات

الفصل الأول: فن الترسل: الأعلام

فنّ الترسل كغيره من الفنون الأدبية عرف هو الآخر طريقه إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فتناولته أقلام العلماء لكنه كان أكثر خصوصية فهو نشاط إنساني ووجداني يهدف إلى " حمل الناس على العمل بطريقة ااثارة وجدانهم وبث المبادئ الصالحة في نفوسهم وحسن توجهاتهم إلى الغايات النبيلة التي تكمل بها إنسانيتهم وتكفل لهم سعادتهم"¹.

فقد كان للحركة الإصلاحية في الجزائر دورا فعالا في بعث هذا الفن العربي الأصيل، وأعادت له روحه بعدما أشرف على الإندثار وبما أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين قد أخذت على عاتقها إنارة الدرب للجماهير فقد حاولت من خلال هذا الفن أن تبعث روح الأمل في الشعب الذي عملت فرنسا على قطع صلته بماضيه التليد " فالأديب ينبغي أن يعي واجبه نحو الجمهور فيقوم بدور المرشد أو الموجه الذي يقود الرأي نحو قيم الخير والحق والعدل والجمال، ينقب في أمراض مجتمعه باحثا عن علاج لها مسلطا قلمه على ما يعاينه هذا المجتمع من متاعب يُلفت إليها انتباه الناس ليتداركها المجتمع قبل أن يستفحل علاجها أو

أحمد أحمد بدوي، أسس النقد الأدبي عند العرب، نخضة مصر للطباعة، مصر ، ط7، 2009، ص69¹.

يصعب الخلاص منها " ¹، وعليه فقد حاولت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مخاطبة الشعب الجزائري من خلال هذا الفن، وذلك يتضح جليا في المواضيع التي كانت تعالجها رسائل العلماء.

وقد عرف فن الترسل قفزة نوعية، وحظي بمكانة خاصة عند العلماء الجمعية، فقد كانت الرسائل بالإضافة إلى وظيفتها الايصالية كانت تعتبر منفذا وملجأ يلجأ إليه الكاتب لنشر أفكاره وخواتمه، وأراءه وفق ما يتماشى مع الأحداث آنذاك، كما أنه طور في الأسلوب والطريقة واستطاع هذا الفن أن يعيد للغة والعبارة أصالتهما في ظل الحركة الإصلاحية فأصبحت الرسائل " تميل إلى الوضوح والدخول في الموضوع" ² وقد إهتم العلماء بهذا الفن كونه يهدف إلى مخاطبة العاطفة، بهدف التأثير في الملتقى، لأن الإنسان في حد ذاته كتلة من المشاعر والأحاسيس و مخاطبة الوجدان من أبلغ المخاطبات، وإن كان الإنسان يحكم عقله في أمور كثيرة ففي أحيان أخرى تتجاذب العواطف و ينحو نحو الوجدان.

ولأن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ظهرت في زمن كان فيه الشعب الجزائري يئن تحت وطأة الاستعمار وكان العالم العربي والإسلامي بأسره تقاذفه تيارات التمزق وتكالب الدول الاستعمارية، فكان لزاما أن يظهر هذا الفن في أدب الجمعية بقسميه: برقيات ورسائل:

1- البرقيات:

². محمد محمد الباكير البرازي ، تحليل النص الأدبي بين النظرية والتطبيق، الوراق للنشر التوزيع، الأردن ، ط1، 2005، ص16.

. عبد الله الركيبي ، تطور النثر الجزائري الحديث، ص2.46.

هي رسائل قصيرة كانت تبعث بها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تارة توجهها إلى الشعب الجزائري وتارة أخرى إلى بعض الزعماء العرب وفي أحيان كان توجه إلى مخاطبة حكام فرنسا، وكانت هذه البرقيات تنشر في جريدة الشهاب أو البصائر وعلى عموم كانت تنتشر في جرائد الجمعية .

أما موضوعاتها فقد تنوعت وذلك حسب الظروف التي كانت تعيشها الجزائر، فمنها الدينية مثلا كالعناية بهلال رمضان وثبوته، ومن ذلك برقية بعث بها ابن باديس يقول فيها " السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد فالمرغوب منكم أن تقوموا بأنفسكم أنتم ومن معكم بالعناية برؤية هلال رمضان، وقد ثبت دخول شعبان بالثلاثاء فتجب مراقبة الهلال ليلة الأربعاء الآتية إذ هي ليلة الثلاثين فإذا روى فليبادر بإعلام أقرب محكمة شرعية لديكم وتعلمونا إلى مكتب رئاسة الجمعية على التلفون... هذا وقد طلبنا من مدير إدارة البريد في العاصمة أن يأمر بإبقاء التلفون مفتوحا إلى الساعة العاشرة"¹،

هذه البرقية لم تحمل جديدا من خصائص فن الترسل من حيث المقدمة والعرض والخاتمة، لكن الموضوع - شهر رمضان وهلاله - يعتبر جديدا في هذا المجال، وبما أن ابن باديس قد خوّل له إصلاح هذه الأمة والنهوض بها فقد حاول أن يكون مع هذا الشعب في كل الأمور التي تهمه ، ومن ذلك برقية بعث بها الشيخ ابن باديس إلى الشعب الجزائري يهنئه بمناسبة عيد الفطر

. وزارة الشؤون الدينية، آثار ابن باديس، ج4، الجزائر، 2007، ص125¹

المبارك جاء فيها " كنا قبل اليوم نهنئ الأمة الجزائرية بمثل هذا العيد وليس لها من مظاهر السعادة ما نحنأ به إلا ما نرجوه لها ونأمل.

أما اليوم فإننا نهنئها وهي في طور جديد من أطوار حياتنا هو أساس سعادتها، طور سامت به شقيقاتها هنا وهنالك....

فنهنتها ومن أنبائها من هو سجين في سبيل العلم والهداية، ومن هو سجين في سبيل السياسة والحقوق المغصوبة، أمة أخذت تقدم الضحايا في سبيل سعادتها ، حقيقة بأن تنال السعادة ، وبأن تمنأ بها، فتهانينا إليها بعيدها وسعادتها وتهانينا- على الخصوص- إلى أولئك الأبطال الأماجد السيد الحاج مصالي ورفاقه والشيخ عمر دردور.

حياكم الله وعجل بسراحهم، وجعل فيهم القدوة الحسنة في الصبر والتضحية.

وتهانينا إلى العالم الإسلامي والعربي الناهض للسعادة والكمال عبد الحميد بن باديس¹

فموضوع هذه البرقية هو تهنئة الشعب الجزائري عامة والبطلين مصالي الحاج وعمر دردور ورفقائهم في الجهاد خاصة ثم تعميم التهنة إلى العالم العربي والإسلامي.

لكن الملاحظ في هذه البرقية أن الشيخ ابن باديس بدأها بمقارنة حال الجزائر بالأمس القريب- في غير وجود الجمعية- وحالها اليوم بعد الصحوة التي فجرت الواقع الجزائري وجعلت الفرد يتمرد على الواقع الاستعماري، فكانت النتيجة وجود أبطال عظماء، حتى وإذ كانوا خلف

.. وزارة الشؤون الدينية، آثار ابن باديس، ص 188¹

القضبان فهذا دليل على أن هناك قوة تتحرك باتجاه الأفق نحو الاستقلال، وهذا يبشر الجزائر بالخير والأمل والأمن.

ومن برقيات الجمعية، برقية بعث بها عبد الحميد بن باديس إلى فرحات عباس والوفد الإسلامي الجزائري بباريس يقول فيها " باسم الأمة الإسلامية كلها ألح عليكم وأطلب منكم أن تضاعفوا الأعمال والجهود لمقاومة كل ما يمس الذاتية الإسلامية ولو قليلا ولي الأمل واليقين بأنكم كلكم شاعرون بما عليكم من الواجبات وما يلحقكم من المسؤولية. عبد الحميد بن باديس¹ ، ولو غرو في ذلك فالشيخ عبد الحميد بن باديس وبحكم غيرته على الإسلام والمسلمين نجده يصدق في كل مناسبة بمضاعفة الجهود من أجل مقاومة كل ما يمس الذات الإسلامية، فكانت برقياته تعكس شخصيته الغيورة على الإسلام والمسلمين في كل بقاع الأرض، فقد كانت فلسطين هي بؤرة الصراع بين المسلمين في كل مكان وزمان وبين اليهود النازحين من جراء وعد مكذوب، فأقاموا المجازر، وانتهكوا الحرمات، ويحز على قلب كل مسلم أن يرى شقيقته فلسطين تصرخ تحت سوط جلاد لا يرحم، فقد بعث الشيخ ابن باديس، برقية تألم لما أصاب فلسطين العزيزة يقول فيها:

" إلى فضيلة مفتي القدس.

آلمتنا كما آلمت كل مسلم الحوادث الدامية الواقعة بفلسطين، وإننا رفعنا احتجاجا ضد ذلك بواسطة وزارة الخارجية الفرنسية.

¹ . وزارة الشؤون الدينية ، آثار الإمام عبد الحميد بن باديس ، ج 4 ، ص 188 .

رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عبد الحميد بن باديس¹.

فالملاحظ أن الشيخ عبد الحميد بن باديس حتى وهو يعيش في وطن اكتمل لديه الوعي الثوري التحرري واتسعت دائرة إدراكه لحقائق الأمور النضالية في جوّ يخنقه الاستعمار الفرنسي خنقا، لم ينس هذا الشيخ الجليل اخوانه المسلمين في فلسطين الشقيقة. ورغم محاربة الإستعمار الفرنسي للشيخ الإمام ابن باديس ورفقائه فقد أعطت له غيرته على الإسلام والمسلمين في فلسطين قوة عظمى ليرفع احتجاجا على الإنتهاكات والتجاوزات الحاصلة في فلسطين بواسطة الخارجية الفرنسية.

كما أرسل برقية أخرى في الموضوع نفسه- أي قضية فلسطين- إلى مؤتمر البرلمان من أجل فلسطين يقول فيها على لسان الجمعية " باسم المسلمين الجزائريين تحيي في شخصكم مؤتمرهم العظيم وتضم صوتها إلى صوتكم وتوافق على ما يستقر عليه رأيكم، وتؤيدكم بكل ما تستطيع في سبيل قضية فلسطين التي هي قضية الحق والإنسانية والسلام العام"². إن بركات الشيخ عبد الحميد بن باديس تعبر عن أحاسيس الأمة الجزائرية اتجاه شقيقتها في الوطن العربي، وتصور اهتمام جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالقضايا المشتركة ومن ذلك برقية ابن باديس بمناسبة عودة زعيم تونس من منفاه يقول فيها:

. وزارة الشؤون الدينية، آثار عبد الحميد بن باديس، ج5، الجزائر، ط1، 1991، ص530.¹

. البصائر، سل1، ع 135، شعبان 1357، أكتوبر 1938م²

" إن جمعية العلماء الجزائريين تحيي بكل فرح وسرور عودتكم من منفاكم، وتساهم بقسط وافر في مشاطرة إخوانها التونسيين المحتفلين بعودة الزعيم المحبوب الذي ضرب المثل الأعلى في الإخلاص والتضحية.

الرئيس عبد الحميد بن باديس نادي الترقى بعاصمة الجزائر"¹.

ومن بركات التهئة، نجد برقية شكر وتهئة إلى الدكتور المطري رئيس الحزب الدستوري التونسي جاء فيها:

" بلسان إفريقيا الشمالية والجزائر أشكركم وأشكر الحزب الدستوري وأشكر تونس على عطفكم الأخوي الصادق وأهنتكم بفوزكم بإعلان التضامن إفريقيا الشمالية بالفعل لأول مرة"².

و كانت بركات الجمعية كما أسلفنا الذكر تنشر على صفحات الجرائد خاصة الشهاب وحتى في توقيعات ابن باديس كان يضيف لها دائما في الختام كلمة (الشهاب).

مثل البرقية التي بعث بها إلى أبي الدستور الأستاذ عبد العزيز الثعالبي . و التيجاء فيها:

قسنطينة 11 رمضان 1356هـ - 31 نوفمبر 1937م.

الأستاذ عبد العزيز الثعالبي تونس.

. الشهاب، ج13، م13، 1936-1937، ص297¹

. الشهاب، ج9م، رمضان 1365- نوفمبر 1937م.²

أهنتكم بفتح النادي العظيم، راجيا ان يكون به فتح جديد لتونس العزيزة وإفريقيا الشمالية،

دمتم للإسلام والعروبة والعلم والفضيلة

عبد الحميد بن باديس مدير مجلة (الشهاب)¹.

بالإضافة إلى البرقيات التي كانت تبعث بها إلى عموم جماهير الأمة، هناك برقيات أخرى كانت

الجمعية تبعث بها إلى السلطات الفرنسية في الجزائر، ومن تلك البرقيات، برقية كتبت إلى

جناب العام على القطر الجزائري جاء فيها:

" سيدي الوالي العام.

أتشرف بتقديمي لكم اللائحة الآتية المصادق عليها الإجماع من المجلس الإداري لجمعية العلماء

المسلمين الجزائريين.

إن المجلس الإداري لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين متألم ومتأسف جد الأسف للمظالم

والاعتداءات المتكررة على رؤساء وأعضاء جمعيات التهذيب والتعليم العربي.

وبما أن جميع طلبات الرخص لفتح المكاتب تلغى بغير سبب أو لا يجاب أصحابها...."²

إن المتتبع لبرقيات الشيخ عبد الحميد بن باديس والتي رصّع بها جرائد الجمعية، يقف على

حقيقة ثابتة، وهي أن هذه البرقيات لم ترسف في أغلال الصنعة والتكلف، ولم يلجأ صاحبها

إلى الخيال وتوليد البيان والمحسنات البديعية، بل إن المباشرة في الحديث واضحة، والأفكار جلية

1. الشهاب، السنة الثالثة عشر، ج13، 1936-1937، ص470.

2. وزارة الشؤون الدينية، آثار الإمام ابن باديس، ج4، ص183.

والفكرة العامة ساطعة وحتى البناء العام للبرقيات لم يخرج عن المؤلف، فقد كانت هذه البرقيات تتمركز في " الإعراب عن أحاسيس الأمة وتصوير اهتماماتها ومطالبها... ومن ثم كان موضوعها يستهدف المرامي الدينية والاجتماعية للأمة في بعدها الوطني والقومي"¹، ثم إنّ الشيخ كان يهدف من هذه المكاتبات " رفع مطالب الأمة إلى هذه الدوائر الحكومية والإحتجاج لديها عن المظالم المسلطة عليها وتفنيد المزاعم الملفتة ضد رجالها"².

لقد عبرت الجمعية عن المحيط المتردي الذي كان يتخبط فيه الشعب الجزائري والعالم العربي الإسلامي على حد سواء وفق منظورها ووفق قدرات رجالها الإبداعية والفنية، " لأن رجال الفن والأدب، إذ يضعون مقدرتهم الإبداعية لخدمة إخوانهم المضطهدين، إنما يتخذون الثقافة والآثار التي ينتجونها أسلحة يناضلون بها وهي أسلحة تستخدم لنيل الحرية"³ فقد سخر رجال الجمعية أقلامهم لخدمة الوطن، وإن كان ابن باديس وهو زعيم الجمعية لم يحفل بالصناعة البديعية في برقيات، فإننا نجد الشيخ محمد البشير الإبراهيمي قد نحا نفس المنحى وهو الأديب المعروف بنصاعة البيان وسحر الألفاظ وروعة الأسلوب لكن في برقيته التي أرسلها إلى حاكم باكستان وإلى رئيس وزرائها في قضية المودودي الذي حكم عليه بالإعدام ثم خفف الحكم إلى السجن لمدة أربعة عشر سنة وهو عالم من أكبر علماء الإسلام والتي جاء فيها: "

². ينظر، محمد بن يسمينة، في الأدب العربي الحديث بالجزائر، مطبعة العاصمة، الجزائر دط 2003، ص36.

². محمد بن يسمينة، أسس مشروع النهضة عند الإمام عبد الحميد بن باديس، ج2، منشورات المجلس الإسلامي

الأعلى، الجزائر، د، ط- د، ت، ص56

². ولد يوسف مصطفى، مع محمد الديب في عزلته، دار الأمل للطباعة والنشر، الجزائر، دط- د، ت، ص26.

إننا باسم العلماء الجزائريين وباسم ثلاثين مليون مسلم في المغرب العربي نتجه في شدة وإلحاح إلى دولة باكستان الرشيدة التي نفخر ونعلق عليها الآمال في إعلاء كلمة الإسلام أن ترجع عن هذه الأحكام التي تزعج نفوس المسلمين وتطلق سراح المودودي عاجلا لتزد الإطمئنان إلى نفوس جميع المسلمين.

إن فرح المسلمين بنشأة باكستان، وعطفهم عليها، وانتصارهم لقضاياها، هو رأس عظيم للدولة الباكستانية، الواجب أن تزكاه بإطلاق حرية رجل من أكبر رجال الإسلام مهما كانت جرمته السياسية ، فإنها لا تعدو أن تكون جريمة رأي.

محمد البشير الإبراهيمي رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و رئيس تحرير جريدة البصائر¹، فلم ينجح الإبراهيمي إلى الصناعة ولا إلى زركشة رسالته بمختلف أنواع البديع والبيان، بل جاءت عفوية في بساطة شديدة ووضوح تام فالموضوع بارز للعيان وهو طلب إطلاق سراح المودودي، مذكرا باكستان أنها مفخرة للمسلمين الذين يؤازرونها في كل صغيرة كبيرة وينتصرون لقضاياها، وعليها أن تقابل هذا الجميل برده وذلك بإطلاق سراح هذا العالم الإسلامي الكبير.

لقد شغلت البرقيات بمختلف مواضيعها، أعمدة صحف الجمعية سواء كان ذلك في عهد الشيخ الإمام ابن باديس أم في السلسلة الثانية للبصائر والتي دجها الشيخ الإمام الإبراهيمي بسلسلة من البرقيات لا تختلف في مواضيعها عن سابقتها.

. محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، ص 697 - 398¹.

فهي رسائل رسمة جدا ذات غرض محدد، فلا نجد فيها السجع ولا طول ديباجة، فهي رسائل مختصرة ومباشرة.

2. الرسائل:

إن جهلت أمة ما تراثها فقد بترت جذورها في التاريخ، وجهلت وجودها في الحياة، وحكمت على نفسها بالاندثار، لأن لا شيء يأتي من العدم، فكل بناء أساس يقوم عليه، من أجل ذلك نبش الآن أوراق جمعية علماء المسلمين، ونبحث فيها عن رسائل هؤلاء الشيوخ، فبعد أن جلنا في حديقة الأدب من خطابة وشعر وقصة ومسرحية نقف الآن أمام فن الترسل في تراثهم وذلك لأن " الفن يتطلب انسجاما بين جميع الأجزاء"¹، ولأنّ المراسلات مرآة صادقة لقضايا ولحبايا النفس و آلامها وأملها و لأن " آثار جمعية العلماء المسلمين في نهضة الأمة الجزائرية تكاد تغطي كل مساحة أرض الوطن فأينما توجد حركة حيوية، فكرية أو مادية، سياسية أو اجتماعية - إلا وتوجد فيها لحفا- لحداء الجمعية وتثويتها العقديّة التي تهز النفوس الجامدة، فتحي مواتها فتغدو حية بنور الله الذي لا يمحي"²، لذلك نجد هذا الفن أي الترسل هو الآخر حاضر في أدب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وبما أن الرسالة قطعة

1 . أحمد عبد السيد الصاوي، النقد التحليلي عبد القاهر الجرجاني، دراسة مقارنة، الهيئة العامة للنشر والتوزيع، الإسكندرية، د ط، 1979، ص193.

2- محمد الطاهر فضلاء، الشيخ محمد خير الدين، آثار ومآثر، مؤسسة الصفيين، الجزائر، د ت، د ط، ص103

نثرية تكتب لتؤدي غرضاً من الأغراض، فإن عند علماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كان الغرض العام إصلاحياً في مفهومه الشامل، فلم تكن رسائل عتاب بقدر ما كانت رسائل نصح وإرشاد وتوجيه " فالأشكال الأدبية كيانات، لكل كيان حياته الخاصة وراء ما نراه في ظاهر الأثر الأدبي الواحد، وبقاء هذه الأنواع يعتمد على ما يتخللها من قيمة أخلاقية"¹ وقد نوعت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في آثارها الأدبية قصد الإمام بكل المواضيع التي تمم الأمة في كل أبعادها، وإن كانت هذه الأشكال الأدبية تختلف في البناء العام.

" فكل فن من هذه الفنون... أساليب تختص عند أهله لا تصلح للفن الآخر ولا تستعمل النسيب المختص بالشعر والحمد والدعاء المختص بالخطب، والدعاء المختص بالمخاطبات وأمثال ذلك"² فكل هذه الاختلافات تلاشت أمام علماء الجمعية وأصبحت تصب في منحى واحد هو إصلاح المجتمع الذي يؤدي إلى إصلاح الأمة بكاملها، ثم إن " قيمة الترسل أو كتابة الرسائل تكمن في كونها وسيلة يستدل بها المؤرخ لتأريخ الأحداث ولمعرفة أحداث ولت، والكشف عن مكنونها مضت... ولأن كتابة تاريخ الجزائر من واقع الوثائق هو مطلب

¹ . غوستاف فون قرباوم، دراسات في الأدب العربي ، ترجمة احسان عباس، اشراف محمد يوسف نجم، دار مكتبة

الحياة، بيروت، 1959، دط، ص 16.

. محمد ابن خلدون، المقدمة، ج2، ، ص ، 1094²

قومي وفي نفس الوقت عملية فخمة تتطلب المزيد من الصبر والأناة..... ولكن أمر حتمي وضروري"¹.

من أجل ذلك نجد رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين قد اهتموا هم أيضا بهذا الفن وتركوا بصماتهم فيه فالترسل وإن كان " فن من فنون الأدب العربي القديم إذ أن الإنسان بأخيه ولذا كان الشعراء يهتمون به سواء أكانت تعزية أم عتابا، أم شوقا أم مراسلات عادية، وكل ذلك لربط أواصر العربية ووشائجها والمحافظة على أصول الإخاء وتمتين دعائم العلاقات الأخوية"²، إلا أنه في نظر أدباء الجمعية وسيلة لمخاطبة الجماهير عبر مراسلة الآخر، فهو " نتاج قريحتهم وإبداع فكركم وإنشاء ذوقهم، إنه بلاغتهم وبيانهم شعرا أو نثرا على حد سواء"³ وبذلك سما هذا الفن في رحاب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وتطرت إليه أقلامهم، ونقل لنا أفكارهم وخبايا نفوسهم.

1. ينظر يحي بوعزيز، كفاح الجزائر من خلال الوثائق، دار البصائر، الجزائر، د. ط، 2009، ص 6.

2. ينظر، محمد زغينة، شعراء جمعية العلماء المسلمين، دار الهدى، الجزائر، د ط، 2005، ص 75.

3. محمد عبد المنعم خفاجي، عبقرية الإبداع الأدبي، أسبابه وظواهره، دار الوفاء، مصر، ط 1، 2002، ص 53.

المبحث الأول :الأعلام الرواد:

أولا : الشيخ عبد بن باديس:

1-تعريف الشيخ الإمام عبد الحميد ابن باديس (1889م-1940م):

- يصعب أمام كل باحث أن يفصل الآثار الإبداعية عن حياة مبدعها وتكوينه النفسي والفكري:
- فهو " عبد الحميد بن محمد بن المصطفى بن مكّي بن باديس ولد سنة 1889 بقسنطينة، سليل عائلة مشهورة في الجزائر والمغرب الإسلامي كله من قرون عديدة... وتولى أفراد منها السلطة"¹.

- أما فيما يخص تعليمة فقد تلقاه على يد أحد علماء مدينة قسنطينة المشهورين بالعلم والتقوى والصلاح حمدان لونيبي، ثم سافر على تونس ليطم دراسته بجامع الزيتونة، وقد كان يتمتع باحترام أساتذته نظرا لجده وامتانة خلقه وغزارة علمه.

¹ . ينظر، رايح تركي، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر، ص153-154.

- وفي سنة 1913م قصد بيت الله الحرام ومكث بالمدينة المنورة ثلاثة أشهر ألقى فيها دروسا عديدة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهناك التقى بالشيخ محمد البشير الإبراهيمي فكانا يقضيان وقتهما يبحثان ويدرسان أوضاع الجزائر المتردية من جميع النواحي ويفكران في وسائل العمل بها من أجل النهوض بها"¹.

بعد عودة ابن باديس من الحجاز أسس بن باديس جمعية رائد العلماء المسلمين الجزائريين كما " تفرغ للتعليم حتى لم يبق شغل سواه كما أنه ممن لا يهابون الخوض في الأمور السياسية، وتظهر مواقفه في المقالات المتعددة التي تضمنتها جرائد ومجالات الجمعية (الشهاب والبصائر) قضى حياته في سبيل الإسلام ولغة الإسلام.

توفي الإمام ابن باديس يوم 16 أبريل 1940 ودفن بمقبرة آل باديس بقسنطينة."²
لقد كان الشيخ ابن باديس مفخرة الجزائر، وإمامها الذي يرشدها إلى الطريق الصحيح. " ولأن العين لا ترى نفسها إلا بمرآة ... والنفس لا ترى شخصها إلا من قول عدو أو صديق"³ ، فإننا سنحاول رؤية الشيخ ابن باديس في عيون معاصريه ومن جاءوا بعده.

يقول عنه الشيخ الإبراهيمي: ".... باني النهضة العلمية والفكرية بالجزائر، وواضح أسسها على صخرة الحق وقائد زحوفها الخيرة إلى الغايات العليا وإمام الحركة السلفية ومنشئ مجلة الشهاب مرآة الإصلاح وسيف المصلحين ومربي الجيلين كاملين على الهداية القرآنية والهدى

¹ . ينظر، رابح تركي، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر، ص151-ص164

² . عبد الغني بن محمد، أتعرف على الشيخ عبد الحميد بن باديس ورفقائه رواد الإصلاح ، ص22.

. عباس محمود العقاد، بين الكتب والناس، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1966، ص63.³

المحمدي وعلى التفكير الصحيح ، ومفسر كلام الله على الطريقة السلفية... وغارس بذور
الوظيفة الصحيحة ومتلف مبادئها ، علم البيان وفارس المنابر الأستاذ الرئيس الشيخ عبد
الحميد بن باديس أول رئيس لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأول مؤسسي لنادي العلم
والأدب... وإذا كان الرجال أعمالا فإن رجولة أخينا عبد الحميد بن باديس تقوم بهذه
الأعمال"¹.

فشخصية ابن باديس شخصية غنية ثرية ومن الصعوبة في حيز ضيق من الكتابة الإمام بكل
أبعادها وآثارها، فهو مجدد ومصلح يدعو إلى نهضة المسلمين ويعلم كيف تكون النهضة
فهو كما قال عنه الشيخ الإبراهيمي " قلم بليغ شجاع يجاري لسانه في البيان والسحر
فكان من أخطب خطاب العربية وفرسان منابرها فأول صيحة ارتفعت بحرية الجزائر كانت
من لهاة عبد الحميد بن باديس ولسانه وأول صخرة على أساس النهضة الجزائر إنما وقعتها
يداه...."²

وقال عنه الخطيب العلامة الأستاذ الشيخ الفاضل بن عاشور: " ... إن فضل النهضة
الجزائرية على العالم الإسلامي فضل عظيم، وإن أثر الشيخ عبد الحميد بن باديس في تلك
النهضة أثر إنساني رئيسي"³.

1. البصائر ، العدد 44، سنة 1948.

2. محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإبراهيمي، ج4، ص366.

3. محمد صالح رمضان، إمام الجزائر عبد الحميد ابن باديس، دار الأمة، الجزائر، ط1، 2007، ص289.

وكتب عنه باعزيز بن عمر يقول: " أعظم رجل أنجبته الجزائر في تاريخها الحديث، خدمها مريبيا، فأوجد لها نخبة صالحة أعاد بها للجزائر عصرها الأدبي الزاهر، فكانت أساس في بناء صرح هذه النهضة الأدبية التي شقت طريقها إلى الأمام وسط الزعازع والهزاهز فاستعصت على العواصف كلها وخدمها سياسيا فثار على التدجيل السياسي ثورة أفقدت أولئك السياسيين يومئذ رشدهم وأطارت نومهم وأدبتهم جميعا تأديبا كان له الأثر الحسن في كثير منهم فلم يستعصم إلا أن يبادروا بإصلاح أخطائهم السياسية على ضوءها وأن يؤمنوا بالشخصية الجزائرية بعد أن كفروا بها"¹.

أما الشاعر أحمد سحنون فقد كتب مقالا بعنوان ابن باديس الموجه، يتحدث عن خصال الرجل فيقول:

"إن عظمة عبد الحميد بن باديس لم تكن في أنه رجل علم أو أدب أو دين أو خلق فحسب بل كانت إلى ذلك في أنه رجل قيادة وتوجيه ورجل بناء ورجل تضحية وفداء ورجل صدق وإخلاص ورجل تكوين، عظمة في كل من حوله، وذلك طابع العظمة التي لا تموت بموت صاحبها"² أما الأستاذ توفيق المدني فقد أشاد بجهود الرجل وبتاريخه المجيد وذلك في كلمة الإهداء توج بها كتابه (عثمان باشافقال عنه: " إلى الرجل الذي أيقظ أمة وأنشأ جيلا وربط بين ماضي الوطن وحاضره، وهياً له مستقبله في ميدان العلم والشرف

. البصائر، العدد 116، السلسلة 2، 1950م¹

. البصائر، العدد 226، سل 2، 1953م²

فكان شخصه الكريم نقطة الاتصال بين الجزائر الغابرة الماجدة، والجزائر الحاضرة، المجاهدة والجزائر المقبلة الخالدة، إلى العالم العامل عبد الحميد ابن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الثابت أصلها المتسامي لأفاق العلياء فرعها... رحم الله ابن باديس العظيم، لقد دخل عالم الخلود من أوسع أبوابه، ومن كان مثله علما وعملا وجهادا ونفعا وتواضعا وزهدا وروعا، فهو خالد لا يموت....."1.

وفعلا فإن الشيخ عبد الحميد بن باديس حيّ في كل فكر وفي كل قلب، حاضر بعلمه، ومنهجه، وسلوكه، حاضر في كل فكر آمن بالمبادئ التي دعا إليها من إسلام وعروبة ووطنية، وقد كتب رابح تركي في هذا المجال عن الشيخ ابن باديس يقول:

" يعتبر الشيخ عبد الحميد بن باديس من أكبر قادة الجزائر المعاصرين دفاعا عن مقومات الشخصية الجزائرية، ومن أكبر الذين عملوا بدون كلل ولا ملل على إحياء اللغة العربية والثقافية العربية الإسلامية وتاريخ الجزائر العربي الإسلامي الجزائري المعاصر"2.

أما عمار طالبي فيرى في الشيخ ابن باديس " شخصية غنية معبرة عن أزمة المجتمع الإسلامي لا تماثلها إلا الشخصية جمال الدين الأفغاني في ثرائها وشموليتها وتعبيرها عن جميع جوانب المشكلات الاجتماعية والأخلاقية والسياسية"3.

1. أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2، ص275.

2. رابح تركي، الشيخ عبد الحميد بن باديس، باعث النهضة الإسلامية الجزائرية المعاصرة، مورفم للنشر، الجزائر، ط8، 2003، ص93.

3. عمار طالبي، ابن باديس حياته وآثاره، ج1، دار المكتبة الجزائرية، الجزائر، ط1، 1968، ص65.

لقد كان الشيخ عبد الحميد بن باديس رجلا من الطراز الأول رجلا خط اسمه في ذاكرة الأجيال بأحرف من ذهب لقد عاش في وطن يعيش المعاناة الكبيرة على الإستعمار ومعاناة أكبر مع الجهل والاستسلام للبدع، كل هذا أعطاه دفعا ليناضل ويصمد لدينه ولأمته ما اعتبره واجبا عليه، وإن كان " الشيخ عبد الحميد بن باديس في جهاده وأعماله هو الجزائر كلها، فلتجتهد الجزائر بعد وفاته أن تكون هي الشيخ عبد الحميد بن باديس"¹ في نضالها وصراعها ضد كل من كل تسوّل له نفسه المساس برموز الشخصية الوطنية من دين وعروبة ووطنية .

² . ينظر رابح تركي، الشيخ عبد الحميد بن باديس، باعث النهضة الإسلامية الجزائرية المعاصرة، ص 110

من رسائل الشيخ عبد الحميد ابن باديس :

رسالة من ابن باديس إلى الطاهر لعبيدي أحد علماء سوف .

أ. نص الرسالة:

"بسم الله الرحمن الرحيم وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله سلم .

إلى حضرة علم العلم ، ومعلم الكرم ، التقى الطاهر الأثواب ، السرى البارع الآداب ،

مستحق الشكر منا بما له علينا من سابق الأيدي ، العلامة الشيخ سيدي أبي الطيب

الطاهر العبيدي أدامه الله بدرا طالعا في هالة درسه ، وغيثا هامعا يجيي ريع العلم من بعد

طمسه ، حتى يبدل وحشة قطره بأنسه ، ويجني من بساتين تلاميذه ثمرة غرسه، آمين .

وبعد السلام كما تفتحت في نسمة الأسحار، وتحية تحيي قديم التذكار، وإن شطت

الدار، فإني كتبتة إليكم من حضرة قسنطينة يوم قدومي من رحلة كنت أعملتها لناحية

الجزائر وتلمسان لزيارة الأحياء والأموات من العلماء والصلحاء وأعيان الزمان، فتشرفت

بسادات كثيرين ، من العلماء والصالحين ومن أعظم الجميع قدرا، وأشهرهم ذكرا، سيدي أبي

مدين الغوث، وسيدي محمد السنوسي بتلمسان، وسيدي محمد بن عبد الرحمان وسيدي

عبد الرحمان الثعالبي بالجزائر. ودعونا لنا وللمؤمنين عامة، ولإخواننا أمثالكم خاصة، بما نرجو من الله تعالى فيه القبول وبلوغ المأمول وذكرت لكم هذا لما عمله فيكم من محبة الصالحين، وإذا مكنتني الفرص إن شاء الله تعالى كاتبكم عن هذه الرحلة بمزيد تفصيل، ووافي كتابكم في غيابي في هذه الرحلة : فلما قدمت وقبلته قدمته على غيره وقبلته، وكان بداخلي من سرور بمجلو خطابه مخففا لما غشي من الخجل لمر عتابه، ولك العقبى يا سيدي فما ذكرت، ومنك الفضل فيما به ابتدأت وتفضلت. فقد بلغني القصيدة الغراء التي راقت ورقت، واستوجبت الحمد واستحقت، نظرت إلى أوصافك الكريمة فحلّيتني بها، ونسبتني إليها، والله يهدي ببركة محبتك الخالصة ما ظننت، ويجازيك بالخير الجزيل على ما فعلت. هذا، وإني ما أخرت الجواب متهاونا (أستغفر الله) ولا متناسيا، ولكنني حسبت أني أحببتكم فيمن أحببت، حتى جاء كتابكم فعلمت أني غالط فيما ظننت، فبادرت بهذا متحاملا على فهمك، معتمدا على فضلك، والعفو يا سيدي من شيمة أمثالك، لا أحرمني الله من أفضالك، وأقول:

إِنْ كُنْتُ قَصَرْتُ فِي الْكِتَابَةِ وَاللَّهِ مَا حَلَّتْ عَنْ وَدَادِي

وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ مَنِّي عَنْ غَفْلَةٍ لَيْسَ مِنْ مُرَادِي

فَسَاجِحُوا طَاهِرِي - بِفَضْلِهِ وَحَسْبُكُمْ مَسْكِنًا فُوَادِي

ويعود من العبد وجماعته السلام عليكم وعلى جماعتكم وأحبابنا كلهم لديكم وكثيرا. داعيا لكم بالخير، طالبا منكم مثله، أخوكم وشاكر فضلكم ومملوك إحسانكم:

عبد الحميد بن باديس. في شهر جمادى الثانية عام 1337 عفى الله عنه¹

ب- موضوع الرسالة:

موضوع رسالة الشيخ ابن باديس والتي أرسلها إلى الطاهر لعبيدي هو: شكر وتقدير للطاهر لعبيدي على تلك القصيدة الغراء التي قالها في ابن باديس وهذه بعض الأبيات منها:

بِرُوحِي جَلِيلًا حَلَّ (تقرنا) النَّضْرَايُفُوثُ شَدَا أَخْلَاقِهِ الْمِسْكُ وَالْعَطْرَا

فَأَمَّا مَحْيَاهُ الْمَحْيِي فَإِنَّ مَنْنَ يُشَبِّهُهُ بِالْبَدْرِ مُرْتَكِبٌ أَمْرَا

أَفِي الْبَدْرِ مِنْ أَخْلَاقِهِ وَعُلُومِهِ؟ وَهَلْ فِيهِ تَحْرِيرُ التَّقَارِيرِ وَالْأَقْرَا؟

وَلَكِنَّهُ قَدْ صَمَّ مَعَ عِلْمِهِ نُفْيَا وَيَسْئَلُكَ فِي التَّعْلِيمِ مِنْهَجَهُ الْأُخْرَا

وَمَا كَانَ فِي الْحُسْبَانِ رُؤْيَا مِثْلَهُ يَوْفُنِيهَا الْقِرَاءَةُ وَالْقُرَا

رَأَيْتُ لَهُ عِلْمًا وَعَقْلًا مُطَهَّرَا وَحُسْنَ اعْتِقَادٍ لِلْهُدَى يَشْرَحُ الصَّدْرَا²

فهذه القصيدة مكونة من اثنين وعشرين بيتا، مدح فيها الطاهر لعبيدي ابن باديس بعبارات جميلة وألفاظ رشيقة، وبعث بها إليه، لكن فيما يبدو أن ابن باديس قد وصلتته هذه الرسالة متأخرة لأنه كان يقوم برحلة إلى الجزائر وتلمسان، وزيارته لمجموعة من أولياء الله

¹. أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1983، ص 103-104-105.

². أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب و الرحلة، ص 104، 105 .

الصالحين أمثال: سيدي بومدين الغوث وسيدي السنوسي بتلمسان وسيدي محمد ابن عبد الرحمان ، وسيدي عبد الرحمان الثعالبي بالجزائر، وأثناء هذه الرحلة وصلت إلى ابن باديس رسالة من لعبيدي وهي عبارة عن قصيدة في مدح ابن باديس وذكر أعماله الجليلة لكن ابن باديس لم يستلم هذه الرسالة إلا بعد عودته من تطوافه في الجزائر وتلمسان وهذا ما يوضحه قوله في الرسالة "... ووافي في كتابكم في غيابي في هذه الرحلة ، فلما قدمت وقبلته وقدمته على غيره وكان ما بداخلي من سرور بمجلو خطابه مخففا لما غشي من الخجل لمر عتابه ولك العقبي يا سيدي فيما ذكرت، ومنك الفضل فيما ابتدأت وتفضلت فقد بلغني القصيدة الغراء التي راقت ورقت واستوجبت الحمد واستحقت، نظرت إلى أوصافك الكريمة فحلّيتني بها ونسبتي إليها...."¹ فشكر ابن باديس لعبيدي على هذه القصيدة الرائعة، بألفاظ راقية وتعابير صادقة وروح متواضعة كما يظهر في قوله، " نظرت إلى أوصافك فحلّيتني بها....."².

ثم يعتذر له عن التأخر في الرد بأسلوب يكشف عن شخصية ابن باديس المتواضعة السمحة الكريمة، مزينا هذا الاعتذار بأبيات شعرية على عادة القدامى إذ يقول: " والعفو يا سيدي من شيمة أمثالك لا أحرمني الله من أفضالك وأقول:

إِنْ كُنْتُ قَدْ قَصَّرْتُ فِي الْكِتَابَةِ وَاللَّهُ مَا حَلَّتْ عَنْ وَدَادِي

. أبو القاسم سعد الله ، تجارب في الأدب و الرحلة ، ص104.1

* . القصيدة كاملة في كتاب تجارب في الأدب والرحلة لأبي القاسم سعد الله، ص102-103.

. المرجع نفسه ، ص104²

وَإِنَّمَا كَانَ ذَاكَ مِنْ مِـــــــي عَن غَفْلَةٍ لَيْسَ مِنْ مُرَادِي

فَسَاحُوا طَاهِرِي بِفَضْلِ وَحَسْبُكُمْ مَسْكَنَا فُوَادِي"¹.

إذن هي رسالة ابن باديس للطاهر العبيدي والتي تحمل في أولها شكر وتقدير ويختمها

باعذاره البارع وحسن تقديره للعلاقة التي ربطته بصديقه الطاهر لعبيدي.

2. رسالة من ابن باديس إلى مبارك المليبي:

أ- نص الرسالة: " حصن الماء*² مساء الثلاثاء 1347/1/15.

الحمد لله:

أخي مبارك

سلام ورحمة، حياك الله تحية من علم وعمل وعلم ، وقفت على الجزء الأول من كتابك " تاريخ

الجزائر في القديم والحديث " فقلت لو سميت " حياة الجزائر " لكان بذلك خليقا، فهو أول كتاب

صور الجزائر في لغة الضاد صورة تامة، بعدما كانت تلك الصورة أشلاء متفرقة هنا وهناك

وقد نفخت في تلك الصورة من روح إيمانك الديني والوطني ما يستبقيها حية على وجه الدهر

تحفظ اسمك تاجها في سماء العلا، وتخطه بيمينها في كتاب الخالدين:

أخي مبارك

1. أبو القاسم سعد الله ، تجارب في الأدب و الرحلة ، ص 105 .

2. حصن الماء : برج الكيفان حاليا

إذا كان من أحيا نفسا واحدة فكأنما أحيا الناس جميعا، فكيف من أحيا أمة؟ أحيا ماضيها وحاضرها وحياتها عند أبنائها حياة مستقبلها.

فليس - والله - كفاك عملك أن تشكر الأفراد، ولكن كفاءه أن تشكر الأجيال. وإذا كان هذا في الجيل المعاصر قليلا، فسيكون في الأجيال الغابرة كثيرا. وتلك سنة الله في الأمم ونوابغها، ولن تجد لسنة الله تبديلا.

وأنا - واحد من هذا الجيل - بلسان من يشعرون شعوري، أشكر لأقوم بما علينا من واجب، لأقابل مالك من حق. جزاك الله خيرا ما جازي به العاملين المخلصين للدين والوطن بعلم وتحقيق وإنصاف والسلام عليك من أخيك ، عبد الحميد بن باديس¹

ب . موضوع الرسالة:

إن كان من عادة الكتاب أن يطلبوا من أصدقائهم وإخوانهم أن يقرظوا كتبهم وذلك من أجل زيادة في الاستحسان وجلب القراء فإن الشيخ مبارك المليي لم يكن من هؤلاء، فقد قال في معرض هذا الحديث إني " من الذين يوكلون إلى القارئ الحكم فيما قدموه له من غير شرط عالية ولا إنصاف فلكل أن يقول فيما كتبناه ما شاء والأيام التي سنتحل ما يقولون، وتميز جيد القول من رديته"²، ورغم هذا التصريح للشيخ مبارك المليي فقد كان للشيخ عبد الحميد بن باديس كلمته التي لا يختلف فيها اثنان ورأيه الراجح الذي لا يشوبه مجاملة ولا رياء لذلك سعد

¹ . محمد مبارك المليي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج1، وزارة المجاهدين، الجزائر، د.ت ، د.ت، ص9-10.

2. المصدر نفسه ، ص 9.

الشيخ مبارك ميلي بنظرة الإمام واعتز بها وكان له أن نشرت رسالة ابن باديس في أول صفحات كتاب تاريخ الجزائر في القديم والحديث، وكأنه أراد أو يوشي بها هذا الكتاب فيأتي في أجهى حلة.

فموضوع رسالة الشيخ ابن باديس إلى صديقه الشيخ مبارك المليي هو نظرتة إلى هذا الكتاب وقراءته له، قراءة رجل خبر الدنيا وعرف مكنوناتها ومواطن السعادة والشقاء فيها فهو من "الرواد الأوائل الذين أدركوا بعمق نظرتهم ونفاذ بصيرتهم إلى أن تحرير الجزائر من الاحتلال الفرنسي (1830-1962) إنما تبدأ الخطوة الأولى فيه من المحافظة على الشخصية الجزائرية والعمل على بعث مقوماتها من سباتها العميق"¹.

وكتاب تاريخ الجزائر في القديم والحديث إنما هو الحفر في تجاعيد الذاكرة من أجل الوقوف على عظمة هذا الشعب وإعادة بعثه من جديد وهذا ما عبر عنه الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس في رسالته حين قال: "... إذا كان من أحيا نفسا واحدة فكأنما أحيا الناس جميعا، فكيف من أحيا أمة كاملة؟ أحيا ماضيها وحاضرها، وحياتها عند أبنائها حياة مستقبلها فليس - والله - كفاء عملك أن تشكر الأفراد، ولكن كفاءه أن تشكر الأجيال"²

فموضوع رسالته إذن هو الإشادة بهذا الكتاب القيم الذي حمل تاريخ الجزائر ماضيها وحاضرها، وأيضا شكر وتقدير لهذا الشيخ الجليل الذي نبش ذاكرة الأجيال واستخرج منها

. رابع تركي، الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهضة الإسلامية الجزائرية، ص118. ¹

. محمد مبارك المليي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج 1 . ص10. ²

الدرر الخالدة عن تاريخ الجزائر المشرق لتطلع عليها الأجيال وتحيا بها، وتعتر بشخصيتها العربية الإسلامية الضاربة في التاريخ وتذكر هذه الأجيال أن لها ماض تليد يحق لها أن تفخر به و تعي أنها ثمرة من شجرة طيبة أصلها ثابت في الأرض وفرعها في السماء، وعند إدراكها لهذه الحقائق، تعتر بشخصيتها وعروببتها وبإسلامها والذي حاول الإستعمار الفرنسي ان يخفي هذه المعالم وراء حرب ضروس تهدف إلى تجريد الإنسان الجزائري من هويته وأصله ودينه وماضيه، لأن " الماضي هو دائرة المعارف الحقيقية لكل أمة تريد أن يبني مستقبلها"¹.

والإنسان الذي لا يؤمن بالماضي لا يبني الحاضر ولن يكون له المستقبل أكيد.

3. رسالة ابن باديس إلى الفضيل الورتلاني:

نص الرسالة:

" الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأله:

بقسطنطينة 8 جمادى الثانية 1357هـ - 5 أوت 1938م

إلى الابن الكريم الشيخ الفضيل الورتلاني وسائر الإخوان العاملين في سبيل الله عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد، فإن البعثة الأزهرية تتوقف على أمرين: إذن السفر والنفقة فالجمعية غير مقتدرة عليها لأنّ ماليتها لا تدخل إلا في آخر سبتمبر إن شاء الله، فأريد منكم أولاً أن تتحققوا التحصيل على الإذن وأن تعرفوني بما يلزم التلاميذ لنفقة سفرهم لأنظر إذا كان يمكنني تحصيل

. ميلود معزوي، جمعية العلماء المسلمين، ص 155¹.

المطلوب. أما أعضاء البعثة إن شاء الله فهم المشايخ : الفضيل الورتلاني، إسماعيل أعراب، محمد الغسيري، أحمد حماني، مصعب ابن سعد الجيجلي، أو بعضهم عند العجز عن كلهم.

وأما البعثة الشامية فإنني أختار أن تكون من جمعية التربية والتعليم القسنطينية: إذا يمكن أن ترسل من تلامذتها وتلميذاتها ستة أو ثمانية ولا مانع من أن يكون الطلب الموجه إلى الوزارة من جمعية العلماء والبعثة من جمعية التربية والتعليم إذ هما كشيء واحد، فأرجوا أن تعرفوا الأخ السيد خمي بهذا، وفي هذا المساء قد كاتبته شاكرا ومبينا له عدد البعثة منتظرا جوابه.

سلامي إلى الإخوان من أفرقة والشرقين والغربيين.

والسلام من أخيكم عبد الحميد بن باديس¹.

ب . موضوع الرسالة:

عملت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على نشر مبادئها وأفكارها داخل التراب الوطني فأنشئت النوادي والجمعيات المختلفة وقد التف الشعب الجزائري حول هذه النوادي داخل التراب الوطني، ولم تكتف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بنشر هذه التوعية داخل الوطن فقط بل تعدتها إلى الخارج" فقد انتدبت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في سنة 1936م، الفضيل الورتلاني للقيام بنشر مبادئ الجمعية والدعوة الإصلاحية بفرنسا وذلك قصد توعية العمال الجزائريين المغتربين بأروبا"²، وقد كان الفضيل الورتلاني رجلا وطنيا من الطراز العالي،

1. وزارة الشؤون الدينية آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، ج4، ص229.

2. الفضيل الورتلاني، الجزائر النائرة، دار الهدى، الجزائر، دط 2009 - ص39.

يجب الجزائر والعرب و يغار عليهما ويعمل من أجل سعادتهما وعزتهما وكرامتهما " بحيث تمكن في ظرف سنتين ونيف من إحداث ما يزيد عن عدة مراكز للدعوة الإسلامية والربط بين الجاليات العربية الإسلامية من جهة وإسماع صوت الجزائر العربية المسلمة للعالمين الشرقي والغربي الأوروبي من جهة أخرى"¹.

فبعث له الشيخ ابن باديس بهذه الرسالة والتي موضوعها تفقد البعثات العلمية التي كانت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تحرص على تعليمها حتى يرتفع مستوى التعليم، والذي ضاق مجاله بأرض الوطن، لكن الشيخ ابن باديس كان يؤرقه أمرين: أمر السفر وأمر النفقة، وقد طمأنه الشيخ الورتلاني حول إذن السفر بقوله: " أما الإذن فقد ذكرتم أنه سهل الحصول عليه من هناك"²، فقد بقي له أمر سفر البعثة ونفقتها، والذي حرص الشيخ ابن باديس على توفيرها لتلاميذ الجمعية، وقد كان يدرك ان الشيخ الفضيل الورتلاني يستطيع أن يتكفل هؤلاء التلاميذ الذين تبعثهم الجمعية لأن الشيخ ابن باديس كان يقدر في الشيخ الفضيل الورتلاني " مواهبه الفكرية وإخلاصه في جهاده التربوي والإصلاحي، ويرتاح لنجاحه الباهر الذي يشكر كلما يذكر..."³، لذلك كان الشيخ ابن باديس على يقين بأن الشيخ الورتلاني سيسهر على راحة بعثة الجمعية، وسيفعل كل ما وسعه فهو لم يكن يشغله سوى " أبناء وطنه الذين أمسوا كالأيتام في مأدبة اللئام... لذلك كان كله عزم انقاذهم والنهوض بهم إلى مستوى لائق مهما

1. الفضيل الورتلاني ، الجزائر الثائرة ، ص39.

2. وزارة الشؤون الدينية، آثار الإمام ابن عبد الحميد بن باديس، ج4، ص229

3. المرجع السابق ، ص23.

واجهته في ذلك من متاعب ومشاق¹ ما نلمسه في رسالة الشيخ ابن باديس إلى الشيخ
الورتلاني هو الاشادة بجهوده، وينقل له انشغالاته حول بعثة الجمعية وفي ذات الوقت، فهو
يدرك بأنه باستطاعته ان ينفخ " في أبناء الجزائر هناك روح الوطنية ويطهر عقولهم مما نقلوه من
زائف المدينة، وجرائم الإلحاد، وسخافات اجتماعية بالية قدرة²، بقيت فقط مسألة سفر
هؤلاء التلاميذ والوفد المرافق لهم من أستاذة هي المحور الذي تدور حوله الرسالة، بالإضافة إلى
حرص الشيخ عبد الحميد بن باديس على أن يكون كل شيء جاهز وفي مستوى استقبال
البعثات العلمية

4. رسالة من الشيخ ابن باديس إلى الشيخ الإبراهيمي:

أ- نص الرسالة:

" قسنطينة في 4 ربيع الأول 1339هـ/13 أبريل 1940م.

الأخ الكريم الأستاذ البشير الإبراهيمي سلمه الله .

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

وبعد، فقد بلغني موقفكم الشريف الجليل العادل فأقول لكم: الآن يا عمر فقد صنت العلم

والدين، صانك الله، وحفظك في تركتك وعظمتها عظم الله قدرك في الدنيا والآخرة،

1. فضيل الورتلاني ، الجزائر الثائرة ، ص 23 24 .

2. -24. ينظر، المرجع نفسه، ص

وأعزتهما اعزك الله أمام التاريخ الصادق، وبيضت محياها بيض الله محياك يوم القيامة وثبتك على الصراط المستقيم ، وجب أن تطلعني برغباتك والله المستعان.

والسلام من أخيكم عبد الحميد بن باديس¹.

ب . موضوع الرسالة :

كتب الشيخ ابن باديس هذه الرسالة بعد الموقف الشجاع الذي وقفه الشيخ الإبراهيمي من مطلب فرنسا، فقد رفض أولا مجاملة فرنسا له حين أرادت إطلاق سراحه وهو بمنفى أفلو" فرفض معها الخروج من منفاه إلا بشروط لخصها في ثلاث أو أربع نقاط هي:

إطلاق سراح كل المسجونين والمعتقلين السياسيين من أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وغيرهم.

إعادة حق العمل والنشاط لشعب جمعية العلماء ومدارسها وصحفها على المستوى الوطني...

فتح مدرسة دار الحديث بتلمسان....

الإعلان بفصل الدين الإسلامي عن الدولة الفرنسية بكل أجزائه.

وأخيرا الاعتذار الرسمي عن سجنه وسجن إخوانه وتلامذته دون مبرر شرعي².

. مجلة الثقافة ، العدد 87، جوان 1985، ص 279، ص 280.¹

. ينظر، باديس فضلاء، من آثار الأستاذ الطاهر فضلاء، دار هومة، الجزائر، د.ط، 2010، ص 137.²

وبقي الإبراهيمي في منفاه ليقف موقفه العظيم والذي كان سببا في كتابة رسالة الشيخ ابن باديس له حيث " رفض الإمام الإبراهيمي ما طلبته منه فرنسا بواسطة قاض مسلم من إصدار بيان مساندة وتأييد لفرنسا في الحرب العالمية الثانية، مقابل منح فرنسا له لقب ومنصب شيخ الإسلام"¹، فرفض الشيخ الإبراهيمي هذا اللقب وهذا المنصب، ورفض كتابة بيان التأييد فكان موقفه موقف رجل شجاع أحب الكفاح وعشق النضال، فأنس من نفسه قوة على دفع الظلم والظالمين ومقاومة الاستبداد والمستبدين، فوقف موقفه الراض هذا لا يرهبه طغيان فرنسا وجبروتها ولا يخفيه قوتها وسلطانها، فأعجب الشيخ عبد الحميد بن باديس بهذا الموقف الشجاع وأرسل له برسالة، والتي يفوح منها رائحة الفخر بهذا الرجل العظيم لدرجة أنه يشبهه بعمر بن الخطاب رضي الله عنه حين خاطبه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: " الآن يا عمر". فعمر هنا هو البشير الإبراهيمي الذي استطاع بفضل حنكته أن يقف هذا الموقف المشهود فهو سليل جمعية رجالها " لا يخشون في الله لومة لائم، ولا يخافون من ذي سلطان فسلطان الحق هو الباقي"²، فهي رسالة فخر وشكر وامتنان وهذا ما نلمسه بين ثنايا الرسالة من كلمات فيها دعاء ورجاء كقوله: عظم الله قدرك ، حفظك في تركتك، أعزك أمام التاريخ، وبيض وجهك، فهذه العبارات تدل على قوة الموقف وجرأة الشيخ الإبراهيمي على أخذه دون خوف أو وجل، فقبل البلاء، ولم يقبل بالظلم، وصان العلم والدين.

. مجلة الموافقات ، العدد 4، السنة الرابعة، جوان 1995، ص766.1

. ميلود معزاوي، جمعية العلماء المسلمين، ص54.2

5- رسالة الشيخ ابن باديس إلى طلبته:

أ- نص الرسالة:

" إلى أبنائي الطلبة:

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

جاءتني كتبكم وأفادتني ما يسرني ويسر كل محب للعلم من استمراركم على الجد في مراجعته والتغريب فيه ونشر الهداية - كل بما استطاع- بين قومه وعشيرته، وقد ضاق وقتي عن مكاتبتكم واحدا واحدا فكتابتكم بهذا على صفحات مجلتكم شاكرا لكم حسن عهدكم وصدق مودتكم سائلا من الله تعالى أن يجمع قلوبنا على الحق وأعمالنا على الخير.

وسيكون افتتاح الدروس في منتصف شهر أكتوبر إن شاء الله كالمعتاد.

شهد الله لنا ولكم أسباب العلم النافع ووفقنا وإياكم إلى العمل الصالح.

والسلام من أبيكم عبد الحميد بن باديس¹

ب . موضوع الرسالة:

هي رسالة شكر بعث بها الشيخ ابن باديس لطلبته على ما يبذلونه من جهد في تحصيل العلم والمعرفة، كيف لا يثنى عليهم ولا يشكرهم وهو رجل العلم الذي أسس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والتي كان من بين أهم أهدافها نشر العلم عبر ربوع الوطن.

. الشهاب، المجلد الحادي عشر، السنة الحادية عشر 1354هـ (1935-1936م)، ص 443.

وهي رسالة اعتذار لطلبته والذين تعذر عليه مكاتبتهم واحدا واحدا وهذا لكثرتهم فاخترت مجلة الشهاب، ليرسل عبرها كلماته الصادقة المحملة بالحب والاحترام لطلبته وهذا ما يظهر في قوله " وقد ضاق وقتي عن مكاتبتكم واحدا واحدا فكاتبتم بهذا على صفحات مجلتكم...."¹، وذلك ليخبرهم بامتنانه بكل ما يبذلونه من جهد في سبيل نشر رسالة العلم " فعظمة عبد الحميد بن باديس متعددة الجوانب فهو معلم ومرب- قدير-"²، وهذا ما يتضح وهو يخاطب طلبته دون أن ينسى أن يذكرهم بتاريخ افتتاح الدروس حتى يتسنى لهم الإقبال عليها دون تأخير، فهو يهدف إلى تكوين جيل من الطلبة يؤمنون بأن الحرية تؤخذ ولا تعطى وتستحق ولا تهدى، ومن أجل ذلك عمل على نشر المدارس عبر التراب الوطني وجند لها معلمون أكفاء وقد ربطه بهؤلاء رابط الاحترام والتقدير وهذا ما يظهر جليا في رسالته إليهم والتي يتراءى لنا من خلالها أن هؤلاء الطلبة كانوا يرسلون شيخهم ابن باديس، و يعرضون أمامه أعمالهم، وما قدموه في سبيل العلم، ومن جانبه كان " يعنني بتكوين الشباب عناية كبيرة لأنه كان يعلق عليه آماله الكبرى في تحرير الجزائر.... لذلك كان يشرك الشباب في أعماله، ويعمل على دمجهم في حركته كي يلعبوا دورهم في بعث الثقافة العربية الإسلامية، والمحافظة على عروبة الجزائر وإسلامها"³.

1. الشهاب، المجلد الحادي عشر، السنة الحادية عشر 1354هـ (1935-1936م)، ص 443.

2. رابح تركي، الشيخ عبد الحميد بن باديس، باعث النهضة الإسلامية الجزائرية، ص 168.

3. المرجع نفسه، ص 389.

إن جهود الشيخ عبد الحميد بن باديس في هذا المجال لا يستطيع انكارها أحد، فمراسلة لطلبته تعتبر دفعا قويا لهم نحو حقول المعرفة، وشكره الذي دمج به رسالته يجعلهم يسرون قدما نحو المعالي، فهي بمثابة كلمة تشجيع لهم والمجهودات التي يبذلونها في رحاب طلب العلم والمعرفة.

ثانيا: الشيخ الإبراهيمي:

تعريف الشيخ البشير الإبراهيمي (1889 م . 1965 م) :

هو " محمد البشير بن عمر الإبراهيمي ولد في قبيلة ريعة الشهيرة بأولاد ابراهيم بقرية رأس الوادي بولاية سطيف" وذلك في سنة 1889م، وقد نشأ الإبراهيمي في بيت عرف بالعلم ، فحفظ القرآن في سن مبكرة وحفظ " ألفية ابن مالك ومعظم الكافية وألفية ابن معطي الجزائري وألفيتي الحافظ العراقي في السير والأثر..."¹.

اشتغل بالتدريس ، ولما جاوز العشرين من العمر شد الرحال إلى الشرق أوائل سنة 1912م، وأتاحت له هذه الوقفة التعرف على الشعاعين أحمد شوقي وحافظ إبراهيم كما أرتحل إلى المدينة المنورة حيث يقول: " كانت إقامتي بالمدينة المنورة أيام خير وبركة علي، فكنت أنفق أوقاتي الزائدة في إلقاء الدروس في العلوم التي لا أحتاج فيها إلى المزيد ، كالنحو والصرف

. محمد عباس، البشير الإبراهيمي أديبا، ص31.¹

والعقائد والأدب وكنت أتردد على مكتبات الجامعة...¹ بعد عودته إلى الجزائر أسس رفقة عبد الحميد بن باديس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فكان مناضلا فيها، وتولى رئاستها بعد وفاة الشيخ ابن باديس، كما تولى رئاسة تحرير جريدة البصائر في سلسلتها الثانية، ثم سافر إلى المشرق كسفير للجمعية.

وعاش حياة مليئة بالنضال شهد استقلال الجزائر وأمّ الجموع في أول صلاة بعد الاستقلال في جامع كيتشاوة ووافته المنية سنة 1965م.

إن من نعم الله على الأمة الإسلامية العربية أن قيض لها علماء ورجالا مخلصين، أضاءوا الطريق، وبعثوا الأمل وأحيوا النفوس، وشحذوا الهمم " أحيوا بما نشرنا من الهداية نفوسا وفتحوا عيوننا وأذاننا وبعثوا - من الخير - أمالا"²، وتركوا آثارهم لتدل عليهم ومكانتهم في قلوب معاصريهم ومن جاءوا بعدهم فقد كان الإبراهيمي شمعة أضاءت للجزائر حاضرها ومستقبلها وكان نجما لمع في سماء المغرب فأضاء المشرق يقول عنه الشيخ محمد الغزالي رحمه الله: " كان لكلماته دوي بعيد المدى وكان تمكنه من الأدب العربي بارزا في أسلوب الأداء وطريقة الإلقاء، والحق أن الرجل رزق بيانا ساحرا وتأنقا في العبارة... لكن ليس هذا ما ربطنا وشدنا - على قيمته المعنوية - إنما جذبنا الرجل بإيمانه العميق وحزنه الظاهر على حاضر المسلمين وغيظه

¹ . المختار بن عامر خالد مرزوق ، مسيرة الحركة الإصلاحية بتلمسان ، طبع بمركز التصوير، الجزائر ، دط ، 2003 ، ص102.

. ميلود المعزوي، جمعية العلماء المسلمين، ص44²

المتفجر ضد الاستعمار ورغبته الشديدة في ايقاظ المسلمين ليحموا أوطانهم ويستنقذوا أمجادهم"¹.

وخير شهادة عن عظمة الرجل ما قاله رفيقه في النضال الشيخ محمد خير الدين حين وهو يعترف بهذه الشخصية الفذة إذ يقول: " محمد البشير الإبراهيمي العالم المحقق الأجلّ والكاتب المبدع المتقن، والخطيب الأشدق المصقع ، والمصلح الديني والاجتماعي الموفق و المفكر الحر الجريء، والإمام السلفي الأكبر، والمؤمن المطمئن النفس الصادق الإيمان "².

فهو "زميل ابن باديس في قيادة الحركة الإصلاحية، ونائبه في رئاسة جمعية العلماء ورفيق نضاله لتحرير عقل المسلم من الخرافات والبدع"³.

وقال عنه الأستاذ إبراهيم الكتاني أحد علماء المغرب الأوفياء كان الشيخ محمد البشير الإبراهيمي " آية في علمه الواسع وأدبه الرفيع وخلقه النبيل ودينه المتين وإخلاصه وسعة أفق تفكيره، وبعد نظره، وإنكاره لذاته وتفانيه في خدمة أمته وتوفيقه في أعماله وحسن تربيته لطلبته ومرديه وللجماهير المتصلة به وتسخيره كلمة العزيز في تعليم أمته ورفع مستواها، واستغراق أوقاته في مواجهة المشاكل الوقئية وتضحيته بحظنفسه في القراءة والمطالعة والتأليف"⁴.

¹ . عمر أحمد بوقرورة، بناء النسق الفكري عند البشير الإبراهيمي، دار الهدى، الجزائر، دت ، 2004، ص16.

. الشيخ محمد خير الدين، مذكرات ، ج1، ص412.²

. بوقفة فتيحة، أدباء في الذاكرة، دار الهناء، الجزائر، ط1، د.ت، ص61³

. المصدر السابق ، ص405.⁴

أما عبد الملك بومنجل فيري أن البشير الإبراهيمي قد " قيضه الله بما أتاه من الموهبة القديرة والعلم الغزير والعقل البصير - ليكون حارسا لأمة في عقيدتها، مدافعا عن ذاتها ولغتها، مصلحا لما فسد من أفكارها وأخلاقها، معبرا عما تقاسيه من آلامها وما تستطلع إليه من أحلامها، فكان بذلك اللسان الناطق باسمها والقلم المسخر لوصف جراحها، ورسم طريقها، وإذكاء جذوة عزمها"¹.

أما زهور ونيسيفتصف البشير الإبراهيمي ب " ... الكلمة الصادقة التي لا تبلى لها جدة، والكلمة النابضة أبدا، والكلمة ذات المنهج الرشيد شامخة وارفة الظل، كان نمطا فريدا بين علماء الإسلام ولكنه نمط ليس غريبا لأنه جمع في نسق واحد بين القيادة والنزاهة والزهادة، وبين علوم الشريعة وعلوم اللسان"².

ويقول عنه عبد الملك مرتاض: " كان من أحفظ اهل زمانه فأتيح لذكرياته أن تحتزن ما شاء الله لها أن تحتزن من جيد المحفوظ: شعره و نثره، وقرآنه وحديثه"³

ويقول عنه ، لقد كان الشيخ محمد البشير الإبراهيمي " يمثل في الجزائر الزعيم الروحي الكبير للشعب الجزائري الذي وجد في قلمه السيل المعبر الحقيقي عن آلامه ، كما وجد في شخصيته الغنية الفذة ، الزعيم والمفرك"⁴

1. عبد الملك بومنجل، النثر الفني عند البشير الإبراهيمي، بيت الحكمة ، الجزائر، ط1، 2009، ص11.

2. عمر احمد بوقرورة، بناء النسق الفكري عند محمد البشير الإبراهيمي، ص20.

3. عبد الملك مرتاض، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر(1925-1954)، ص125-124.

4. عبد الملك مرتاض ، فنون النثر الأدبي في الجزائر (1931 . 1954)، ص 141

أما ميلود معزاوي فيري فيه " أنه دائرة معارف إسلامية، له نفس لم تعرف الوجل وقلب لا يرهب الأجل، إمام العربية وبلاغتها ، وفيلسوف في التربية ومنهاجها"¹.

ويخلص محمد عباس إلى: " أن الإبراهيمي صاحب ثقافة عميقة ذات أبعاد ايديولوجية عربية إسلامية. تكشف- بإدراك عميق- عن خلفيات الأصالة وتثبت الذات العربية بدلالات دينها ولغتها وتاريخها عن قناعة وجرأة وتعرب عن سلاح عتيد، يقف في وجه الاستلاب الثقافي الهادف إلى الغزو الفكري الأجنبي من ناحية، وتسمح من ناحية ثانية بالتكيف مع مستلزمات واقع المعاصرة، وتدفع الموروث إلى الاستمرارية وتهدب سلبه وهي تمنح صاحبها عدة الباحث لأن يجول في حقول الدراسات العلمية والأدبية المتعددة"².

هذا هو الشيخ محمد البشير الإبراهيمي الذي عرف فقيها ورعا وسياسيا متمرسا ولغويا فصيحاً، وكاتباً ومصالحاً زاهداً.

من رسائل الشيخ محمد البشير الإبراهيمي:

1. رسالة من الشيخ البشير الإبراهيمي إلى الشاعر محمد العيد آل خليفة:

أ- نص الرسالة:

" الحمد لله وحده تلمسان يوم 3 صفر الخير 1355.

إلى ولدي الروحي الأستاذ محمد العيد:

1. ميلود معزاوي، جمعية العلماء المسلمين، ص 45.

2. محمد عباس، البشير الإبراهيمي أديبا، ص 69.

ولدي:

طالما قرأت في وجهك الشاحب آيات الحزن وتلمحت في قسماتك دلائل الهم والأسى وكم
حركتك بمعاريف من القول علي أستبين شيئاً من حقيقة هذا الهم الدفين الذي تنطوي عليه
أحشاؤك.

وهذا الأسى المبرح الذي أعلم أنك تقاسيه، فكنت كمن يستجلي المعنى الدقيق من اللفظ
المعقد، وإن بين التعقيد ونفوس الشعراء " الأتقياء " نسبا وثيقا، يا الله للنفوس الشاعرة النقية
وما تلاقيه من عناء ممض، يتقاضاها الشعر إطلاقا، فيتقاضاها التقي تقيدا... لها الله فماذا
تفعل.

أتظن أننا جاهلون بهذه المنازع العجيبة التي تنزعها في شعركومناشئها من نفسك، فأحمد الله
على أن في قومك من يعرفها ويتذوقها ويطرب لها.
ما لهذه النفس الكبيرة في هذا الهيكل الصغير يهفو بها الشعر في مضطربه الواسع فلا يبلغ حتى
يقول:

خَلَا الْقَلْبُ مِنْ حُبِّ الْعِبَادِ وَبُعْضِهِمْ وَأَصْبَحَ بَيْتًا الَّذِي حَرَّمَ الْبَيْتَا.

ويقول : وَتُبْتُ يَا رَبُّ تُبْتُ.

ويقول اليوم:

وَلَوْلَا رَجَاءُ الَّذِي إِلَيْهَا نَا زَالِفٌ.

إنها وأبيك - لنزوة الشعر تختلج الفؤاد بنزعة التقي.

طالما سمعت منك كلمة " اليأس " وبودي أن لا أسمعها منك مرة أخرى لأنيّ أعدها غميمة في شاعريتك. ولولا شذوذ نعرفه في نفوس الشعراء كأنه من معاني كمالهم لما صدقنا باجتماع اليأس والشعر وكيف ييأس الشاعر وهو ملك مملكة الآمال وسلطان جو الخيال، فإن كان تقيا رجع من " رجاء الله " إلى مالا يجد له أمل فكيف تياس نفس الشاعر لولا ذلك الشذوذ؟
لقد قال أولكم:

حَرَكَ مُنَاكَ إِذَا اِعْتَمَمَ تَ فَإِنَّهُنَّ مَرَاوِحُ

وما قالها لغيره إلا بعد أن جربها في نفسه... فلا تياس يا بني ولا تكذب إمامك الذي يقول:
خلف الشاعر سمحا طربا.

قرأت زفرائك هذه الساعة في الشهاب وأنا طريح الفراش أعالج زكاما مستعصيا ونزلة شعبية وسعالا مزمنًا وأولاد يطلبون القوت أربع مرات في اليوم وتلاميذ يطلبون الدرس سبع مرات في اليوم والليلة فقلت: وهذه أخرى إن ولدنا هذا هو حق وكتبت لك هذه الكلمات كما يكتب الأب الشفيق إلى ولده الرفيق وعسى أن يكون فيها ترويح لخاطرك.

محمد البشير

الإبراهيمي¹

ب . موضوع الرسالة:

. الشهاب، المجلد 12، السنة الغانية عشر، ج3، جوان 1936، ص167-186¹

كان الشاعر محمد العيد آل خليفة يمر بحالة يأس، فقرأ الإبراهيمي علامات الهم والأسى في وجه الشاعر، فحاول أن يعزیه بكلماته التي تتلج الصدر فهي وقفة من وقفات الإبراهيمي " الأدبية التي سخر لها نفسه، وابتغها وسيلة مثلى في يقظة الفكر وإحياء النفوس...."¹ فكيف إذا كانت نفس شاعر تنازعه أهواء الحياة في مداها وجزرها، لقد شعر الشيخ البشير الإبراهيمي بما يخالج الشاعر محمد العيد آل خليفة وهو في النزاع فقرأ في وجه " الشاحب آيات الحزن وتلمح في قسماته دلائل الهم و الأسى"².

ولم يجد بد من أن يكتب له كلمات تعزیه وتخرجه من دائرة الحزن، فهو يدرك أنه ربما كان هذا الحزن يتم " عن هوى دفين ومن الخيبات المتكررة التي حلت به منذ شبابه"³.

وهذا ما عبر عنه بقوله وكأنه يدرك مكنونات الشاعر:

أتظن أننا جاهلون بهذه المنازع العجيبة التي تنتزعها في شعرك وبمناشئها من نفسك فاحمد الله على أنّ في قومك من يعرفها و يتذوقها"، رغم ذلك يحاول الإبراهيمي أن يواسيه ويرجع الحزن إلى " نزوة الشعر التي تحتلج الفؤاد التقي على حد قوله.

فكيف لشاعر ملك دنيا الخيال، أن يعرف اليأس قلبه، فما بالك إذا كان هذا الشاعر قد نهل من ينابيع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والتي تعلم منها أن الكتابة ليست للإمتاع فقط ولا إلى السكون إلى النفس وأهوائها، بل هي التزام بواقع مجتمع سلط عليه عذاب

1. محمد عباس، البشير الإبراهيمي أديبا، ص 67.

2. ينظر الشهاب، المجلد 12، ج3، جوان 1936، ص 167-186

3. ينظر أبو القاسم سعد الله، محمد العيد آل خليفة، ص 162.

الاستعمار، واهتمام بقضاياها، وحمل رسالة الإعلام وللإصلاح والتربية والإرشاد، وتنوير البصائر، وإيقاظ الهمم فحالة اليأس ماهي إلا شذوذ يعتري نفوس الشعراء.

إذن فرسالة الإبراهيمي هي رسالة مواساة بآيات الأمل وتوائم الرجاء للشاعر محمد العيد آل خليفة.

والملاحظ أن الشيخ محمد البشير الإبراهيمي وهو يواسي هذا الشاعر يحاول أن يعطيه دفعا جديدا نحو الحياة وذلك حين يتحدث في آخر رسالة عن الحالة المرضية التي وصل لها، والأعمال الكثيرة التي تنتظره رغم ذلك لم يفتح باب اليأس ليدخل إلى نفسه بل جلس ليكتب رسالته ويخبره بمعاناته من زكام مستعص وسعال مزمن، وأولاد ينتظرون القوت أربع مرات في اليوم وتلاميذ يطلبون الدرس سبع مرات في اليوم والليلة¹ فأضاف إلى كل هذا كتابة رسالته إلى الشاعر ليبين له أن الحياة رغم ما تتمخض عنه من معضلات فهناك دائما نافذة للأمل الذي ينعش القلوب ، ويعيدها هدوءها وسكينتها وإن كان الشاعر قد وقف وقفة الحائر " بين الحياة الدينية التي ورثها أبا عن جد وبين المادية التي يعيش تحت شمسها ويتنفس هواها صباح مساء"²، فأنتى له أن يختار الحياة الأولى والتي فرضها الوعي السياسي الذي نما عند الجماهير، وانتشر عبر ربوع الوطن، فما على الشاعر إلا أن يواكب هذه الحياة ويندمج في هذا الجو المشحون بنار الاستعمار وما يتمخض عنه، وعليه المشاركة في هذه الحياة الجديدة بكل ما أوتي

. ينظر، الشهاب، المجلد12، العدد الثاني عشر، ج3، 1936م، ص167.¹

. أبو القسام سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، ص37.²

من معارف من أجل تربية وتعليم النشء الجديد في رحاب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وهذا ما حاول الإبراهيمي، أن يوصله للشاعر في آخر رسالته له رغم أنه يدرك بأن الشاعر قد " عاني من قسوة الحياة وجفاء الأصدقاء ما جعله يزداد شكاً في الإنسان وفي قدرته على تحقيق رسالة الخير والحق والفضيلة في هذا العالم"¹، ومع ذلك فقد حاول الإبراهيمي موازنة الشاعر وترغيبه في الحياة، وحثه على التطلع إلى العالم الجديد، و الدور الذي ينتظره الناس منه كونه أحد رجال الإصلاح في جمعية العلماء وبُلبلها المغرد في صفحات جريدة البصائر وخاصة في ركن حديقة الأدب، وذلك بدل العكوف على اليأس والقنوط والذي لا طائل منه.

2. رسالة من الإبراهيمي إلى الشيخ أبياليقظان²:

أ- نص الرسالة:

" الأخ المحترم سيدي أبو الحاج إبراهيم

حفظه الله وسدد في سبيل الحق خطاه

سيدي ، وصلتني هديتكم اللطيفة وقد كتب عليها الإهداء بخط يدكم فقبلت الهدية وشكرت

مهديتها وهيهات ما شكري بكفاء و ما أنا بقادر على الوفاء. وما كدت أنتهي من مطالعة

الديوان وأخلص من غمرة الإعجاب به والعجز عن تقريره حتى وافتني جريدة النور، فكانت

1. أبو القاسم سعد الله ، تجارب في الأدب و الرحلة ، ص39.

2. (ابراهيم أبو اليقظان (1888-1973) رائد من رواد الحركة الإصلاحية في الجزائر، كان يجمع في شخصه بين

العلم الغزير المتجدد، والعمل الدائب المستمر، وتستحوذ على نفسه اهتمامات أمته الإسلامية أينما كانت فينطلق منها

ويصدر عنها ويسخر لها إمكانية العقلية ومواجهة الفكرية،) :ينظر محمد ناصر، أبو اليقظان وجهاد الكلمة، المؤسسة

الوطنية للكتاب، الجزائر، دط 1983، ص5

نورا على نور، وانتقل الخاطر من طريقة إلى طريقة ومن خيال إلى حقيقة، هذه الحقيقة هي التي

يجب أن تقف عندها الخواطر - هذه الحقيقة هي رافعة الحجاب ومثيرة الإعجاب، هذه

الحقيقة هي ثباتكم والعواطف هوجاء، وثباتكم والطريق عوجاء. أكثر الله من أمثالكم في

العالمين، وجعل لكم لسان صدق في الآخرين ودمتم لأخيك: البشير الإبراهيمي"¹

ب. موضوع الرسالة :

هي رسالة شكر بعث بها الإبراهيمي إلى صديقه إبراهيم أبي اليقظان وذلك بعد أن أرسل هذا

الأخير هدية للإبراهيمي وقد سر وفرح بهذه الهدية والمتمثلة في ديوان أبي اليقظان الشعري

الذي أعجب به الإبراهيمي أيما إعجابا، وفي غمرة إعجاب الإبراهيمي بهذا الديوان حتى وصله

عدد من جريدة النور فالمعروف عن أبي اليقظان أنه أب للصحافة الجزائرية وكتب في عدة

صحف جزائرية وتونسية، وأنشأ عدة جرائد منها وادي ميزاب، المغرب، الأمة البيان، النبراس،

الفرقان وجريدة النور وقد كانت هذه الأخيرة هي رابع جريدة أنشأها أبو اليقظان فقد " برز

العدد الأول من جريدة النور بمدينة الجزائر في 15 ديسمبر 1931 وكانت تطبع بالمنطقة

العربية التي يملكها الشيخ أبو اليقظان نفسه"² وعندما وصل عدد ممن هذه الجريدة فرح بها

الإبراهيمي وهو رجل الإصلاح خاصة وأن جريدة النور هذه كانت تحمل أهدافا سامية ،

وتتطلع إلى " تطوير الأذهان، و تثقيف العقول، وتهذيب النفوس، وتعريف للمسلمين وانعاش

¹. مجلة الموافقات، العدد الخامس، السنة الخامسة، 1996، ص 516.

. محمد ناصر، أبو اليقظان وجهاد الكلمة، ص 223.

روح المؤمنين بانتعاش روح المخلصين الصادقين، وتقوية القلوب الضعيفة وتطهيرها من الجور والجن والأياس والقنوط، وملؤها بروح الأمل والرجاء ، وتعميم الأخوة وتنمية المحبة الإنسانية الإسلامية بين المتساكنين المسلمين، والإشادة بذكر الفضيلة ودعوة الناس إليها ومقاومة الرذيلة وتحذير الناس منها"¹.

إن هذه المبادئ السامية والأهداف النبيلة التي تحملها جريدة النور، جعلت الإبراهيمي في أوج سعادته وهو ينتقل في دنيا الخيال مع ديوان أبي اليقظان ليجد أمامه الحقيقة الرائعة في جريدة النور وهذا ما عبر بقوله " انتقل الخاطر من طريقة إلى طريقة وخيال إلى حقيقة، هذه الحقيقة التي يجب أن تقف عندها الخواطر....."²، فجريدة النور قد فتحت أمام الإبراهيمي آفاق الكتابة وإبداء الرأي فيها، وكأنها قبس من جرائد الإصلاح التي كانت تنشرها الجمعية، أو أنها استمرار للمسيرة التي بدأتها جمعية العلماء تمثل ذلك في عنايتها بالأخلاق الفاضلة، ودعوها الجادة إلى العلم ومقاومة الجهل، ومحاربتها العنيفة لكل مظاهر الخذلان والتفرقة على الصعيد الوطني والقومي والديني.... وباهتمامها باللغة العربية وآدابها بما كانت تنشره من روائع الشعر القديم والحديث، وافتحها المجال واسعا أمام الأقلام الشابة تشجيعا وتوجيها وتنمية للنبوغ والإبداع"³.

.. محمد ناصر، أبو اليقظان وجهاد الكلمة، ص223.¹

² .مجلة الموافقات ، العدد الخامس ، السنة الخامسة ، جوان 1996 ، ص 516.

. المرجع السابق ، ص224.³

فهي إذن تحمل الأهداف نفسها ، و المواضيع ذاتها التي كانت تكتب فيها جرائد الجمعية " الشهاب والبصائر" فهو يحيي فيه ثباته و صموده أمام العواصف الهوجاء والتي يقصد بها الاستعمار الفرنسي الذي ما فتئ يصطاد كل ما يدعوا لإيقاظ الهمم، ويحكم قبضته ومضايقاته على كل من يحاول أن يبث بازغة أمل في النفوس أرهقها الاستعمار بجبروته واضطهاده.

3 . رسالة من الشيخ محمد البشير الإبراهيمي إلى الأستاذ أحمد توفيق المدني¹.

أ- نص الرسالة:

" الأخ الأستاذ أحمد توفيق المدني حفظه الله:

أخي:

أعتقد أن الراحل أخي العزيز لم يكن لأحد دون أحد

بل كان كالشمس لجميع الناس، وأعتقد ان فقدته لا يجزن قريبا دون بعيد ، وأن أوفر الناس حضا من الأسى لهذا الخطب هم أعرف الناس بقيمة الفقيد، وبقيمة الخسارة بفقدته للعلم والإسلام، لا للجزائر وحدها.

فلهذا بعثت أعزيكم على فقد ذلك البحر الذي غاض، بعد أن فاض، ببقاء آثاره في الحياض، وأتأراه في الرياض، كما يغري عن مغيب الشمس، بشفقها وعن ذبول غضارة

¹ . أحمد توفيق المدني، (1983-1899)، بدأ نضاله السياسي مبكرا هذا النضج المبكر أدى به إلى الالتقاء مع جيل رواد الجهاد حيث ثم له التعارف مع الشيخ عبد الحميد بن باديس والشيخ الإبراهيمي الذين كانا لهما الأثر الكبير في حياته، شغل عدة مناصب هامة في الدولة الجزائرية له مؤلفات حول تاريخ الجزائر، مثل كتاب الجزائر،... ينظر عبد الغني بن محمد أتعرف على الشيخ عبد الحميد بن باديس ورفاقه، ص 64-63

الشباب ببقاء رونقها، وإن كانت التعازي تعاليل، لا تطفئ الغليل، ولكنها على كل حال بعض الروح من كبد تلظى شجنا، إلى كبد تنزوي حزنا.

وظني في أخي أنه لو كان يعرف عنواني لكان أول معز لأول معزى وحاسرتاه رحم الله الراحل العزيز، جزاء ما بث من علم وزرع من خير وثقف من نفوس، والله ذلك اللسان الجريء، ولذلك الجنان المشع وذلك الرأي الملهم، وأنا لفقدك يا عبد الحميد لمحزونون.

أخوكم الحزين الإبراهيمي"¹.

ب . موضوع الرسالة:

بعيدا عن تقاليد كتابة رسائل التعازي والتي عادة ما تبدأ بعبارة ببالغ الحزن والأسف تلقيت نبأ وفاة... وذكر المتوفى، بعيدا عن هذه المقدمات المعروفة دبج الإبراهيمي رسالة التعزية إلى صديقه أحمد توفيق المدني وذلك بمناسبة وفاة العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس، بأسلوب قوي، جزل، و متين ورصين ، فقد ذكر ابن باديس كعظيم من العظماء الذين يعجز القلم عن الكتابة عنهم، وحتى تعزية هذا الرجل العظيم لا ينبغي أن تكون لرجل واحد، بل يجب أن تكون للأمة ككل، فهو كالشمس لجميع الناس على حد تعبير الإبراهيمي، وإذا كان فقد هذا العزيز سيؤثر أكثر وسيحز في نفس من كان منه قريبا جدا، لأنه كان من القادة العظماء الذين " قادوا الأمة إلى الخير ، ووجهوها إلى الحق والخلق، والفضيلة والنور، كانوا كالشجرة

. أحمد توفيق، حياة كفاح، ج2، ص337.¹

الباسقة الوارفة الظل أصلها ثابت وفرعها في السماء، فهو كالمطر الذي هطل على نبات ذوى فرد إليه الحياة وابن باديس كان من هؤلاء، مصباح الدجى في ظلام الشرك، وربان السفينة في لجج الشك"¹، وفقد مثل هذا العظيم هو فقد لمعنى الحياة ذاتها، فهو الأمل الذي يشع من غياهب اليأس، والرجاء المطل من كهوف الحزن.

فرسالة الإبراهيمي هي رسالة تعزية لفقد (ذلك البحر الذي غاض بعد أن فاض، ببقاء آثاره في الحياض، وأنهاره في الرياض)، فرغم موت هذا العلامة الكبير فإن آثاره باقية، ببقاء الأجيال التي عمل على تكوينها أحسن تكوين باقية ببقاء المبادئ التي نادى بها ونشرها بين الناس ، فهو لم يكن زعيما " لا للنهضة الادبية فحسب، ولم يكن خطيبا مصقعا يصطنع أسلوبا أدبيا عاليا، ولا للنهضة الوطنية فحسب، ولكنه كان أيضا مربيا حكيما، مصلحا دينيا واجتماعيا خيرا"² ، وتربية الأجيال هي من أسمى معاني الشرف، وتربية النفوس وتهذيبها والسير بها نحو آفاق الخير والجمال هي أعلى مراتب العظمة وقد كان الشيخ عبد الحميد بن باديس إمام الأمة ومرشدها، وربان سفينة كان ركبها الاختلاف ووجهتها التباين، فاستطاع بحنكته أن يقود هذه السفينة إلى بر الأمان ويجمع شمل الأمة تحت شعار واحد: الإسلام، العروبة والوطنية، لتنصهر هذه الأمة في بوتقة واحدة.

ورسالة الإبراهيمي في تعزية الشيخ عبد الحميد بن باديس تحمل معاني الأسى والحزن اللذين سيطرا على الإبراهيمي بعد فقدة لأعز صديق ورفيق درب طويل، خاصة وأن الفقيه قد رحل إلى العالم الآخر والإبراهيمي في منفاه بأفلو فلم يحضر جنازته ولم يكن هو أول معزیه، وفي

¹ ينظر، ميلود معزوي، جمعية العلماء المسلمين، ص44

. ينظر، عبد المالك مرتاض، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر 1928، 1954، ص 76 .²

الرسالة ما يدل على حرقه في العاطفة، وحرارة في التعبير، ودقة في التصوير، وروعة في استشارة النفس ونقلها من حالة إلى حالة. لكن حالة الحزن الذي سيطر على الإبراهيمي قد غطت كل الحالات وجعلته يتجرع مرارة فراق عزيز قد غيب في التراب، وترك موته فجيحة في القلب ودمع في العين وأسى في النفس، ولكنه ترك خلودا في القلب، وحياء في الفكر، وحضورا في كل ضمير لأنه الشمس المتحركة التي لا تغيب أبدا.

و رغم أنّ الشيخ عبد الحميد بن باديس قد مات فإنّ ذكره ظلّت ترافق الشيخ البشير الإبراهيمي وظلّ طيفه ظلّا يلاحقه وصوتا تردد السنوات صداه في كل مناسبة ، فبعد مرور سبع سنوات نجد الإبراهيمي لا يزال يحيي ذكره في النفوس ، فقد بعث برسالة إلى طلبته في الزيتونة يذكرهم فيها بخصال الرجل فيقول : " لانكون مبالغين إذا قلنا إن لفقيدنا العزيز عبد الحميد بن باديس منة على كل من يحمل بين جنبيه روحا جديدة أو فكرة سديدة من أبناء الجزائر أينما كانوا، لافرق في ذلك بين طلاب العلم وبين غيرهم من طلاب الحياة في جميع فروعها، وإن من دلائل الوفاء وتنكر الصنيع في نفوس أولئك الطلاب أن ينهجوا نهجه في التفكير وطرائق الإصلاح، ويتعاونوا على إكمال ما بدأ بوضعه من أسس العلم والحياة، ويشاركوا في هذه الذكريات التي تقام كل سنة لعرض أعماله واستخراج العبر من تلك الحياة التي ليست حياة فرد وإنما هي حياة أجيال، إذ كامل الوفاء لفقيدنا العزيز هو الذي عمل عمله في نفوس أبنائنا وحدا بهذه الطائفة المهاجرة في سبيل العلم بجامعة الزيتونة المعمورة إلى إحياء هذه الذكرى في هذه السنة بتونس وإن في كون "الذكرى" بتونس وفي مشاركة الأفاضل

النوايح من رجال العلم والأدب للطائف دقيقة ومغازي سامية والهجمات رقيقة، هي من آثار الروحية والوجدان والضمير، لا من آثار المجاملة والتدريس، فإذا جاوزنا الصلة العلمية الروحية العربية جاءت الصلة الزيتونية الوثيقة، وإنها لصلة مرعية الأنساب مبرورة العهود، محكمة الوثائق"¹.

لقد كان الإبراهيمي شديد الوفاء لرفيق دربه الشيخ ابن باديس فلا يفوت فرصة إلا ويذكر مناقب الرجل وكأن حرقه وفاته لا يطفئها إلا هذه الذكريات التي تقام لهذا العظيم " فذكرى عبد الحميد بن باديس، هي ذكرى أعماله وآثاره في الأمة... وفي كل منها أثر من يده، وآثاره من عقله، ونفخة من روحه، دعا إليها، وجهر بها، وعمل لها، وغرسها في نفوس تلامذته بالدرس، وفي عقول جلسائه بالمذكرات وفي عامة الأمة بالمحاضرات"². إنه من العسير أن تعطي لهذا الرجل مكانته، رجل دافع عن الدين الإسلامي للجزائر واللغة العربية والشخصية الجزائرية، وحاول أن يثبت هذه المقومات ويرسخها في نفوس الأجيال التي عمل على تكوينها وإخراجها للعمل من أجل الجزائر كما رسمت جمعية العلماء الجزائريين خريطتها.

وبالإضافة إلى رسائل الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، "رسالة تحية غائب كالأيب"، وهناك دراسة شاملة لهذه الرسالة قامت بها الباحثة من أجل نيل شهادة الماجستير، وعلى كل فإن رسائل الشيخ البشير الإبراهيمي تفوح منها رائحة الحرقه والألم والبعد عن الأصدقاء، كيف لا

. مجلة الموافقات، العدد الرابع، السنة الرابعة، 1995، ص 760¹

². الإبراهيمي، عيون البصائر، ص 685

وهو رجل قضية، قضى حياته في الترحال ونشر العلم في ربوع هذا الوطن، فمن سطيف إلى تلمسان إلى منفى في أفلو، كل هذه المحطات، جعلت الإبراهيمي يجبو تحت وطأة الحنين للأهل والأصدقاء والوطن

ثالثا: الشيخ مبارك بن محمد الميلي.

تعريف الشيخ مبارك بن محمد الميلي (1898 م . 1945 م) :

" ولد مبارك بن محمد ابراهيم الهلالي الميلي سنة 1898 بدوار أولاد أمبارك من قرية الميلية، وهو أحد علماء الجزائر وبنائة نُهضتها، تربى يتيم الأبوين وعاش في كفالة جده ثم أعمامه، حفظ القرآن على يد الشيخ بن معنصر الميلي، فأهلته هذه الدروس إلى الالتحاق بالمدرسة الباديسية بالجامع الأخضر. فكان من أنجب التلاميذ في التحصيل فأرسل إلى جامع الزيتونة بتونس. عاد الشيخ بعد أن تحصل على شهادة التطويع سنة 1924.

قضى حياته في الجهاد والتضحية والتعليم والكتابة والتربية والتأليف والتصنيف.

توفى عن عمر يناهز 74 سنة بعد مرض عضال سنة 1945م بداء السكري فرحم الله مبارك وطيب ثراه وخلد ذكراه.

من آثاره: تاريخ الجزائر الثقافي والسياسي والإجتماعي، ومقالات الشرك ومظاهره وكتاب

فضيلة الجهاد" ¹

. ينظر، ميلود معزوي، جمعية العلماء المسلمين، ص 46، 47.¹

ولأنه كان بعمله وفضله وفصاحته ومنطقه وصره كتيبة كاملة في معرفة النضال فإنه قيل عنه الكثير، فقد كتب عنه الإبراهيمي يقول: "حياته كلها جد وعمل، وكلها ذكاء وعقل كله رأي وبصيرة كلها نور وإشراق، وشباب كله تلقي واستفادة، وكهولة كلها إنتاج وإجادة، اجتمعت فيه مجموعة خلال سديدة، وأعمال مفيدة قلما اجتمعت في رجل من رجال النهضة"¹. وكتب في فضله على جمعية العلماء "لقد كان مرجعها يوم تحلوا لك المشكلات، وتضل الآراء، فيشرق عليها بالرأي كأنه فلق الصبح، وقد كان معقلها يوم تشتبه المسالك، وتكاد الأقدام تزل، فيثبت على الحق كالجبل الراسي، وكان منها بحيث لا يجترئ عليها مجترئ، ولا يفترئ عليها مفترئ إلا رمته منه بالسيف الذي لا تنبو مضاربه"².

وقال عنه الشيخ أحمد توفيق المدني: "إنه الرجل المثالي، الحر الأبى الذي وضع حياته كلها منذ رجوع من الزيتونة عالما جليلا في خدمة دينه وشعبه، مدرسا، محاضرا ومفكرا عميقا ومرشدا نصوحا. كأنه نحلة منتجة، لا تراها إلا ساعية وراء رحيق زهرة، أو واضعة مع جماعتها عسلا شهيا"³، وقال عنه رابع تركي: "هو العالم والأديب المؤرخ الكبير تولى رئاسة تحرير جريدة البصائر، وكان أحد أركان جمعية العلماء، كما تولى الأمانة العامة لماليتها لفترة طويلة من

1. ينظر، ميلود معزاوي، جمعية العلماء المسلمين، ص 47.

2. الإبراهيمي، عيون البصائر، ص 668.

3. أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج 2، ص 209.

الزمن...شارك في بناء النهضة الإصلاحية والعلمية في الجزائر عن طريق التعليم والتأليف
والصحافة وتكوين المدارس العربية الحرّة¹.

أما عبد الغني بن محمد فيقول عنه: "أحد أقطاب الحركة الإصلاحية تعليماً وتأليفاً، ثم تكويننا
وتسييرها، يمتاز في كتاباته بدقة التحليل وعمق التفكير ولذلك كان يطلق عليه فيلسوف الحركة
الإصلاحية"² لقد كان الشيخ مبارك بن محمد الميلي من الذين تركوا الأثر العميق في حياة
الجزائر الدينية والاجتماعية والسياسية خلال مراحل الجهاد والصراع مع المستعمر.

من رسائل الشيخ مبارك بن محمد الميلي.

1-رسالة الأستاذ مبارك بن محمد الميلي إلى رئيس شعبه جمعية العلماء المسلمين بعرش

الأجناح

أ- نص الرسالة:

" بسم الله الرحمن الرحيم.

السيد الكريم، الأخ في الله سي محمود برمة سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

أقدم لجنابكم شكري على إحسانكم إلى هذا الضعيف واعتزافي بجميلكم الذي أسديتموه لي،

"وَمَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرِ اللَّهَ"³

⁴ ينظر رابع تركي ، الشيخ عبد الحميد بن باديس ، باعث النهضة العربية الإسلامية في الجزائر المعاصرة ، ص 50 .

عبد الغني بن محمد ، أتعرف على الشيخ عبد الحميد بن باديس ورفاقه ، ص 60 .²

سنن الترمذي، ج3 ، ص 228.³

قد رأينا منكم حسن تقدير للعلم في الوقت الذي تكالب فيه أعداء أنفسهم على الحط من قيمة العلم وأهله واستحلال أعراضهم واختلاق الأقوال الشنيعة عنهم، فنحمد الله لكم أن بصركم بالحق في وقت اشتداد الظلام، ونبهكم إلى أن تحمدوا الله على هذه النعمة قائلين ("الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ")¹ وقد رأينا منكم حسن انقياد للحق وعمل به، وحمل الناس عليه، وتلك من الطاعات التي قل اليوم أهلها، وشغلوا عنها بالاتكال على شيوخهم وأبائهم أو بملاهي دنياهم وشهوات أنفسكم، وهذه من النعم التي يشكر المسلم الله عليها، والله يقول: "لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ"²

وقد رأينا منكم أخلاقاً كريمة من جود وبشاشة وحسن ملاطفة، وتلك صفات يخصص بها الله من أحبه من خلقه، فقم بحق هذه الصفات عليك باستعمال الجود من أهل الله الدالين على الله بالعلم الصحيح والعمل الصالح، واستعمال البشاشة وحسن الملاطفة مع الناس أجمعين، فإنّ الخلق عيال الله ، إلا أن يكون مفسد يريد صرف الناس عن الحق فيسعى للفتنة ، فهذا ليس أهلاً للبشاشة وحسن ملاطفة بل يعامل بما يقطع فساده ويكفي الناس شره.

وإني أحمد الله أن عرفت رجلاً مثلكم، وأسأله تعالى أن يديم حسن إخوتكم وصلاح أبنائكم أن يصبغ عليكم نعمة في الدنيا والآخرة والسلام عليكم ورحمة الله.

من أخيكم في الله: مبارك بن محمد المليبي³

1. سورة الأعراف، الآية 43.

2. سورة إبراهيم، الآية 7.

3. البصائر، العدد 33، السنة الأولى، سبتمبر 1936م.

ب . موضوع الرسالة:

موضوع رسالة الشيخ مبارك المليبي هو شكر وتقدير وعرفان للأخ رئيس جمعية الأجنحة*¹ التابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين وذلك لحسن تسييره لهذه الشعبة وعمله فيها على نشر العلم والحث على التعلم وهذا ما يظهر في قول الشيخ مبارك المليبي: "وقد رأينا منكم حسن تقدير للعلم في الوقت الذي تكالب فيه أعداء أنفسهم على الحط من قيمة العلم وأهله..."²، لقد كان الشيخ مبارك المليبي يدرك أن أهمية شعب الجمعية ودورها في تطوير العقول وذلك لأن " شعب الجمعية هي الوساطة بين مجلس الإدارة والأمة، وهي خير معين للإدارة تقوى وتضعف على حسب قوة وضعف اتصال الإدارة بالشعب، فكان من الطبيعي تقوية الاتصال بين الفريقين المتعاونين، وذلك إما بالتراسل وإما بالتزاور..."³ ، ولأجل ذلك كان الشيخ مبارك المليبي يرأسل رؤساء الشعب ويتفقد أحوالهم ويطلع على التقارير المقدمة له، ويرد على مراسلاتهم له، فبالإضافة إلى شكره وامتنانه لرئيس جمعية الأجنحة وإشادته بفضله

¹ *الأجنحة قبيلة في جبال تحتها البحر، وغربها بنو صالح، وشرقها بنو حبيبي والجميع تابعون لمتصرفية الطهير مجاورون

غربا لمتصرفية المليبية ينظر، آثار الشيخ مبارك المليبي، ج1، ص 417

. البصائر، العدد 33، السنة الأولى 1936م²

. أبو عبد الرحمن محمود، آثار الشيخ مبارك المليبي، ص 400.³

في نشر العلم والاهتمام به، نجد يشيد بمهامه في حسن انقياده للحق والعمل به وحمل الناس عليه على حد قول الشيخ مبارك المليبي في رسالته، فالاهتمام بالحق والعمل به من الأوليات ومن المبادئ التي نادى بها جمعية العلماء المسلمين "فالعدالة مصدر تنبعث عنه حرية التفكير، حرية الاجتماع، حرية النشر، حرية التعليم، المساواة في الحقوق الشخصية، فلا يحرم ذو حق حقه مهما كان جنسه ودينه ولا يجني لأحد ما لا يستحقه ولا يكون أهلاً لنيله"¹، كما يشيد الشيخ مبارك المليبي بخصال الرجل، وبأخلاقه الكريمة في عرض رسالته، ومن أوتي هذه الخصال الحميدة عليه أن يقوم "بحق هذه الصفات باستعمال الجود مع أهل الله الدالين على الله بالعلم الصحيح والعمل الصالح"² ويتضح من هذه الرسالة تواضع الشيخ مبارك المليبي والذي قال فيه أحد تلاميذه أحمد قصبية أي في تواضع الشيخ: "كان طاهر القلب متواضعا، مفرطاً في التواضع، يشعر بذلك تلاميذه وسامعوه فكان لا يقول لهم: هل فهمتم؟ بل يقول: أفهمنا؟ ومن أجمل ما في تواضع المليبي. أنه كان يجيب جميع من يكاتبه مهما كان شأنه ومهما كان موضوع الرسالة"³، والدليل على هذا التواضع مراسلته لتلامذته، ولرؤساء شعب الجمعية، واعتبار كل من كان قريباً منه أخاً تجمعهم به أخوة في الله، وفي الوطن وفي الدين، فلم يدر ظهره لأحد ولم يغلق باب إحسانه أمام أحد فقد كان كما وصفه أبو يعلي الزواوي: "إن شيخ الإسلام ابن تيمية قد حل فيه ولكن أدين أن الله تعالى لا يحتاج إلى روح ابن تيمية

1. أبو عبد الرحمن محمود، آثار الشيخ مبارك المليبي، ص 69.

2. بنظر، البصائر العدد 33، السنة الأولى 1936م.

3. المرجع السابق، ص 23، 24.

ليجعلها في دماغ الميلبي، ولا أن يغرسها في قلبه، بل يخلق ما يشاء"¹ لقد حاول الشيخ الميلبي في هذه الرسالة أن يبين لرئيس هذه الشعبة أن ما يقدمه من أعمال يوحى بحياة جدية قوامها العلم والحق فجاز له أن يشكر على ذلك.

ومن رسائل الشكر دائما والتي تدل تواضع الشيخ مبارك الميلبي وعلى انه كان يرسل تلاميذه رسالة كتبها إلى تلميذه الأستاذ أحمد بن أبي زيد قصبية² وهذا نصها:

" ميللة في 1938/10/3م

ابننا الأبر السيد أحمد بن بوزيد

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته

انتهى إلي كتابكم مهنتا بالعود من سفر الإستشفاء، ومستبشرا بما من الله علينا به من مبادئ الراحة المقوية للأمل في الشفاء.

وإني أقدر عواطفكم هاته وحسن رعايتكم لرابطة التلمذة.

وأسأل الله لكم مستقبلا عامرا بجلائل الأعمال الخالدة.

اقرأ سلامنا على الإخوان جميعهم

مبارك الميلبي"³

1. أبو عبد الرحمن محمود، آثار الشيخ مبارك الميلبي، ص 25.

2. الأستاذ أحمد قصبية (ت 1994) تلميذ الشيخ مبارك الميلبي.

3. أبو عبد الرحمن محمود، آثار الشيخ مبارك الميلبي، ص 25.

لقد كان الشيخ مبارك المليبي محبا لتلاميذه، يسأل عنهم، ويتفقد أحوالهم، بشوشا معهم، كريم النفس، حسن المعاشرة، يحترمهم ويقدرهم ويراعي نفسياتهم وأحوالهم وهذا بشهادة تلاميذه أنفسهم، والدليل على ذلك مراسلته لهم، وتخصيص من وقته الثمين دقائق للجلوس ومخاطبتهم عبر الرسائل.

2. رسالة من الشيخ مبارك المليبي إلى الأستاذ أحمد توفيق المدني:

أ. نص الرسالة : الأغواط 48/7/7 هجري

" أخي الأعز نابغة العصر وفجر القطر وغوث الوطن سيدي أحمد توفيق المدني. السلام عليكم ورحمة الله:

الآن اتصلت برسالتكم الواعدة على بصدق الإعانة على مشروع ليس لي من مواعدة غير العزيمة والشعور بالواجب.

لقد كان سروري برسالتكم عظيما، لا من حيث صدق الوعد المنبث في جميع حروفها فقط، بل من حيث هناؤك أيضا وتفرغك للأعمال المنتجة فقد استشعرت أنكم في سعة وقت وهناء بال ، ومثلك من نود له بكل قلوبنا راحة من الشواغل، لا للكسل - أعاذك الله - بل للعمل الصالح الخالد... قد أكتبك بعد اليوم فيما يهم عملنا ولكنني أقتصر الآن على التنبيه لكتاب حماد أو ابن حماد، ولتعريب فصول من كتاب " كاريت"، تحت يدي ترجمة فهرست كتاب كاريت، وقد أعدت النظر فيها، فظهر لي أنني أحتاج اليوم من أوابها:

الباب الرابع من الكتاب الأول:

الأبواب: السادس، السابع، التاسع من الكتاب الثالث:

ثم إني التزمت في هذا الجزء وضع باب لبيان قبائل بني هلال وغيرهم من العرب، في أنسابهم - ومراكزهم - وحياتهم - وعلاقتهم بالبربر، وضع باب آخر لتفصيل قبائل البربر بعد هجوم الهلاليين، فما تجده في كتاب كاريث يعين على هذا ترجمته لنا، بارك الله في أنفاسك.

هذا ما اقتصر على طلبه من الأخ، ودمتم للعلم والعمل الخالد ولأخيكم مبارك بن محمد الميلي¹

ب . موضوع الرسالة:

كان الشيخ مبارك الميلي مولعا بكتابة تاريخ الجزائر، لأنه كان يدرك أن التاريخ هو ليس نافذة تطل على الماضي بل كان يدرك ان هذا التاريخ هو من أسباب نهوض الأمم وقد استمد هذه الفكرة من الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي كان يقول: " إني درست التاريخ فوجدت الأمم تنهض بأحد أمرين: بكثرة العلم، أو بكثرة الظلم، فأما العلم فنحن منه فقراء، وأما الظلم فنحن منه أغنياء، اللهم إن قصدت به إتهامنا فنشكرك صابرين ، و نشكرك مجاهدين ، ونحمدك على ما سلحتنا به من إيمان قوى جعلنا نطمئن إلى تاريخينا، وتاريخ العرب مكتوب بجزر من نار و حروف من نور وهذا النور لا يمحي، وتلك النار لن تنطفئ"²

1 . أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2، ص209-2010.

2 . الشهاب، السنة السادسة عشر، ج 16، ص 119.

من أجل ذلك كان اهتمام الشيخ مبارك الميلي بكتابة التاريخ يتصدر تطلعاته فقد ألف كتابه تاريخ الجزائر في القديم والحديث ومشاركته في تحريره الأستاذ أحمد توفيق المدني الذي أوضح هذه الحقيقة بقوله: "و قد كنت مشتركا مع الميلي في تحرير كتابه الضخم الشهير:

تاريخ الجزائر في القديم والحديث، كنت أعرب له الفصول الطائلة من مختلف أمهات التاريخ الغربي، وأرسل له تلك المادة الخام تباعا، طيلة أعوام فيدخلها معمل فكرة ويجعلها تتفاعل مع ما لديه من المواد العربية الغزيرة، فيخرج من كل ذلك تاريخا معلا صحيحا يقدمه خير هدية لشعبه الوفي"¹، وتأكيد لهذه المشاركة في كتابة تاريخ الجزائر في القديم والحديث الفعالة بين الشيخ مبارك الميلي والأستاذ أحمد توفيق المدني تثبتها هذه الرسالة التي أرسلها الشيخ مبارك الميلي إلى الأستاذ أحمد توفيق المدني والتي يطلب منه فيها تعريب فصول من كتاب كاريث وبعض الأبواب وهذا ما يتضح لنا من قول الشيخ مبارك الميلي: " ... قد أكاتبكم اليوم فيما يهم عملنا، ولكي أقتصر الآن على التنبه لكتاب حماد أو ابن حماد، ولتعريب فصول من كتاب كاريث، تحت يدي ترجمة فهرست كتاب كاريث، وقد أعدت النظر فيها، فظهر لي أنني أحتاج اليوم من أبوابها: الباب من الكتاب الأول:

الأبواب : السادس، السابع، التاسع من الكتاب الثالث"² .

. أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2، ص209.¹

. المصدر نفسه، ص210.²

فموضوع الرسالة هو طلب المساعدة من الأستاذ أحمد توفيق المدني، فالمادة موجودة أمام الشيخ مبارك الميلبي لكنها تقريبا باللغة الفرنسية وهو يحتاج إلى من يساعده في تعريبها مما يشكل عرقله لديه في إنتاج هذا المشروع الضخم فقد كان الشيخ مبارك الميلبي " رغم ميله إلى الإصلاح وانشغاله بالإشراف على تحرير البصائر وإدارتها زمنا كان يميل أكثر إلى الدراسات التاريخية وخصوصا التاريخ الجزائري...." ¹

وهذا ما يجعله يبحث ويستقصي الحقائق ويطلب المساعدة من أجل يخرج عمله ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث في أحسن صورة.

4. رسالة من الشيخ مبارك الميلبي إلى الأستاذ عبد القدوس الأنصاري ¹

أ- نص الرسالة:

" ميله في 20 ذي العقدة سنة 1356هـ / 22 يناير سنة 1938م.

الأديب العبقري والأستاذ الكريم الأخ الكريم سيدي عبد القدوس الأنصاري سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

جاءني كتاب من الأخ أحمد رضا حوحو يقترح علي إهداء أربع نسخ ² للملك عبد العزيز ونجليه ³ وشيخ الإسلام ⁴ ففعلت وأرسلتها باسمه إلى المدينة ليرسلها هو إلى أصحابها بالطريقة

¹ . ينظر عبد المليك مرتاض، نخبة الادب العربي المعاصر في الجزائر، 1925، 1954، ص187.

. عبد القدوس الأنصاري أديب كبير مدير مجلة المنهل الممتاز ²

. من كتابه " رسالة الشرك ومظاهره" ³

. هما سعود وفيصل ابنا الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله. ⁴

المناسبة وكتبت إليه بذلك وقد أخبرني ذلك الأخ بعنايتكم بتلك الرسالة، وإذا كنت قد تعبت في تحريرها وتحملت الديون في طبعها ولم تقابل في الوسط الجزائري بما يخفف عني تلك الأتعاب، فإن تأييد أمثالكم مما يخفف عني أتعابا قد يتصورها اللبيب في التحرير ولكنها - والله في النشر أشد وقعا علي.

ثم جاءني رسالتكم مؤرخة في 26 / 10 مؤكدة لتلك العناية، موثقة لحبل إخواننا الإسلامي العربي العلمي، زاده الله ثباتا وامتانة.

1- وقد جاء فيها أنه لم تصلكم نسخة الهدية وأربع آخر وقد أعلمت بذلك موزعيها ليبحث عن الطرد صاحب الخمس نسخ، ولكن الهدية سيحملها إليكم حامل هذه الرسالة.
2. وورغبتكم في إرسال نسخ آخر، فسيحمل إليكم البريد- إن شاء الله- عشر نسخ ولكم الفضل في العناية.

3 . وأذنتم لهذا القلم أن يكتب عن المنهل الممتاز¹ فقدمت الكتابة عنها في مواد العدد (97).

4 . وذكرتم عناية الأخوين أحمد رضا، والشيخ عمار² بالحركة الإصلاحية عامة ورسالة " الشرك" خاصة ولا شيء يبعث بمستقبل النهضة العربية الإسلامية مثل الشعور بانتشار التضامن والتناصر.

. مجلة المنهل: مجلة شهرية تخدم الأدب والثقافة والعلم تصدر بالمدينة المنورة¹

. هو عمار بن الأزرع²

5 . وقد لاحظتم على عنوان " البصائر " بالحرف اللاتيني، وكان الأخ أحمد رضا قد نبهني

إلى ذلك، فنبهت كاتب الإدارة إلى هاته الملاحظة ولزوم تعميمها في البلاد الشرقية

فنفذ ذلك - فيما أخبرني منذ ثلاثة اسابيع هذا وإني مستعد حسب المستطاع

ومتشرف بخدمة ما بيننا من روابط إسلامية عربية أدبية، وحامل الرسالة إليكم هو الأخ

الحسين الهشلي من حجاج ميله ومن خيرة شبابها المصلحين.

والله يبارك في أنفاسكم ويكثر لنا من تعرف أمثالكم ممن يزيد دم العروبة قوة وروح الإسلام

جدة.

والسلام عليكم وعلى الأخوين: الشيخ عمار والسيد أحمد رضا ومن إليكم من أهل الفضيلة

.أخوكم مبارك بن محمد المليي¹

ب . موضوع الرسالة:

كتب الشيخ مبارك المليي كتابة القيم " رسالة الشرك ومظاهرة و " هو كتاب نفيس في بابه،

فريد في موضوعه، وقد أمر المجلس الإداري لجمعية العلماء ما اشتمل عليه ودعا المسلمين إلى

دراسته والعمل بما فيه، وحرر هذا التقرير كاتبها العام الشيخ العربي التبسي².

1. ابو عبد الرحمان محمود، آثار الشيخ مبارك المليي، ص 572، 573.

2. المرجع نفسه، ص 28.

ولقيت هذه الرسالة رواجاً كبيراً، ونشرت في أعمدة جريدة البصائر وأصبح لها قراء من داخل الوطن وخارجه، وهذا ما يتضح في موضوع رسالة الشيخ مبارك المليي إلى الأديب الكبير عبد القدوس الأنصاري، فقد طبعت هذه الرسالة- الشرك ومظاهره- وتكلف صاحبها أموالها ورغم أنها نزلت إلى الأسواق في صورة محتشمة كون الأوضاع المزرية التي كان يعيشها الشعب الجزائري آنذاك، ولكن ظهر هناك بريق أمل في توزيع النسخ، فقد بعث احمد رضا حوحو إلى الشيخ مبارك المليي يطلب منه إهداء أربع نسخ للملك عبد العزيز ونجليه وشيخ الإسلام عبد الله بن حسن آل الشيخ.

وقد أكد الشيخ مبارك المليي إرسال هذه النسخ، كما شكر الأديب عبد القدوس الأنصاري على اهتمامه بهذه الرسالة وأعلمه أنه سيرسل له عشر نسخ منها، كما قدم له الشكر لأن هذا الصنيع سينشر روح التضامن والتآزر بين أفراد الأمة العربية الإسلامية، مما قد ينعش مستقبل النهضة العربية الإسلامية، وذلك عندما يصبح الأدب مشاركا في الحياة ومعبرا عن روح العصر في عرض رغائبها وتسجيل حوادثها فالشيخ مبارك المليي " لم يكن ممن يرضون أن يقصروا إنتاجهم على المقالات المختلفة ينشرونها في الصحف السيارة، ثم لا يضعون شيئا، وإنما كان طويل النفس واسع الصبر، شديد التجلد على معاناة البحث " ¹، وهذا ما جعله يكلف نفسه ويطبع رسالة الشرك ومظاهره فلم يكتف بنشرها في جريدة البصائر فقط بل طبعها وأراد بها أن يسمع بها المثقف العربي في المشرق، خاصة وأن موضوعها علمي، فقد قال الشيخ مبارك

عبد الملك مرتاض، نفضة الأدب العربي المعاصر بالجزائر 1925-1954، ص 187.¹

الميلي عن هذه الرسالة "... وإنما تكلفت الكتابة في البصائر لئلا أكون قدوة سيئة لمن يقصر في خدمتها ، فاخترت موضوعا علميا كثيرا ما نظره في دروسنا حتى تسهل علي الكتابة بسهولة تتغلب على الموانع، ولم أختَر المواضيع وانتقاء الأساليب، لأني أشعر بعجز عن مقاومة ما يعرض لي مع ذاك من العراقيل " ¹ وحتى تصل نسخ من هذه الرسالة إلى الأديب عبد القدوس الأنصاري بعث لها مع السيد الحسين الهيشلي المتوجه لأداء فريضة الحج وزيارة المدينة المنورة وهذا كله من أجل أن ينقل حركة العلم والأدب الموجودة في الجزائر التي لم تتقطع أن تموت بفعل غطرسة الإستعمار وجبروته ، وأيضا من أجل إيجاد ساحة أخرى لنشر أفكار الجزائريين في المشرق والتعريف بانشغالاتهم وهمومهم وتطلعاتهم

. أبو عبد الرحمان محمود، آثار الشيخ مبارك ميلي، ج1، ص392¹

المبحث الثاني : الأعلام المساعدون:

اولا: الشيخ العربي التبسي

تعريف الشيخ العربي التبسي:

" ولد الشهيد العربي بن بلقاسم بن مبارك التبسي سنة 1895م وكان ميلاده بقرية أسطح النמושية غرب مدينة تبسة، وهو أحد الأقطاب البارزين الذين أسهموا في بناء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، أفرزته الجامعتان: الزيتونة والأزهر: في العلم والقرآن والسنة في الدين عاد بعد حل وترحال في سبيل العلم الذي أقبل عليه إقبال الهائم العافي الكلف إلى المدينة تبسة مزودا بالعلم والمعرفة يحمل بين جنبه روحا مفعمة بالنصر ممتلئة حماسا لما عرفه وعاشه من تجارب وأحداث بالمشرق. عمل أمينا للجمعية ونائبا بعد وفاة ابن باديس، ورئيسا سنة 1952 بعد ذهاب الشيخ البشير الإبراهيمي إلى المشرق سجنه الاستعمار سنة 1943 لمدة ستة أشهر بحجة تعاونه مع النازية، واعتقل سنة 1945 وبعد الإفراج عنه عمل مديرا لمعهد بن باديس.

أفتى أثناء الثورة وقال أنه لا يجوز لأي مسلم دون عذر أن يتخلى عن الجهاد"¹

" في 17 من أبريل عام 1957م امتدت يد منظمة الجيش السري الذي شكله غلاة

الفرنسيين المتعصبين لتخطف الشيخ العربي من منزله، وليكون في عداد الشهداء"².

. ميلود معزاوي، جمعية العلماء المسلمين، ص 46¹45

. عبد الغني بن محمد، أتعرف على الشيخ عبد الحميد بن باديس ورفاقه، ص 60²

لقد كان الشيخ العربي التبسي من الرجال الذين قيل حولهم الكثير وذلك نظرا للجهود التي قدمها خدمة لجمعية العلماء وخدمة للشعب الجزائري ومن ذلك مقاله الشيخ البشير الإبراهيمي : " الأستاذ التبسي كما شهد الإختبار وصدق التجربة مدير بارع ومربي كامل، خرجته الكلتيان الزيتونة والأزهر في العلم وخرجه القرآن والسيرة النحوية، فجاءت هذه العوامل في رجل يملأ جوامع الدين ومجامع العلم ومحافل الأدب"¹، و يضيف " إن أحاديث الشيخ العربي التبسي في الدين والإجتماع كانت كأدبه إذا تكلم في الدين تجلية حقائق ، في نصوص بيان ، وأن حديثه في السياسة إذا أنجز الحديث إليها كان كله حملات على الاستعمار ومكائده، وأنه لا يرجى منه خير، وأن حديثه عن السياسيين والنواب، كان حديث المحايد الحر الذي لا يتحيز لفريق دون فريق ، ولا يرضى لنفسه أن يكون بوق دعاية لمبدأ دون مبدأ لأن مبدأه أسمى منها جميعا: وكان حديث العالم الذي يزن الرجال بأعمالهم، وحيث لا أعمال، فلا رجال، ويزن الأحزاب بوضوح مبادئها، وحيث لا وضوح في المبادئ فلا أحزاب"².

وقال عنه رابح تركي: " وقد كان الشيخ العربي - يمتاز بقوة الشخصية وصلابتها- والشجاعة في إبداء الرأي - والدفاع عنه والثبات عليه، مهما كانت الظروف، هذا إلى جانب ثقافة واسعة، في العلوم الإسلامية والأدب العربي"³ فهو حسب كل من عرفه أو عاش معه، أو درس على يده " رجل علم وعمل، فريد في ورعه وتقواه، شديد في الحق والحماية وفي غيرته على حرمان

¹ . عبد الغني بن محمد ، أتعرف على عبد الحميد بن باديس و رفاقه ، ص62 .

2 . الإبراهيمي ، آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص33.

3 . رابح تركي، عبد الحميد بن باديس ، رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر، ص171.

الدين لا يتساهل معالخونة والمفسدين، متطلع في جوانب ودائرة اختصاصه¹. لقد كان الشيخ العربي التبسي من أهم الشخصيات البارزة في الحركة الإصلاحية بالجزائر، فهو من الوطنيين الأفذاذ الذين أسعفتهم مواهبهم المتفجرة بينابيع الفكر الحي والمنطق السليم والفطرة الطبيعية فهو " فصيح اللسان حسن العبارة محجاج صلب في طلب الحق علا صوته شرق البلاد وغربها من فوق المنابر في الخطب والمحاضرات والكتابة في الصحف والمجلات كلامه مألوف يصل الأذهان بمجرد ولوج الأذان يحرص على الدقة والحكمة فيما يقول جوابا وخطابا، أحيا النضال في العقول النائمة والشجاعة في القلوب الرابضة على الناس أن لا يخفضوا بين أيدي العدو رأسا ولا يخافون منه قوة ولا بأسا"²، فهو " أحد بناء النهضة وروادها وإن الكتابة بالنسبة إليه واجب وأمانة أولا قبل كل شيء لا يعنيه جمالها بقدر ما تعنيه مضامينها اقناعا وضوحا"³.

لقد كان الشيخ العربي التبسي قائدا وإماما، مؤمنا بالمبادئ التي جاءت بها جمعية العلماء المسلمين، فعمل على نشرها في الأوساط الجزائرية غير آبه بمضايقات الاستعمار الفرنسي له، عدته في ذلك الصبر والثبات، والإدراك الواضح لحجم المسؤولية الملقاة على عاتقه في تنوير هذا الشعب والسير به نحو الغد الأفضل، عاش يناضل من أجل قضية بلاده حتى سقط شهيدا " إن موت العظماء حياة لأممهم ... فإن كانت نتيجة للظلم زادت جمالا، فإن كانت في سبيل

1. مجلة الأصالة، السنة الثامنة، العدد 73-74-1979، ص 88.

2. ميلود معزاوي، جمعية العلماء المسلمين، ص 46.

3. شرفي أحمد الرفاعي، الإمام العربي التبسي، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، دار البعث،

الجزائر، ط1، 1981، ص 6.

الوطن كانت جلالاً وجمالاً¹، والشيخ العربي التبسي مات من أجل هذا الوطن الذي عشقه حتى الموت.

من رسائل الشيخ العربي التبسي

رسالة من الشيخ العربي التبسي إلى الشيخ عبد الحميد بن باديس

أ- نص الرسالة: " وَإِذَا الْعِنَايَةُ لَأَحْظَتَكَ عُيُونَهَا *** نَمَّ فَاَلْمِحَاوِفُ كُلُّهُنَّ أَمَانُ

إلى صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد الحميد بن باديس أطال الله بقاءه، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

أما بعد:

فنهني أنفسنا ونهني العلم، وآمال الأمة ونهنيك بالنجاة من كيد من ابتلى الله بالدين، والأمة، والعلم والقومية وإنما مما أصابكم لفي غمّ يونس وحزن يعقوب، ونشكو إلى الله التقصير، ولئن أوسد بك هذا الكلب، فلك بابن أبي طالب - جعل الله أجلك أفسح من أجله وقارب بينك وبينه في عظيم الأجر- ما يملأ النفس عزاء والقلب رضى، وإن جل الخطب وعظم المصاب.

وإن نزل ما نزل بك من القضاء الذي لا محيض عنه فقد كان علينا -جيزة الأزهر الجزائريين- أوجع نبأ ولئن فئة العلويين المارقين ومن سيحشر معهم قصدوا من عدوانهم على الأمة في شخصك أن يسكتوا داعي الله فكأني بك وانت الأسد المصور مسمعهم كلمة من أنت أعلق

1. الإبراهيمي، عيون البصائر، ص 637

منه بالمعالي يوم أن سامه بعض بني قومه ما سامك ممن هو معدود منا مساكنه أيها السادة إذا تقدمت فاتبعوني، وإذا تأخرت (حشاك) فاقتلوني، وإذا قتلت (لا قدر الله) فخذوا بثأري)فستجد أصحابك ليس أقل غيره عليك من أصحابه وإن اختلف ظرف المكان" ¹

ب . موضوع الرسالة:

لقد كان أعضاء جمعية العلماء المسلمين وهم الطائفة القائمة على نشر تعاليم الإسلام كثيرا ما يتعرضون للمضايقة وحتى للاعتداءات سواء من الاستعمار الفرنسي أم من خصوم جمعية العلماء وقد كان الشيخ عبد الحميد بن باديس في مشواره النضالي كثيرا ما يتعرض للسجن والتعذيب وكان أكبر تعرض له هو محاولة قتل نجا منها بفضل محبته للشعب وإخلاصه في العمل من أجل هذا الوطن، وبعد هذه المحاولة بالقتل بعث الشيخ العربي التبسي هذه الرسالة يهنئه على نجاته من مكيدة دبرها له بعض المتآمرين، مبتدأ رسالته بيت شعري كله حكمة وتأمل في قدرة الخالق على رد شرور الأشرار وما دام الله نسج عنايته حول من اراد من خلقه فإن المخاوف كلها بعد ذلك لا وجود لها، ويتضح من الرسالة ان الشيخ العربي يظهر " فصيح اللسان حسن العبارة لا يباري في سوق الحمية بالحجة ، صلب في الحق يرشد الناس إلى البر والوفاء لما يحدثان في قلب المرء من اطمئنان ويمشي بهم إلى أعلي المراتب ويسفه أقوال

¹ . شرفي أحمد الرفاعي، الإمام العربي التبسي، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ص69-70.

المنائين"¹، فهو قطب من أقطاب الجمعية التي كانت خصاهم تسيير على وتيرة واحدة من العمل والإخلاص والجد.

ويسترسل الشيخ العربي التبسي في رسالته إلى الشيخ ابن باديس فيتحدث عن القضاء والقدر وأنه لا بد للإنسان من مواجهته، ثم يتحدث عن فئة العلويين الذين أرادوا بالشيخ ابن باديس شرا ويقول أنهم بقتلهم الإمام يريدون أن يخرسوا هذا الشعب لكن هيهات فإن وراء الشيخ ابن باديس أصحاب يذودون عنه ويأخذون بثأره ممن تسول له نفسه المساس بشخصه الكريم فهو " عالم ورع و فقيه مجتهد في أمور الدين مسير لمقتضيات العصر وظروف الحياة، معلم موهوب، مجدد في أساليب التعليم ، وصاحب مذهب في تفسير كتاب الله ، وزعيم من زعماء الفكر الإصلاحية والنضال السياسي"² فكيف لا يهتأ أصدقاؤه ومعارفه لنجدته وللذود عنه بالنفس إن إقتضى الحال، وهذا ما يتضح في رسالة الشيخ العربي التبسي في قوله: " فستجد أصحابك ليسوا أقل غيرة عليك من أصحابه وإن اختلف ظرف المكان"³، وحسب الشيخ عبد الحميد بن باديس أن أصدقاؤه هم الجنود الذين يذودون عنه، وحسبه أن عقب هذا الاعتداء وجد نفسه محاطا بقلوب محبة ونفوسا طاهرة وعقول راجحة تعرف كيف تدفع الأذى ولا تقابل السفه بالسفه فقد كان من مبادئ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين " الإصلاح الديني بأوسع معانيه ولقد أدرك أعضاء الجمعية وعلى رأسهم رئيسها عبد الحميد بن باديس

1. ميلود معزاوي، جمعية العلماء المسلمين، ص45.

2. محمد صالح رمضان، إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس، ص57.

3. شرفي أحمد الرفاعي، الإمام الشيخ العربي التبسي، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ص70.

بعد التزوي والتثبت ودراسة أحوال الأمة ومناشئ أمراضها أن هذه الطرق المبتدعة في الإسلام هي سبب تفرق المسلمين وأنها سبب في ضلالهم في الدين والدنيا فكان القضاء عليها ومقاومتها هو القضاء على الشر والباطل والمنكر والضلال"¹ لكن بعض أصحاب هذه الطرق حز في أنفسهم أن يجاروا أو يقضي عليهم، فامتدت أيدي المنتسبين إلى الطريقة العلوية، وحاول قتل الشيخ ابن باديس لكنه نجا من هذه المكيدة لأنه كان يدعو إلى الدين الله الحق والتي هي أحسن في غير عنف ولاشدة مبرزا ما علق بهذا الدين من أمور باطلة وعقائد سخيفة وبمناسبة نجاته الشيخ عبد الحميد بن باديس بعث له صديقه ورفيقه في النضال الشيخ العربي التبسي يهنئه على نجاته .

1 - رسالة من الشيخ العربي التبسي إلى الشيخين أبي اليقظان وبيوض:

أ- نص الرسالة:

" بسم الله الرحمن الرحيم

تبسة في 15/03/1359هـ الموافق ل 23/04/1940م.

إلى الأخويين في الله الأستاذين الجليلين أبي اليقظان وبيوض بن إبراهيم وبنيه الصالحين المصلحين سلامي وسلام إخوانكم إليكم على بعد الدار وشط المزار وطول الشحط وكلب الزمان وغربة الإيمان أما بعد:

. الزبير بن رحال، الإمام عبد الحميد بن باديس، رائد النهضة العلمية والفكرية ، ص81.¹

فإن شوقي وشوق إخوانكم الذين جمعتهم المصيبة الجلبي والكارثة السوداء بقسنطينة وكلفهم بتعرف أخباركم وثباتكم المقطوع به أشد في هذه الأوقات التي هي من الأوقات التي عناها رسول الله على الله عليه وسلم " يصبح الرجل... الحديث، هذا - وإننا جمعية المصلحين - هنا يبادلونكم العزاء في شخصية الفقيه الراحل الذي كان من خيرة من يمثل بصدق جمعيتنا العلمية الإسلامية، والذي كان يعمل لإمارة الفوارق بين المسلمين، تلك الفوارق التي هي من صنع الجهل ومخلفات التعصب للتمذهب، ذلك التعصب المعارض للإسلام في أصوله وفروعه ومبادئه وغايته معارضة عادت على الإخوة الإسلامية التي أمر الله بها - قبل أن يعرف العالم الإسلامي التمذهب - بالقطيعة والجفاء وما يتفرع عنهما من شرور. هذا وإن مصيبتنا ستكون أنكى إن نحن لم نثبت على ما أمر به الإسلام من نشر العلم ومحاربة التعصب في محيط النظام ونطاق التضامن المشروع.

ثبتنا الله وإياكم بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، والسلام معاد عليكم من جميع إخوانكم الذين اجتمعت بهم بقسنطينة.

عنهم أخوكم العربي"¹

ب . موضوع الرسالة:

. مجلة الموافقات العدد الخامس، السنة الخامسة، جوان 1996، ص 514¹

كان الشيخ عبد الحميد بن باديس رجلا من الطراز الأول، وكان ممن يحفرون بأسمائهم في الذاكرة بعمق، كان من هؤلاء العظماء الذين يحيون في قلوب الملايين لأنهم أعطوا للحياة دفعا جديدا، وجعلوا للأيام مذاقا خاصا، لذلك فإن فقدانكم يترك أثره في نفوس من عرفوهم وعاشوا معهم، ففي يوم 16 أبريل 1940، مات الشيخ عبد الحميد بن بادسي و خلف وراءه رفاقا يعيدونه بالوفاء كعادتهم ، ويناجونه في رسائلهم لبعضهم البعض، يبحثون عن المواساة في فقيدهم الذي ترك الفراغ الرهيب، ومثلما ناجاه الشيخ البشير الإبراهيمي في رسالته: مناجاة مبتورة لدواعي الضرورة، نجده الآن الشيخ العربي التبسي يبحث عن العزاء عند صديقيه الشيخين أبي اليقظان وبيوض .

لقد كان الشيخ ابن باديس يهدف من خلال جمعية العلماء المسلمين " إلى خدمة الإنسانية في جميع شعوبها، والحدب عليها في جميع أوطانها واحترامها في جميع مظاهر تفكيرها ونزاعاتها"¹. بالإضافة إلى ذلك فقد كان الشيخ ابن باديس يعمل على " إعداد نشئ صالح تتمثل فيه عبقرية الجود وتنهض نهضة إسلامية عربية تأخذ من عظمة الماضي ويقظة الحاضر ما يعصهما من الزلل والانحراف وهي تسير في طريق المستقبل باسم"² وبموت هذا العظيم بقيت هذه المبادئ مغروسة في هذا النشء الذي عمل على تكوينه بالإضافة إلى أن رفقاء النضال حاولوا أن يسيروا وفق المنهج الذي رسمهم لهم والدليل على ذلك أن جمعية العلماء المسلمين لم تُحل

1. محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص 357-358.

2. المرجع نفسه، 359.

بموت زعيمها بل قام أصحابه بحمل المشعل والسير بهذا الشعب نحو المستقبل كما أرادته الشيخ ابن باديس، وهذا ما يحاول الشيخ العربي التبسي معالجته في هذه الرسالة ويبدو ذلك واضحا في قوله " وإن مصيبتنا ستكون أنكى إن نحن لم نثبت على ما أمر به الإسلام من نشر العلم ومحاربة التعصب في محيط النظام ونطاق التضامن المشروع"¹.

فموت الشيخ عبد الحميد بن باديس لا يعني أن المشوار الإصلاحى قد انتهى، بل يجب أن تعطي وفاته دفعا قويا إلى الإنطلاق في مجالات الإصلاح وذلك كعربون وفاء لرجل خدم هذا الوطن وأبناءه الذين وضعوا ثقتهم في شخصه الكريم وأصدقائه العلماء الذين كان دائما يقول عنهم " إن كنت أستمد القوة فإنما أستمدتها ممن أولوني شرف الثقة والإخلاص لديني ولأمّتي، وأخص منهم الأسود الكبار وهم إخواني الأقوياء من رجال العلم الذين أجدني مهما وقفت موقفا إلا وجدتهم معي كالأسود"²، لذلك رأى الشيخ العربي التبسي أنه من واجبه التذكير بمناب الرجل الذي عمل على إمانة الفوارق بين المسلمين، وأيضا على مواساة رفقاء النضال بهذه الرسالة التي تفوح منها رائحة الحرقه والألم على فقدان عظيم من عظماء رغم ذلك يحاول الشيخ العربي التبسي أن يعزي نفسه وأصدقائه ببريق الأمل في أن الذي خلفه الشيخ ابن باديس يجعل إخوانه يجتمعون على كلمة واحدة وينصهرون في بوتقة الجزائر وطني، و الإسلام ديني، والعربية لغتي.

. مجلة الموافقات، العدد الخامس السنة الخامسة، جوان 1996، ص514¹

. الزبير بن رجال، الإمام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية والفكرية، ص28².

3. رسالة من الشيخ العربي التبسي إلى الوالي العام على القطر الجزائري:

أ- نص الرسالة:

" الوالي العام على القطر الجزائري - الجزائر:

نحن جماعة من المسلمين نشهر بعمليات بعض الدخلاء في ميدان الشؤون الدينية، وعليه نطلب إليكم أن تباشروا التصرف في شؤون الدين لإعطائها الحال الذي تستحقه، ونطلب إليكم البدء في تعمير المناصب الشاغرة قبل حلول رمضان.

وفي عكس ذلك يتفاقم الغضب العام الذي يستغله البعض من المشوشين"¹.

ب . موضوع الرسالة:

شغل الدين الإسلامي جل أقطاب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ونال حصة الأسد في كتابتهم، فبعد أن حاولت فرنسا زعزعة هذا الدين بمختلف الطرق، كشر الطرق الصوفية وتسخير مجموعة من الرجال تحت لواء فرنسا، واستحواذها على الأوقاف، أمام كل هذا الزحف على الدين الإسلامي وقف الشيخ عبد الحميد بن باديس ورفقائه يدودون عنه فهذا زعيم الجمعية يقول: "إننا نحن فتشنا في صحف التاريخ و- فتشنا في الحالة الحاضرة- فوجدنا الأمة الجزائرية المسلمة- متكونة - موجودة- كما تكونت ووجدت كل أمم الدنيا- ولهذه الأمة تاريخها الحافل- بجلائل الأعمال- ولها وحدتها الدينية واللغوية- ولها ثقافتها الخاصة وعوائدها- وأخلاقها- بما فيها من حسن وقبيح . شأن كل أمة في الدنيا ثم إنّ هذه الأمة الجزائرية

. شرفي أحمد الرفاعي، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ص215.1

الإسلامية . ليست فرنسا- ولا تستطيع ان تصير فرنسا- ولو أرادت- بل هي بعيدة عن فرنسا كل البعد- في لغتها- وفي أخلاقها- وفي عنصرها- وفي دينها - لا تريد أن تندمج- ولها وطن محدود يشرف على إدارته العليا- السيد الوالي العام من قبل الدولة الفرنسية"¹.

لقد أراد الشيخ ابن باديس أن يبين لفرنسا وأتباعها أن الدين الإسلامي هو أساس كل المقومات الأساسية لشخصية الشعب الجزائري وبالتالي فهو الحصن المنيع لها وضد كل من سؤلت له نفسه المساس بها.

و من ثمّ فإن الجزائر بهذا الدين تمثل وحدة متكاملة وكيان مستقل كل الاستقلال عن فرنسا، حتى وإن ربطتها قوانين الاستعمار الجائرة إداريا بفرنسا فإن الدين الإسلامي يبقى بعيدا كل البعد عن هذه القوانين وأن فصله عن الحكومة الفرنسية مطلب لا يمكن الرجوع عنه، وفي نفس الموضوع كتب الشيخ البشير الإبراهيمي مقالات طوال عن فصل الدين عن الحكومة فيقول: "... نحن نريد- جادين فصل ديننا بجميع شعائره وعلائقه عن حكومة الجزائر اللايكية المسيحية فصلا ناجزا حاسما، لا تلوّ فيه ولا هوادة، ونريد بت حباله من حبالها في المعنويات والماديات، ونعمل لذلك متساندين في الحق، مستندين على الحق، والحكومة تريد بقاء حبالها بحباله مربوطة، ويدها في التصرف فيه مبسوطة، وتجاوز فلا تصدق في محاوره ، وتشاور فلا تخلص في مشاوره، فإذا أعشاها الحق بنوره، وأفحمها البرهان بظهوره عمدت إلى الشخص من هذه الشخص فغطت به مقصدا من مقاصدها المفضوحة وسترت باسمه الإسلامي وصبغته

. الشهاب، ج1، م12، عدد أبريل 1936، ص45.

الإسلامية مكيدة من مكائدها المكشوفة...¹ إن فرنسا تحاول طمس معالم هذا الدين الإسلامي وإحاقه بالحكومة الفرنسية، وتنصب لذلك رجالا مسلمين، لصالح الإدارة الفرنسية من أجل محو الإسلام من الجزائر، لذلك نجد أيضا الشيخ العربي التبسي يسير على نهج من سبقوه في الدفاع عن هذا الدين فكتب هذه الرسالة إلى الوالي العام للقطر الجزائري يطلب منه أن يبادر بفصل الدين عن الدولة حتى تتمكن الأمة من تسمية الموظفين في الوظائف الشاغرة وتعميرها قبل حلول شهر رمضان فالشيخ العربي التبسي قد " امتاز بالصراحة والشدة في حملاته على الجهاز الاستعماري الجائر وخاصة فيما يرجع لفرض سيطرته على الدين الإسلامي في الجزائر واستعباده لرجاله واغتصابه لأوقافه ظلما وعدونا"²، لذلك نراه في الرسالة ، يشدد في لهجته ويطلب من فرنسا أن لا تسكت على فصل الدين عن الحكومة بالمداهنة والمماطلة التي لا فائدة منها.

4 . رسالة الشيخ العربي التبسي إلى البعثة الجزائرية بالعراق:

أ- نص الرسالة:

" بسم الله الرحمن الرحيم- الحمد لله:

الجزائر في 1373/6/20 هـ الموافق ل 1954/2/24 م

. الإبراهيمي، عيون البصائر، ص105.¹

. مجلة الأصالة، السنة الثامنة العدد 73-74، 1979، ص288.²

إلى أبناء الجمعية البررة، وأعضاء البعثة العراقية أجمعين، كان الله في عونكم ما اتقوا الله، وصبروا

و صابروا في ميادين البلوى والامتحان

السلام عليكم ورحمة الله:

وبعد: فإني أحمد الله لي ولكم أن جمع بيننا على مرضيه وعلى العلم وطلبه والسفر إليه، وأن

اختار لنا هذا الجمع وأهلنا له، ولم يكلنا إلى أنفسنا.

ثم إني تلقيت كتابا من بشير بن صالح كاشه*¹ حمل إلي بشارة سبق أن تلقينا ممن كتب إليه

يخبرها ، فحمدت له هذا الجد والرغبة في نيل العلوم والمعارف وحياسة شهادتها أيا كانت

العلوم، وكل علم خير من الجهل وأنفع، ما ذم دين ولا عقل علما، وإنما العمل بموثه بين

الناس للعمل به وهو محط الحسن والقبح والخسارة والربح وأمر الله ونهيه جعلكم الله ممن يتبعون

أحسن القول بعد استماعه.

اغتبطتالجمعية ورجالها بكم وبمجهودكم وحسن سلوككم في هذه السنة وبمجيئكم في السابقين

والمعلمين في حلبات سباق الامتحانات، رزقهم الله الهدى جعل منكم أسوة في الآخرين،

ونفعمكم ونفع بكم الأمة الإسلامية والعربية في الجزائر ثغركم المنتظر لكم.

أكرر لكم وصيتي إليكم بمراقبة أنفسكم، ومحاسبتها قبل الحساب، وبإعداد أنفسكم لمستقبل

لا تتأهلون له ولقيادة من تقودون إلا إذا فضلتموهم دينا وخلقا وعلما.

. بشير بن صالح كاشه : عضو من أعضاء البعثة الجزائرية في العراق .¹

كان الله في عونكم وهو الحكيم يعين من جمع العلم النافع والعمل الصالح والخلق الرضي، فإذا عرفتهم الحقائق، وآمنتم بلزومها لكم فالزموها.

أكلفكم أجمعين مجتمعين ومفترقين، جماعة البعثة التي ودعتها يوم ودعتها وودعتني بمحطة قسنطينة وأخذت مني قائمة جامعة لأسمائها ووضعت على رأسها كلا من مسعود¹ وزروق**. أكلفكم بأن تعطوني حقيقة التلميذ المسمى "مولود بوزيان المعسكري" الذي احتال على دس نفسه في بعثتكم وواقعه أنه ليس منكم، ولا من جمعيتكم ولا من المسلمين لي، هذا التلميذ المريب الغامض الاتجاه، الملتبس أمره علينا، كان طلب إلي أن أقبله في البعثة، فأجبتة عن طلبه بالقبول، وذلك الجواب يعد وعدا له لا قبولا نهائيا، إذ قبوله يتوقف على الإجراءات التي تعلموها، أن يضم إليكم، وأن يكتب في قائمتكم، وأن يلتزم الشروط، وأن تعرف وجهه وأن يسافر معكم وأن ينال رخصة السفر بطريقة علنية واضحة.

وشيء من هذه الأمور لم تجر عليه، ووجد سهولة في السفر من دون رخصة السفر وما درينا من أمره شيئا حتى ظهرت كتابات في جريدة هنا عنكم بعنوان:

"أحکم تلامذة الأمة الجزائرية"

من غير أن تتصل جريدتنا "البصائر" بشيء مما كتب في تلك الجريدة وكتب إلينا أخيرا

بتصريحات يزعم أنه تلقاها عن رئيسنا الإبراهيمي فارتبنا في أمر هذا الكاتب وخشينا أن

* مسعود محمد العباسي: رئيس البعثة الجزائرية إلى العراق.

** زروق موساوي: نائب رئيس البعثة

يكون فيكم من ليس منكم ولا من المرتحلين للعراق لخدمة وطننا ولغتنا، ولا من ينتسب

لجمعيتنا، فأخذنا نبحث عن هوية هذا الكاتب حتى قيل لنا:

" إن تلميذا معسكريا له سوابق وجرائم كان ارتكبها في تونس وأنه ممن يعمل لنواح مجهولة
و ضد مصلحتنا، وأنه اندس فيكم، وقبل على أساس انه واحد منكم .

فإن صح ما قيل عنه، وكان هناك هذا التلميذ، فأكتبوا إلينا شارحين الأطوار التي مر بها حتى
نزل العراق، وحتى ما نال، وما هي الظروف السهلة التي عاش فيها، وانفع بها حتى نال ما
نلتهم، وأنتم بجمعيتكم وبمجهودها، وما نالت لبعضكم رخص السفر حتى تطعمت المر، أكتبوا
إلينا هنا، وأكتبوا إلى رئيس الجمعية ما تكتبون به إلينا، وأخبروه بأنه يتجاهل جمعية العلماء
ويكتب إلى غير صحيفتنا بالجزائر، ويتجاهل وجود جمعية العلماء في الجزائر، ويجعل بعثاتها
بعثات للجزائر، والجزائر لا وجود لها في باب البعثات والعلم بغير جمعية العلماء وكل منكر
لجمعية العلماء ولمشاريعها ولبعثتها هو خادم لأعداء الجزائر، مندرس بينكم، أو عين عليكم.

ثم إنك يا بشير كاشه من حق صحيفة " البصائر" لسان جمعية العلماء التي تتشرف
بالانتساب إليها، وبكونك واحدا من أفراد بعثتها أن تكتب إليها، وقد تأهلت للكتابة في
الصحافة بما تراه نافعا للجزائر ولجمعيتك ومدارسنا وحركتنا العامة، ومن حقها عليك ان
تتحدث إليها عن البعثة وعن حياتها زمن الدراسة وزمن العطلة وعن صلتكم بإخوانكم تلاميذ
مدراسكم من أي قطر كان وعن حفاوة إخواننا العراقيين بكم إلى غير ذلك مما لا أستطيع

تحديده بقاعدة، ولا عده بأحاده كلكم مفرط في واجبه نحو جمعيته، وصحيفتها التي كانت تنتظر منكم أن تكونوا لها أبناء برة مادين لها بما استطعتم من خدمات قلمية.

نحن هنا لا نعلم عنكم ما يحسن بالصادق في حديثه أن يتحدث به عنكم وعن المراحل التي قطعتموها للوصول إلى غاياتكم، وأن يتحدث به عن شقيقنا الشعب العراقي الكريم، ولا عن مؤسساته وجمعياته الدينية والاجتماعية.

وكأنكم قررتم الاتفاق بالسكوت عما يطلبه لسان الحال منكم في هذه المواضيع. وها نحن نرى دخيلاً فيكم يكتب إلى من يكتب، وينشر في جريدة لا نعلم صلته بها أحلال هي أم حرام، أنتم في سكوتكم الذي لا يكاد يكون له حد .

مرّت بكم سنوات ،ومررتم باختباراتوفيكمن من بلغ بعض النهايات في تحصيل العلوم ومع ذلك لم تنتفع جمعيتم بكم، ولا صحيفتها، ولا الأمة التي تقرأ صحيفتكم إن يكن هذا منكم عن عمد، فبئس المصير لمن يتولاكم وتتولونه

العربي التبسي¹

سلامي إليكم كلكم أجمعين

ب . موضوع الرسالة:

كان الإهتمام بالتعليم العربي من أبرز الأهداف التي عملت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على تحقيقها، فقد حرصت على تعليم الشباب تعليماً يؤهلهم ليكونوا حماة الوطن، وليتحملوا

¹ . بشير كاشهالفرحي، إمام المجاهدين الشهيد الشيخ العربي التبسي، دار الأفاق ، الجزائر ، دط ، دت ، ص45، 46،

، 47 ، 48 .

المسؤولية وسط الظلام الدامس، والحالة المزرية التي كان يعيشها المجتمع الجزائري آنذاك وقد صرح بذلك الشيخ البشير الإبراهيمي بقوله: " إنكم يا أبناءنا مناط آمالنا ومستودع أمانينا نعدكم لحمل الأمانة وهي ثقيلة ولاستحقاق الإرث وهو ذو تبعات وذو تكاليف وتنتظر منكم ما ينتظره المدجج في الظلام من تباشير الصبح... يا أبناءنا إن الحياة قسمان: حياة علمية وحياة عملية، وإن الثانية منها تنبئ على الأولى قوة وضعفا وإنتاجا وعمقا، إنكم لا تكونون أقوياء في العمل إلا إذا كنتم أقوياء في العلم ولا تكونون أقوياء في العلم إلا إذا انقطعتم له ووقفتم عليه الوقت كله"¹، ومن أجل ذلك عملت جمعية العلماء المسلمين على إرسال البعثات العلمية إلى خارج الوطن من أجل تحسن مستوى التعليم ونيل أعلى الشهادات وقد كانت الوجهة دول المشرق العربي فمن مصر وإلى السعودية، وإلى العراق.

فبعد أن استقرت البعثة الجزائرية بالعراق كتب الشيخ العربي التبسي رسالته هذه، وقد بدأها بالإشادة بالمجهودات الجبارة التي تقوم بها الطلبة الجزائريون هناك، ويوصيهم بإتباع نصائحه ويؤكد لهم أنهم سفراء ليس فقط لجمعية العلماء المسلمين بل للشعب الجزائري كله، فهم صورة عنه في أخلاقهم وسلوكهم وحسن تصرفهم وتدبرهم للأمور، لذلك فقد أرقه وجود تلميذ لا ينتمي للجمعية العلماء قد سافر ودس نفسه بين أعضاء الجمعية.

وهذا الأمر أقلق الشيخ العربي التبسي لأن هذا التلميذ المشبوه قد يشوه صورة تلاميذ جمعية العلماء فقد حاول هذا الشخص النكرة المشبوه من خلال المقالات الصحفية التي كان يبعث

الإبراهيمي، آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج2، ص218. ¹

بها إلى الجزائر كمراسل جزائري لها من بغداد بالعراق، وبالغ في مراسلاته إلى درجة الإفتراء على رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سماحة الإمام محمد البشير الإبراهيمي الذي كان يقيم بالقاهرة وزار البعثة العراقية مرتين خلال تلك الفترة"¹، حاول هذا الشخص إذن تشويه صورة الجزائريين هناك، الأمر الذي جعل الشيخ العربي التبسي يطلب من طلبة البعثة التحري عن هذا الشخص وأخذ الحيلة منه، الأمر الآخر الذي جاء في هذه الرسالة هو عتاب الشيخ العربي التبسي لطلبة البعثة وذلك حول تقصيرهم في الكتابة إلى صحيفة جمعية العلماء لإفادة قرائها بالحالة التي توجد عليها بعثة جمعية العلماء بالعراق وتتبع أخبارهم ونقلها إلى الشعب الجزائري المتصفح لهذه الصحيفة بالإضافة إلى تقصيرهم في حق البلاد التي استضافتهم واستقبلتهم على أراضيها- العراق- فمن واجب هؤلاء الطلبة رد الجميل وذلك بالتعريف بهذا البلد والإشادة بكرم ضيافته وحسن استقباله للطلبة وتوفير كل ما يسهل لهم عملية تحصيل العلم والمعرفة.

ولهذا ختم الشيخ العربي التبسي رسالته بقوله "... إن يكن منكم هذا عن عمد فبئس المصير لمن يتولاكم وتتولونه"²، فهو يلومهم ويعاتبهم عن تقصيرهم في حق شعبهم الذي أودع أمانيه فيهم، وتقصيرهم في حق البلد الذي استضافهم، فمهما كانت الأعذار كان يجب على هؤلاء الطلبة أن يتذكروا شعبهم ويراسلوا جمعيتهم، ولا يتركوا أحدا يقوم عنهم بهذه المهمة كذلك الطالب النكرة على حد تعبيره.

. بشير كاشةالفرحي، إمام المجاهدين الشهيد العربي التبسي، ص 53¹

. المرجع نفسه ، ص 48. ²

فقد كان الشيخ العربي التبسي " رجل أمة كاملة لا لبلدة واحدة ورجل الأعمال العظيمة لا الأعمال الصغيرة" ¹ لذلك كان يريد رجالا بحجم المسؤولية الملقاة على عاتقهم

ثانيا: الشيخ الطيب العقبي:

تعريف الشيخ العقبي (1889 م . 1960 م):

هو الشيخ الطيب العقبي " من مواليد سيدي عقبة بيسكرة، عاش بالمهجر (الحجاز) مدة زمنية طويلة تزيد عن ربع قرن عمل خلالها رئيس تحرير جريدة القبلة المكية وأدار المطبعة الأميرية بعد محي الدين الخطيب. وهنا بدأ نجمه يسطع ويكبر، ورث عن أبائه وأجداده الوطنية، وحب الجزائر البطولة والإقدام.... عاد من المهجر فبعث نفضة أدبية شامخة شموخ الأشجار والنخيل التي إن رميتها بالحجر رمتك بالثمر، علت صيحته الإصلاحية في كثير من الجرائد.... أنتخب رئيسا للجمعية الفرنسية الإسلامية تقدير لأعماله، تولى إدارة تحرير البصائر قبل الحرب العالمية الثانية، أسس جريدة الإصلاح وهو صحفي قدير. كان خطيبا يستطيع تحريك القلوب بقوة بيانه وفصاحة لسانه" ²

1. بشير كاشه الفرحي ، إمام المجاهدين العربي التبسي ، ص 13 .

2. ميلود معزاوي، جمعية العلماء المسلمين، ص 47، ص 48.

" فهذه هي الظروف التي عاشها الشيخ الطيب العقبي في وطنه، وهي الظروف التي لازمته عنيقة شديدة وهو لا يتوانى في مقاومتها بضراوة وقوة إيمان إلى أن أسلم روحه لربه في سنة 1960، وأمته حينذاك تخوض معركتها الحاسمة في ثورتها المظفرة"¹.

كتب الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس عن الشيخ العقبي قائلاً: " من ذا الذي لا يتمثل في ذهنه العلم الصحيح، والعقل الطاهر، والصراحة في الحق والصرامة في الدين، والتحقق بالسنة والشدة على البدعة، والطيبة في العشرة، والصدق في الصحبة- إذا ذكر الأستاذ العقبي"².

وقال عنه الشيخ محمد البشير الإبراهيمي يصفه:

" قولاً للحق، أماراً بالمعروف، نهاءً عن المنكر، واقفاً عند حدود دينه"³

أما الأستاذ أحمد توفيق المدني فكتب عنه قائلاً :

" كان خطيباً مصقعا من خطباء الجماهير، عالي الصوت، سريع الكلام حاد العبارة، يطلق

القول على عواهنه كجواد جامع، موضوعه المفضل هو الدين الصافي النقي، ومحاربة الطريقة

ونسف خرافاتها والدعوة السافرة لمحاربتها ومحققها"⁴.

أما الأستاذ محمد الطاهر فضلاء فكتب عنه يقول:

¹. محمد الطاهر فضلاء، الطيب العقبي رائد الحركة الإصلاح الديني في الجزائر، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، دط،

دت، ص 160 159 .

. الشهاب، العدد 158، أوت 1928.²

. البصائر، أوت 1936.³

. أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2، ص183.⁴

" له نظر المتبصر الفطن الذي سدّد الله خطاه إلى رياض الصالحين من عباده المؤمنين الصادقين، واخذ بيده إلى الصراط السوي الذي يهدي إليه الله من ابتغى رضوانه من المخلصين المفلحين"¹.

لقد إمتاز الشيخ الطيب العقبي " الرأي الصريح والموقف الواضح والصرامة في الحق، وحرصه على الإستمسك بالعروة الله الوثقى"²

فقد جمع الشيخ الطيب العقبي " بين همة الشباب وحكمة الكهول، اتصف بالحزم، كان مناصرا للحق مرافعا عن الدعوة، عرف فيها بالبر والتقوى، والعفة والنزاهة والقوة في الدعوة"³، فهو رجل وطني من الرعيل الأول الذي قضى حياته في الجهاد والتضحية والتعليم والكتابة والتربية فما وهن لما تمخضت عنه الحياة من عراقيل وما استكان لضربات الزمن وقهره.

من رسائل الشيخ العقبي :

1. رسالة الشيخ الطيب العقبي إلى الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس:

أ- نص الرسالة:

" الجزائر في غرة شعبان 1357 - 26 سبتمبر 1938

حضرة الأخ الكريم الأستاذ الجليل الشيخ عبد الحميد ابن باديس رئيس جمعيتنا المحترم.

. باديس فضلاء، آثار الأستاذ محمد الطاهر فضلاء، ص182.¹

. ينظر محمد الطاهر فضلاء، الطيب العقبي رائد الحركة الإصلاح الديني في الجزائر، ص67.²

. ميلود معزوي، جمعية العلماء المسلمين، ص48.³

أرجو منكم - بتأكيد- أن تعلنوا لإخواني أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين- استعفائي من الصعوبة في إدارتها وقوفا عند تصريحاتي الواضحة التي أدليت بها صبيحة يوم 24 سبتمبر الجاري في الإجتماع العام، مع شكري للجميع على ما تفضلوا به على مرة ثانية من تجديد الثقة بي وإنتخابي لهذه العضوية التي أراي- بكل أسف- جد عاجز عن القيام بها بعد اليوم.

كما أرجو من الإخوان أن لا يتأثروا لهذا، فقد أكدت لهم بالإيمان المغلظة إذ ذاك، لآني سأتحلى عن الإدارة إن هم أضعوا أصواتهم في انتخابي لها، وجعلوني مضطرا لإعلاني بهذا التخلي على صفحات الجرائد، وقد أعذر من أنذر.

هذا مع وعدي لهم بأني سأبقى محتفظا لنفسي بحق العضو العامل في هذه الجمعية التي أنا من أول المؤمنين بمبدئها الحق الذي سأبقى عليه ما بقيت- وبقيت المبادئ الخالدة- إلى آخر نفس من حياتي، وأؤكد لكل الإخوان أنني وقفت هذا الموقف وأنا غير متأثر مطلقا بأي إيعاز من الإيعاز الحكومية، ولا قاصد علم الله- وهو العليم بما في الضمائر المطلع . على ما في الصدور- إلى تملق أية ناحية إدارية، ولكن شفقتي على البقية من تراث هذه الأمة، وحرصني على المصلحة العامة، مع تقديري للظروف والوضعية الحاضرة، كل أولئك حملني على الإصاخة لصوت ضميري فقط، وتلبيتي لنداء الواجب الإسلامي الإنساني الخطير غير آبه بما قيل وما عسى أن يقال.

وليتكم يا جناب الرئيس تصادقوني على هذا وأنتم تعتقدون معي أن شر الناس من يخشى
الناس ولا يخشى الله.

وفي الختام، تقبل مزيد احترامي لشخصكم الموقر، ولمن لنظركم من بقية الإخوان، صرف الله
عنا وعنكم كل بلية وهوان ، والسلام عليكم ورحمة الله ، من المتوكل على ربه المعتمد عليه
وحده، عبده: الطيب العقبي¹.

ب . موضوع الرسالة:

كان الشيخ الطيب العقبي من الأفاضل الذين أمدوا هذه النهضة بآثار فضلهم، ومن الأوائل
المصلحين الجزائريين الواعدين للفكرة الإصلاحية، كما يعد من أوسع علماء عصره علما
وثقافة فقد عاش فترة طويلة في المدينة المنورة وتلقى العلوم في الحرم النبوي الشريف وكان :
من أشد المصلحين صلابة موقف أمام الانحرافات الباطلة قاومها بكل قواه خطيبا على المنابر
وكتابا في الصحف ولم ينقطع له نفس ولا تلجج له كلام أمام تهديدات رجال الزوايا².

ورغم ذلك فقد حدث للشيخ الطيب العقبي عارض جعله يستقيل من جمعية العلماء
والسبب في ذلك أنه " اختلف مع أعضاء جمعية العلماء قبل نشوب الحرب العالمية الثانية في

1. محمد الطاهر فضلاء ، العقبي رائد للإصلاح الديني في الجزائر، ص79-80.

2. محمد ناصر، المقالة الصحفية، نشأتها وتطورها وأعلامها، 1903-1931، مج 1 ، الشركة الوطنية ، للنشر
والتوزيع ، الجزائر ، 1978 ، ص 122.

السياسة التي ينبغي أن تتبناها الجمعية إذا نشبت الحرب - حيث رأى ضرورة تأييد فرنسا في

الحرب - فلم يوافق أعضاء الجمعية على هذا الرأي - فقدم استقالته منها"¹

فقد كان للشيخ الطيب العقبي رأيه الخاص الذي يدافع عنه بكل ما أوتي بقوة ثم أنه كان

يرى في هذا التأييد " ليس تملقا للحكومة ولا ضعفا واستحذاء للطغاة والمستبدين من غلاة

المعمرين"²، لكن طلبه قبول بالرفض من طرف أعضاء الجمعية فلم يجد بدا سوى الاستقالة.

إذن موضوع رسالة الشيخ الطيب العقبي إلى الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس هو طلب

الاستعفاء من عضوية الإدارة لجمعية العلماء، وإن استقال الشيخ الطيب العقبي من مجلس

إدارة الجمعية فإنه بقي فيها" العضو العامل في هذه الجمعية التي هو من أول المؤمنين بمبادئها

الحق الذي سيبقى عليه ما بقيت - وبقيت المبادئ الخالدة - إلى آخر نفس من حياته"³،

على حد قوله في رسالته " فالرجال أعمال ومواهب ومواقف النجاح والفوز في الأعمال ولا

سبيل في التفرقة بين الفوزين في العملين : العاجل والآجل: كلاهما مطلوب ومرغوب

ومحبوب"⁴ واستقالة الشيخ الطيب العقبي من إدارة جمعية العلماء لا تعني تخليه عن واجبه نحو

هذه الأمة لأنه من العلماء الذين " يجللهم الصدق ويحملهم الإخلاص، ويكفي أفكارهم

وآرائهم عمل الخير، وبذل ذات النفس وذات اليد ابتغاء وجه الله ورضوانه وهو السر الأكبر

. رابح تركي، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر، ص 171.¹

. محمد الطاهر فضلاء، الطيب العقبي، رائد الإصلاح الديني في الجزائر، ص 76.²

. ينظر، المرجع نفسه، ص 79.³

. 4. محمد الطاهر فضلاء، الشيخ محمد خير الدين آثار ومآثر، مؤسسة الضحى، الجزائر، دط. دت، ص 70.

في الانتصارات الهائلة التي يكتبها الله لهم من بداية المسيرة الموافقة حتى حسن الختام دون تردد أو ريبة أو تقصير"¹، لذلك لم تكن استقالة الشيخ الطيب العقبي هو نهاية خدماته أو أنها تقصير منه في حق هذه الجمعية، إنها فقط فاصلة اعتلت مشواره مع هذه الجمعية لكن الأوقاس ظلت مفتوحة لبلوغ كل رجاء، فقد كان ذا حكمة ورأي وحزم وتفان وحنكة ومن العسير عليه أن يضع نقطة النهاية مع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لأنه كان يأمل أن يدفع بهذا المجتمع نحو التقدم الشامل والسير على أقوم سبيل.

2. رسالة الشيخ العقبي إلى أحمد توفيق المدني:

أ- نص الرسالة:

" حضرة الأخ المسلم المخلص (وكفى وصفا عندي) السيد أحمد توفيق المدني المحترم. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد.

فقد أخذت كتابك الكبير، الذي به المقال العظيم، وإني لم أجبك رغم انزعاجي وتأثري من نبأ إبلاغك تلك المكافأة التي أنعموا عليك بها، بعد خطبتك على فقيدهم وابنهم (يعني الرسام ديني سالف الذكر) الذي بكوا فيه العلم، والفن كما بكينا نحن فيه ذلك، زيادة على الإخلاص لنا. ساءني ما عاملوك به ولكن ذلك دليل الإكبار والإجلال. فلا تحزن كثيرا ولا تنك في ضيق....

¹. محمد الطاهر فضلاء، الشيخ محمد خير الدين آثر ومآثر، ص40.

لم أكتب لك ولم أجيبك لأن وعشاء السفر الذي ما تعودت قبل مثله، على سيارة وأنا مريض كان لها أثرها في جسمي الضعيف البالي فمعدرة... أما المقال فإني عازم على نشره ولو.... ولكن في العدد 13 من الإصلاح أن يسر الله لنا إبرازه، حيث أخذ المحل من العدد عشر مقال (في الموضوع لكن بتحفظ) للفيلسوف الميلي الذي أراد أن يلعب مع اللاعبين من غير أن يبين الحكم. والسلام من الجماعة كلهم ومني أنا : العقبي"¹.

ب . موضوع الرسالة:

من الطرق الكثيرة والملتوية التي استعملها الاستعمار الفرنسي من أجل غرس جذوره في الجزائر حتى لا يأتي ويزحزحه أحد مسألة التجنيس ، فقد " فتح باب التجنيس، أو حسب التعبير الرسمي باب " التمتع بالحقوق الفرنسية منذ قانون السيناتوسكونسلت، وازداد ذلك الباب اتساعا منذ قوانين فيفري 1919 وأصبح للمسلم الجزائري الحق في طلب الإحراز على الحقوق الفرنسية بسهولة كلية عندما يلتزم بالخروج عن الأحكام الشرع الإسلامي"²

لكن هذا الباب الذي فتح لم يلجه أحد، ولم يلق هذا القانون الترحيب من الجزائريين، لأن هذا القانون يمس الشخصية العربية الإسلامية في صميمها، فالذي يبحث عن الجنسية الفرنسية عليه أن يتخلى عن الدين الإسلامي وتعاليمه " بما أن الدستور فرنسا المحرر في 04 من نوفمبر 1848 يلحق الجزائر إلحاقا تاما بفرنسا - فإن المسلم الجزائري هو فرنسي - إنما

. أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2، ص159-160.¹

. المصدر نفسه المدني، ص350.²

المسلم الجزائري لا يمكن إعتبره مواطنيا فرنسيا- ما دام يحافظ على قانونه الإسلامي الخاص في الأحوال الشخصية وهي الزواج- الطلاق - الميراث- فهو بذلك يعتبر رعية فرنسية وليس مواطنا فرنسي"¹ ، فالحق أن هذا القانون فيه إحتقار كبير للمواطن الجزائري، إذ كيف يعطي العدو والحقوق لمن يحاول أن يسلب منه حريته، وشخصيته وعروبته، وإسلامه، لذلك قبول هذا القانون بالرفض من الأغلبية، وكان الأستاذ أحمد توفيق المدني ممن رفضوا هذا القانون جملة وتفصيلا، فكتب مقالا في هذا الموضوع يبين فيه فكرته في هذا القانون، ويفصح عما في ضميره، وقد كان عنوان المقال " بين الموت والحياة" جاء فيه " الخطر محقق بنا، الهوة السحيقة فاعرة فاعرا لا ابتلعنا ، وأنه لخطر الاضمحلال، وإنها لهوة الموت والفناء، فإن كان البعض منا لا ينتبهون لذلك الخطر، ولا يدركون حرج الموقف، فما ذلك إلا لأن الله قد أصابالعمى قلوبهم التي في الصدور"²، وأرسل هذا المقال إلى جريدة الإصلاح التي كان يشرف عليها الشيخ الطيب العقبي، الذي أجاب الأستاذ أحمد توفيق المدني في هذه الرسالة والتي يواسي فيها الأستاذ توفيق المدني على ما لقيه من سوء معاملة" من الإدارة الفرنسية بعد إلقاء خطابه في بوسعادة على ضريح ناصر الدين اتيان ديني فقد وضع الأستاذ أحمد توفيق المدني في إقامة جبرية وبصورة إدارية خلافا لأي قانون"³ كما يعتذر له عن تأخره في الكتابة به بسبب السفر والمرض.

1. رابع تركي، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر، ص244.

2. أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ص161.

3. ينظرالمصدر نفسه ، ص160.

وفي عرض الرسالة يبشر الشيخ العقبي الأستاذ أحمد توفيق المدني بقبول مقاله واستعداده لنشره في العدد 13 من جريدة الإصلاح وذلك لأن العدد 12 كان قد نشر فيه الشيخ مبارك المليي، فالموضوع الرسالة هو الرد على فرنسا من خلال نشر مقال ضد التجنيس وهذا يدل على أن رجال جمعية العلماء وقفوا ضد كل من تسول له نفسه المساس بمقومات الشخصية العربية الجزائرية المسلمة.

من بركات الشيخ العقبي:

1- برقية موجهة إلى الحكومة الفرنسية:

نص البرقية "إن لجنة إعانة فلسطين، التي تمثل كل التشكيلات الدينية والسياسية بالجزائر وتشمل الشخصيات الممثلة للاتجاهات الجزائرية، قد تأثرت بصفة مؤلمة من القرار الذي اتخذته المجلس الوطني الفرنسي في إرسال التحية المخلصة لدولة إسرائيل المزعومة إن هذا القرار يعتبر عملا عدائيا ضد العالم الإسلامي، واللجنة تحتج بشدة على هذه الحرية التي تتمتع بها رسائل الدعاية الصهيونية ومنظماتها وجميعها يعمل لفائدة الإمبريالية وضد الديمقراطية .

واللجنة تلفت نظر حكومتكم لما في إقرارها بدولة إسرائيل المزعومة من جرح لعواطف خمسة وعشرين مليوناً من المسلمين سكان المغرب العربي المتضامنين تضامناً فعالاً مع إخوانهم أهل فلسطين ومن إساءة عميقة للعلاقات بين فرنسا والإسلام.

2- برقية موجهة إلى عزام باشا الأمين العام للجامعة العربية:

نص البرقية: " يسعدنا إعلامكم أنه قد تألفت بالجزائر لجنة لإعانة فلسطين، مؤلفة من كل الهيئات والشخصيات التي تمثل الإتجاه الإسلامي الجزائري، إننا بلسان هذه اللجنة نؤكد لسعادتكم تضامن الشعب المسلم الجزائري مع كل الدول العربية المكافحة ضد الإمبريالية الصهيونية، ونأمل إنتصار القضية العربية العادلة.

الشيخ البشير الإبراهيمي ، فرحات عباس، الشيخ بيوض، الشيخ العقبي"¹

ب . موضوع البرقيتين:

لقد إعتبر الشعب الجزائري دولة فلسطين جزءا من وطنهم العربي الكبير ، بل اعتبرها بمثابة القلب من سائر الجوارح لما تنطوي عليه من المعاني المقدسة، وإن كل أذى يمس فلسطين يمس هذا الشعب برمته، ففي عز المحنة وفي عز نار الاستعمار لم ينس الجزائري فلسطين والقضية العادلة التي يحارب من أجلها فهل " يظن الظانون أن الجزائر بعراقتها في الإسلام والعروبة تنسى فلسطين، أو تضعها في غير منزلتها التي وضعها الإسلام من نفسها،... لكن الاستعمار الذي عقد العقدة لمصلحته، وأبي حلها لمصلحته، وقايض بفلسطين لمصلحته هو الذي يباعد بين أجزاء الإسلام لئلا تلتئم، وبقطع أوصال العروبة كيلا تلتحم وهيئات لما يروم"² فهذه جمعية العلماء المسلمين بزعامة مصلحيها ترسل ببرقية تنديد إلى الحاكم الفرنسي الذي أرسل التحية لدولة إسرائيل المزعومة متجاهلا مشاعر المسلمين الجزائريين الذين يكبت حرياتهم

1. أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2، ص388-389

2. الإبراهيمي ، عيون البصائر، ص494.

بجبروته رغم ذلك فقد تكونت اللجان المدافعة عن فلسطين، ولم تكف بعث البرقيات إلى حاكم فرنسا تحتج على تصرفاتها بل أرسلت أيضا برقية إلى رئيس الجامعة العربية وإلى هيئة الأمم المتحدة لتندد وتحتج على ما مس العالم الإسلامي من عدوان صريح قامت به الصهيونية من اغتصاب للأراضي وتشريد الشعب الفلسطيني وإخراجه من دياره ومحاولة سلخه من عروبه رغم أن " فلسطين أرض عربية لأنها قطعة من جزيرة العرب، وموطن عريق لسلاسل من العرب، استقر فيها العرب أكثر مما استقر اليهود، وتمكن فيها الإسلام أكثر مما تمكن اليهودية، وغلب عليها القرآن أكثر مما غلبت التوراة وسادت فيها العربية أكثر مما سادت العبرية".¹ والجزائر تدرك هذه الحقائق لذلك يعز عليها، أن ترى فلسطين جريحة فتجدها تشكل لجنة لإعانة فلسطين وهي تهدف بذلك إلى تأكيد التضامن الجزائري الإسلامي مع الشعب الفلسطيني الشقيق.

وهذا ما حاول الشيخ الطيب العقبي ورفاقه إبلاغ به الأمين العام لجمعية الدول العربية في البرقية الثانية.

فالشعب الجزائري كغيره من الشعوب العربية يريد أن تكون فلسطين " عربية، وأن تبقى عربية، فتبقى لها بشاشة النبوة وحلاوة الإيمان، ووجاذبية الوحي، وروحانية الشرق، ومخايل السامية

1. الإبراهيمي ، عيون البصائر ، ص 493 ، 494 .

وصبغة السماء"¹ وأنها ستقف بالمرصاد لكل من يحاول ان يجتث فلسطين من عروبتها وإن كانت الجزائر تحت نير الإستعمار فإنها لن تنسى فلسطين وستتضامن معها في كل الأحوال .

ثالثا: الأستاذ محمد العيد آل الخليفة

تعريف الأستاذ محمد العيد آل الخليفة (1904 م . 1979 م) :

" هو محمد العيد بن محمد بن خليفة، من محاميد سوف المعروفين بالمناصير من أولاد سوف. ولد في المدينة عين البيضاء بتاريخ 28 أوت 1904، حفظ القرآن، وتلقى مبادئ علوم اللغة والشريعة الإسلامية بالمدينة الحرة على الشيخين محمد الكامل بن عزوز وأحمد بن ناجي. انتقل مع أسرته إلى بسكرة سنة 1918 وواصل بها دراسته ثم غادر إلى تونس سنة 1921 درس بجامع الزيتونة سنين.

رجع إلى بسكرة سنة 1923 وشارك في الحركة الإنبعاث الفكري بالتعليم والنشر في الصحف والمجلات.

وفي سنة 1927 دعي إلى العاصمة للتعليم بمدرسة الشبيبة الإسلامية الحرة حيث بقي مدرسا بها، ومديرا لها مدة اثني عشر عاما وفي هذه الفترة أسهم في تأسيس جمعية العلماء المسلمين

.الإبراهيمي ، عيون البصائر ، ص505¹.

الجزائريين ابن وجد فيها منبرا حرًا لقصائده يلقيها في إجتماعاتها وينشرها في صحفها ومجلاتها، عمل مدرسا في مدارس الجمعية بين السنوات 1940 و 1947¹

عاش محمد العيد آل خليفة إلى أن رأى نور الحرية يسطع على الجزائر.

"و توفي رحمه الله في 31 جويلية 1979م بمستشفى باتنة بالشرق الجزائري عن عمر يناهز 75 سنة قضى معظمها في نظام الشعر والتنافس في إبداع أروع القصائد وأجملها"²

ترك ديوان شعر مطبوع تكلفت به الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

لقد كان الأستاذ محمد العيد آل الخليفة شاعرا لا يشق له غبار، يتميز شعره بالسلاسة والخفة وذلك بشهادة من عاشوا معه من قريب أو بعيد، " فقد لقبه الشيخ عبد الحميد بن باديس بأمر شعراء الجزائر "³ يقول عنه الشيخ محمد البشير الإبراهيمي: " الأستاذ محمد العيد شاعر الشباب، وشاعر الجزائر الفتاة، بل شاعر الشمال الإفريقي بلا منازع.... ومن يعرف " محمد العيد " ويعرف إيمانه وتقواه وتدينه وتخلقه بالفضائل الإسلامية، يعرف أن روح الصدق لمتفشية في شعره إنما هي من آثار صدق الإيمان وصحة التخلق، ويعلم أنه من هذه الناحية مبدع

¹ . ينظر بشير كاشة الفرحي، محمد العيد آل الخليفة شاعر الجزائر والعروبة والإسلام، دار الآفاق، الجزائر، دط،

2003، ص 13-14

. بوقفة فتيحة، أدباء في الذاكرة، ص 157²

³ . ينظر، عبد الملك مرتاض، أدب المقاومة في الجزائر (1830 . 1962) ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، دت

، دط ، ص 523.

الشعراء، رافق شعره النهضة الجزائرية في جميع مراحلها، وله في كل ناحية من نواحيها وفي كل طور من أطوارها وفي كل أثر من آثارها- القصائد الفرد والمقاطع الخالدة....¹

ويقول عنه الأستاذ محمد بن يسمينة: " تكاد شخصيته في هذه الجوانب تقترب من شخصية الشاعر حسان بن ثابت الأنصاري الذي كان يغزو مع المجاهدين في صدر الإسلام إلا أن عدته وعتاده في ذلك الغزو وإنما هو لسانه وشعره"²

ويقول عنه الدكتور عمر بن قينه: " هو شخصية متميزة عكسها شعره الذي رافق مرحلة النهوض السياسي والفكري والإصلاحي فعبّر عن ذلك بصدق وإخلاص"³

ويقول عنه الأستاذ أبو القاسم سعد الله: " محمد العيد شاعر معاصر خدم الأدب العربي في الجزائر ونهض به بعد أن كادت موجة التفرنس تبتلعه أثرى الزحف الذي قامت به الثقافة الفرنسية على معالم تراثنا القومي إبان الإحتلال"⁴ .

وقال عنه شكيب أرسلان: " إن كان في هذا العصر شاعر يصح أن يمثل البهاء زهيراً في سلاسة نظمه، وخفة روحه، ودقة شعوره، وجودة سبكه واستحكام قوافيه التي يعرفها القارئ قبل أن يصل إليها، وأن التكلف لا يأتيه من بين يديه ولا من خلفه فيكون محمد العيد"⁵.

1. بشير كاشهالفرحي، محمد العيد آل الخليفة شاعر الجزائر والعروبة والإسلام، ص21.

2. بوقفة فتيحة، أدباء في الذاكرة، 135.

3. المرجع نفسه، ص136.

4. أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، ص35.

5. ينظر. بوقفة فتيحة، أدباء في الذاكرة، ص22.

هذا هو الشاعر محمد العيد آل الخليفة ابن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين شاعر عربي

أصيل في عروبه وفي لغته وفي نسبه وفي فكره.

من رسائل الشاعر محمد العيد آل خليفة :

1. رسالة الأستاذ محمد العيد آل الخليفة إلى الشيخ محمد البشير الإبراهيمي:

أ- نص الرسالة: وهي رسالة شعرية:

"أبي البشيرُ سلامٌ زَاكٍ وَشَوْقٌ كَبِيرٌ

لَأَزَلْتُ فِيْنَا مَنَارًا بِضَوِّهِ نَسْتَنِيرُ

وَإِنِّي كِتَابُكَ يَهْدِي إِلَى الْمَنَى وَيُشِيرُ

تَذُكُّو الْعِبَارَةَ فِيهِمَا لَيْسَ يَذُكُّو الْعَيْرُ

إِذَا فُرَادِي سَتَالٍ يَهْوِطُ رِيفِي قَرِيرُ

قَدْ ارْتَدَّ بَصِيرًا فَكَيْفَ يَعْوِي الْبَصِيرُ

فَمَيْصُ يُوسُفَ أَلْفَى بِهِ عَلَيَّ الْبَشِيرُ

يَا آسِي الْيَأْسُ زِدْنِي كَشْفًا فَأَنْتَ حَبِيرُ

الْيَأْسُ دَاءٌ عَسِيْفُ الْبَرِّ مِنْهُ عَسِيرُ

فَرَجَّتْ عَنِّي مُسْتَطَارٍ بَلَاءُهُ مُسْتَطِيرُ

وَكِدَّتْ تَجَلُّو ضَمِيرِي لَوْ كَانَ يُجَلِّي الضَّمِيرُ

فَلَيْسَ يُجْزِيكَ عَنِّي إِلَّا الْإِلَهُ الْقَدِيرُ

عُفْرَانُهُ لِمَا يَشْقِنِي الْخَلْقَ جَمَّ غَفِيرُ
شَقَّ الْمَرَائِرَ إِرْبًا هَذَا الشَّقَاءَ الْمَرِيرُ
كَمْ لِلْمَعَاوِينَ جَارٌ مَنْ جَوَّسِهِ يَسْتَجِيرُ
يَرَى كَجَذْلَانَ حُرُوهُ الْأَسِيفُ الْأَسِيرُ
يَا لَاهِجِ الذِّكْرِ بِاسْمِي وَالْجَاهِدُونَ كَثِيرُ
لَا بَادَ فِينَا لَكَ إِسْمُولًا أَنْقَضَى لَكَ حَيْرُ
عَفْوًا فَإِنَّ يُرَاعَى عَيٌّ وَبَاعِي قَصِيرُ
عَفْوًا فَمَالِي جَنَاحِهِ إِلَيْكَ أَطِيرُ
لَأَقْفُوا أَثَرَ سِرِّي فَوْقَ الثَّرِيَا يَسِيرُ
نَفْحَتِي بِخَطَايَاكَ الرَّهْرِ وَهُوَ نَظِيرُ
فَهَلْ تُعَبِّرُ بِيَانَا لِرَدِّهِ هَلْتُعَبِّرُ
بَعِيَا الْفَرْزَدُقُ عَمَّا تَقُولُهُ وَجَرِيرُ
يَا وَاصِفَ الْخَيْرِ زِدْنِي مِنْ وَصْفِ مَا تَسْتَجِيرُ
يَدُقُ بَيْنَ صُلُوعِي قَلْبٌ كَسِفٌ كَسِيرُ
أَحْشَى عَلَيْهِ إِنْ تَكَا سَا وَالْإِنْ تَكَا سَ حَطِيرُ
صِفْ وَصْفَةً لِي أُخْرَى فِيهَا الشَّقَاءُ الْأَخِيرُ

ب . موضوع الرسالة:

هي رسالة شعرية كتبها الأستاذ محمد العيد آل خليفة جوابا على رسالة كان قد كتبها الشيخ البشير الإبراهيمي مستفسرا عن الحالة التي آل إليها الشاعر.

فهذه الرسالة هي تأوهات شاعر هجم اليأس عليه فخيم على روحه، ولم يعد يسمع سوى زفريات تتصاعد من فؤاد مكلوم و " الشعر إن لم يكن للإنسان كما يجب أن يكون مسؤولا في هذه الحياة فهو لغو وهواء وتدجيل " ² والشعر الذي لا يواكب الحالات النفسية للشاعر ولا يعبر عن آهاته وآلامه لا يغدو شعرا، وإن كان الأستاذ محمد العيد آل خليفة قد جنح إلى صوت عاطفته تقاذفها أمواج اليأس والقنوط وهو المعروف عنه بأنه " رجل ذا وقار وهيبة تعلق رأسه عمامة، لحيته مخضبة بالحناء، فقد كان ورعا في مظهره وسلوكه وكان يستلهم من خواطره وأفكاره من رصيده الديني... " ³ إلا أنه في هذه الرسالة يظهر الأستاذ محمد العيد آل خليفة شديد الحساسية، رقيق العاطفة، مرهف الشعور، يئن تحت وطأة الحنين، وكأنه يكتب هذه الرسالة بدم قلبه فيعزف ألحانا شجية، كما نجد نفسه الثائرة تنبض في كل بيت من أبياته بالصدق والإخلاص فيفتتح رسالته بسلام والتحية للشيخ الإبراهيمي ثم يخبره أن

1. الشهاب ، المجلد 12، السنة الثانية عشر، ج3، 1936، ص169-170.

2. العربي دحو، دراسات وبحوث في الأدب الجزائري، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، دط.دت، ص31.

3. عمارة حياة، الاتجاه الإصلاحية في شعر محمد العيد آل خليفة، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب

العربي، بإشراف محمد عباس ، جامعة تلمسان، 2001-2002، ص49

رسالته قد كانت بمثابة النور الذي يهدي الضالين أو كأنها قميص يوسف الذي رماه على أبيه فارتد بصيرا.

وهذا يدل على أن رسالة الشيخ الإبراهيمي للشاعر كانت بلسما شافيا، لذلك فهو يطلب منه المزيد من النصح والإرشاد للخروج من حالة اليأس التي كبل بها، لدرجة أنه يتمنى لو أن له جناحا فيطير إلى الشيخ الإبراهيمي ليأخذ منه النصح فكلماته دواء لكل داء وبيانه لا يضاهيه فيه أحد لذلك نجد الشاعر في آخر الرسالة يطلب من الشيخ البشير الإبراهيمي المزيد من النصائح لأن الألم واليأس قد أخذوا من قلبه كل مأخذ فأثمك ذلك جسمه وظهرت عليه علامات التعب والقنوط.

ويمكن أن نعتبر هذه الرسالة الشعرية من الشعر الذاتي للأستاذ محمد العيد آل خليفة هذا الشعر الذي هو " من أقوى وسائل التعبير الصادقة عن خبايا النفس ومكونات القلب، فإذا كان التعبير بالرسم والنحت والتصوير يمتاز بالعمق والتأثير فإن الكلمة المعبرة عن مدى الشعور وأبعاده هي الشعر النابع من أعماق النفس، الكاشف عما في الوجدان من حنين وشوق أو قلق أو حرمان"¹ فكيف إذا الشاعر هو محمد العيد آل خليفة المعروف عنه أنه شاعر مطبوع، يجري مع سليقة العربية في كل أشعاره، وقد اتخذ من هذه الرسالة وسيلة ليعبر بما عن تجربته الشعورية، وهي تجربة تجتمع و تتبادل فيها أحاسيس لا تحصى فهي " كل

¹. أبو القاسم سعد الله، محمد العيد آل خليفة، رائد الشعر الجزائري في العصر الحديث، دار المعارف، مصر، ط2،

وجداني متماسك متناسق تتبادل أجزائه للتعبير عنه فكل جزء دلالاته وهي دلالة ترتبط بالكل ارتباطاً عضوياً.. ليتم بها وبدلالات أخرى تصوير حالة وجدانية بجميع عناصرها"¹.

وقد اكتشف هذه الحالة الشيخ الإبراهيمي فكتب رسالة إلى الشاعر يستفسر عن هذا اليأس الذي يخنقه ويواسيه بكلماته، فما كان على الشاعر إلا أن أجاب بهذه الرسالة (القصيدة) ليستزيد النصح والإرشاد ويطفئ وهج هذا اليأس والقنوط بكلماته الشافية.

2. رسالة من الأستاذ محمد العيد آل إلى بشير كاشه.

أ. نص الرسالة:

ابني الروحي البار، الشاب المهدب، والكاتب البليغ والأديب البارع السيد بشير كاشه.

السلام عليك ورحمة الله وبركاته.

وبعد: فقد وردت على رسالتك البليغة الجامحة التي أعربت لي فيها عن أرائك السديدة، وأفكارك الموفقة حول قضيتنا الجزائرية العامة، وقضية الإتحاد بصفة خاصة، ومازالت صحيفة (المنار) الغراء توالي نشر الفتاوى فيها، ولا ريب عندي أن جزء المباحث المتسلسلة ستسفر عن رأي اجماعي قار، نأمل أن يكون فيه صالح الإسلام والعروبة والجزائر، فلنتنظر مع المنتظرين.

أما إقتراحك فيما يخص شخصي فأراك استسمنت ذا ورم... وعذرك واضح، وصدقك أوضح، ولكنه صوت من عشرة ملايين من الأصوات، وقد اكتفت الآن بالمشاركة في الاستفتاء نثرا

. شوقي ضيف، في النقد الأدبي، دار المعارف، القاهرة، ط9، دت، ص145.¹

ونظما وإني مترقب النتيجة، متفائل بما مع المتفائلين وقد وصلني عددان من صحفية (التحرير) العراقية وفي أحدهما مقالك القيم، وقد أطلعت عليه بعض الأدباء في قريننا فكانوا به جد مسرورين ومعجبين وقد تضاعف سروري بخبر نجاحك في الإمتحان الذي كتبتة في آخر سطر من رسالتك الصافية، وهو في نظري تاجها وإكليلها، فأهنئك وأهنئ رفاقك بهذا الفوز الباهر الذي أثلج صدري، وأطلق شعري فنظمت هذه الأبيات التي تجدها في الوجه الثاني من هذه الورقة:

هُوَ الْفَوْزُ لَا يُحْظَى بِهِ غَيْرَ صَابِرٍ طُمُوحٍ إِلَى نَيْلِ الْمَعَالِي مُتَابِرٍ

لَعْنُ نِلْتَفُورًا يَا بَشِيرُ فَإِنَّنِّي أَزُفُّ إِلَيْكَ الْيَوْمَ أَزْكَى الْبَشَائِرِ

أَتَانِي كِتَابٌ مِنْكَ بِالْفَوْزِ مُنْبِئًا رَأَكَ حَرِيًّا بِاعْتِلَاءِ الْمِنَابِرِ

رُزِقْتَ بَيَانًا كَالْحَضْمِ تَدْفُقُ نَبِيَّهُ لُجَجَ مِنْ وَحْيِكَ الْمَتَكَاتِرِ

لَكَ الشُّكْرُ مَعِي خَالِصًا وَلِبِعْثَةِ لَنَا شَرَّفَتْ فِي الْمَشْرِقِ قَدَرِ الْجَزَائِرِ

وَدُمْتُمْ جَمِيعًا لِلْجَزَائِرِ أَجْمَا تَنْبِيرُهَا طُرُقَ الْعُلَا وَالْمَفَاخِرِ

وتقبل في الختام تحيات راجي الخير لك ولزملائك جميعا.

عين مليلة 13 ذي الحجة 1373هـ.

محمد العيد بن محمد علي¹.

. بشير كاشهالفرحي، محمد العيد آل خليفة شاعر الجزائر والعروبة والإسلام، ص92، ص93.¹

ب . موضوع الرسالة:

هي رسالة ود ومحبة خالصة أرسلها الشاعر إلى تلميذه بشير كاشه عضو من أعضاء البعثة العراقية لجمعية العلماء، وقد كان هذا الأخير من المهتمين بالعمل الصحفي، لذلك نجده كان يرسل الشاعر محمد العيد آل خليفة ليطلع على المستجدات على الساحة الصحفية العراقية، كما كان يزوده بأعداد من الصحف العراقية كصحيفة التحرير، وفي هذه الرسالة التي بعثها الشاعر إلى تلميذ يشكر على اهتمامه، وعلى حرصه على موافاته بآخر الأخبار هناك وهذا دليل على أن صلة الأستاذ الشاعر بتلميذه كانت قوية ، وإن الشاعر قد اهتم بتكوين الرجال وإعدادهم للمهام النبيلة والأعمال الصعبة وهذا دليلاً آخر على " طهارة في قلبه و عزة نفسه والميل إلى البساطة والتواضع والنفور من الادعاء والتعقيد والتكبر"¹ فالشاعر محمد العيد آل الخليفة كان متأثراً في فكره وفنه بهؤلاء الأعلام الرواد الذين كان لهم الأثر في رصد مسار النهضة الوطنية وفي تربية الحركة الأدبية بوجه خاص، ومراسلة أحد تلاميذه ومناقشته في كل صغيرة وكبيرة خير دليل على ذلك ثم إنه كان يفرحه نجاح هؤلاء الطلبة الذين عمل على تكوينهم داخل الوطن، لذلك سره نجاح الأستاذ بشير كاشه ولم يجد ما يهديه إياه إلا هذه الأبيات الشعرية، التي يهنئه بها على فوزه بالهجر، وهذا كله لأنّ محمد العيد آل خليفة هو الشاعر المتواضع المسالم الذي أيقظ أينما حل من كان نائماً ونبه من كان غافلاً فأحس الجميع بضرورة التكتل والعمل المستقر داخل الجزائر وخارجها فقد عمل داخل الجزائر على

. بوقفة فنيحة، أدباء في الذاكرة، ص135.

تكوين: جيل من الشباب كان يرى فيهم ذخر الأمة" فهم سيروون عنه الشعر وسيجعل منهم
طلّائع تذود عن الوطن والإسلام والعروبة، وسيكون منهم الخطيب المصقع والأديب والشاعر
المبدع والزعيم المناضل"¹، فكان يسعده أن يتلقى أخبارهم المفرحة، ويشجعهم على انجازاتهم
العلمية التي ستفتح أمامهم كل الأبواب، فكان يهديهم من بنات قلبه أروع الأشعار مثلما
وجدناه في آخر الرسالة حين هنا بشير بهذه الأبيات وحتى يثبت الشاعر اهتمامه بتلاميذه
فبعد أن طبع ديوانه سنة 1967 "أبي إلا أن يخلد اسم تلميذه بشير كاشةالفرحي في هذا
الديوان العظيم"².

لقد كان الإهتمام بالعلم وطلّابه من الأولويات التي عملت جمعية العلماء المسلمين على
تحقيقها وتجسيدها على أرض الواقع، والشاعر محمد العيد آل خليفة هو ابن جمعية العلماء
المسلمين الجزائريين وشاعرها الذي لَوّن جريدة البصائر بأجمل المقاطع الشعرية التي جادت بها
قريحته في كل مناسبة، وقد سار على نهج هذه المبادئ وظل وفيها لها طيلة حياته.

3. رسالة من الشاعر محمد العيد آل خليفة إلى الشاعر صالح الخريفي:

أ- نص الرسالة:

بسم الله الرحمن الرحيم

. ابو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، ص38.¹

. بشير كاشةالفرحي، محمد العيد آل خليفة، شاعر الجزائر والعروبة والإسلام، ص94.²

جناب الأديب البارع والشاعر الحساس الأستاذ صالح الخرفي حفظه الله ولطف به، السلام عليك ورحمة الله وبركاته.

وإني أيها الإبن البار لشاكر لك برورك وإخلاصك لأدبي وحفاوتك بشعري، ولن أنسى لك وسعادة الوزير الأستاذ أحمد طالب، وإخوتك أعضاء اللجنة هذه اليد الطويلة التي بعثتم بها ديواني من مرقد، وإني لأشعر بتمام الإرتياح والغبطة وكل الإطمئنان عليه بعدما أصبح في هذا الطور التحضيري وبفضل حرصكم عليه ومساعدكم المحمودة يدنو مثوله للطبع يوماً بعد يوم

بسكرة 16 شعبان 1385هـ

محمد العيد محمد علي¹

ب . موضوع الرسالة:

لقد عاش الشاعر محمد العيد آل خليفة في كنف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، أين وجد منبرا حرا لقصائده يلقيها في المناسبات وفي اجتماعات الجمعية، كما كان ينشر قصائده في صحف الجمعية، والمتصفح لجريدة البصائر يجد في ركن حديقة الأدب قصائد لشاعر الشباب محمد العيد آل خليفة، وقد قُدر للشاعر أن يرى نور الحرية يسطع على أرض الجزائر، فعاش في هذه الفترة تراودها أمنية جمع أشعاره وطبعها في ديوان له¹ وقد حقق الله له هذه الأمنية على يد الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي وزير التربية الأسبق فتم طبع ديوانه ضمن

. صالح الخرفي، محمد العيد آل خليفة، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007، دط، ص 33.¹

منشورات وزارة التربية الوطنية بمطبعة البعث بقسنطينة سنة 1967 تكلفت به الشركة الوطنية للنشر والتوزيع تكريماً لهذا الشاعر الذي سخر موهبته الشعرية في خدمة وطنه الجزائر، ولغته العربية، والدين الإسلامي الحنيف¹ وكإعتراف بالجميل - كتب الشاعر محمد العيد آل خليفة هذه الرسالة إلى الشاعر صالح الخري، يشكره فيها على إخلاصه لأدب الشاعر، وحفاوته به ضمن اللجنة التي عملت من أجل طبع ديوانه، كما يشكر في هذه الرسالة السيد الوزير الأستاذ أحمد طالب على هذه المبادرة وهي جمع أشعار الشاعر و طبعها في ديوان، وقد رأى الشاعر عمل اللجنة وسره ذلك وتأكد أن عملية التحضير هذه ستجعل ديوانه يخرج في أبهى صورة.

وبعيداً عن هذه الرسالة فقد خص الشاعر محمد العيد، الأستاذ أحمد طالب الإبراهيمي بأبيات من شعره اعترافاً له بالجميل حتى أنه سماها: اعتراف بالجميل يقول فيها :

سَيَحْمَدُ دِيَوَانِي لِ (أَحْمَدُ طَالِبٍ بَدَا مِنْهُ طُوبَى قَدَمَتُهُ لِيَنْشُرَا

تَحْمَلُ أَعْبَاءَ الْوِزَارَةِ قَادِرًا فَأُورِدَ عَنْ رَأْيِي سَدِيدًا وَأَصْدَرَا

وَوَكَّلَ بِالْدِيَوَانِ أَكْفَا نُجْبَةً بِبَصْرَةٍ أَعْطَى بِهَا الْقَوْسَ مِنْ بَارَا


لَقَدْ أَدَجَّتْ وَالصِّدْقَ رَائِدَ رُكْبَتِهَا فَلَا رَيْبَ عِنْدَ الصُّبْحِ أَنْ تَحْمَلَا لِسْرًا².

. ينظر بشير كاشةالفرحي، محمد العيد آل خليفة شاعر الجزائر والعروبة والإسلام، ص 17.¹

. محمد العيد آل خليفة، الديوان، ص 587²

فهو يشكر الأستاذ أحمد طالب الإبراهيمي مبادرته في طبع الديوان كما يركي إختياره للجنة المكلفة بذلك والتي كان من بين أعضائها الشاعر صالح الخرفي الذي خصه هو الآخر بهذه الرسالة التي يشكره فيها، ويحي المجهودات التي تقوم بها هذه اللجنة، لأن " شعر محمد العيد وجمعه في ديوان، وطبعه ودراسته، ونقده، كلها بواكير من الأدب العربي في الجزائر"¹ من أجل ذلك عد الشاعر محمد العيد آل خليفة هذه المبادرة لفته طيبة من هؤلاء الأستاذة فوجب شكرهم على ذلك.

. أبو القسام سعد الله، محمد العيد آل خليفة، رائد الشعر الجزائري في العصر الحديث، ص 8.1



الفصل الثاني :
الخصائص الفنية للرسائل

الفصل الثاني: الخصائص الفنية للرسائل:

تعد الدراسة الفنية في النصوص الأدبية من الأمور المهمة لفهمها وللوقوف عليها بدقة ، لمعرفة مقاصد الكاتب وأهدافه ثم إن الدراسة الفنية لكوكبة من الأدباء يجمعهم تكتل واحد يعطي خصوصية لدراسة كون أن هؤلاء الأقطاب لكل منهم أسلوبه وطريقته في عرض أفكاره وإن توحدت الرؤى والتوجهات.

" فالحقيقة التي يعرفها كل احد أن هذه الحركة الأدبية ظهرت واضحة من يوم برزت جريدة (المنتقد) فمن اليوم ذلك عرفت الجزائر من أبنائها كتاب وشعراء ما كانت تعرفهم من قبل، ثم ظهرت بعد ذلك صحف أخرى تشجع المبادرات وتصقل الموهاب"¹.

وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين كانت قد حملت على عاتقها السير بهذا الجيل إلى ينابيع الثقافة العربية الأصيلة، وحثهم على الاقتداء بفضائل العصور الذهبية، وعدم الركون إلى السهل والضعيف كون ذلك لا يساعد على تفتيق الأذهان وتجويد الأساليب ، فقد كانت هذه الجمعية ترى أنه من واجبها نحو هذا الشباب " تربيته وتثقيفه وبعث روح القيم الفاضلة والانتماء في نفسه وإرشاده إلى القيم العظيمة في ديننا وأعراضنا ومجتمعنا، ودفعه بروح الأصالة والمعاصرة إلى العمل الشريف الجاد من أجل بناء الوطن وسيادته ونهضته"²، وهذا لا يكون إلا بتكوين الناشئة على الحس الأدبي والتذوق الجمالي والسير به نحو قيم الجمال والخير و" تنمية روح الإبداع الأدبي في نفوس الشبان ضرورة قومية ووطنية لأنّ عن طريق هذه التنمية تنمي فيه روح الأصالة وتتكون بها الشخصية ونستطيع أن نغرس فيه الطموح وحب

¹ . ينظر محمد، ناصر بوحجامأثر القرآن الكريم في الشعر الجزائري (1925-1976) المطبعة العربية الجزائر ، ط1، 1992، ص19.

. عبد المنعم خفاجي، عبقرية الإبداع أسبابه وظواهره ، ص11²

الفضائل والهيام بالعلم وعشق المعرفة والإلتزام بالمسؤولية وحب العمل والإستقامة وسلوك كل سبيل شريف" ¹.

وما أحوج الجزائر وهي تمر بأزمة خانقة أين حوّلها الاستعمار الفرنسي إلى جسد منهك يبحث عن روح قوية تُبعث فيه فتعيد له قوته وسلطانه وقد كانت جمعية العلماء هذه الروح التي تُبعث في هذا الجسد ليعث من مرقد من جديد، فبتمكينه من الإحاطة بتراثه الروحي والثقافي والأدبي، والوقوف به على عناصر أصالته كمجتمع عربي من أمة إسلامية تجعله قادر على خلق المعجزات. إنّ كتاب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين استطاعوا طبع عنصرهم الأدبي بطابعهم والتأثير في الناشئة بقوة أدبهم وبراعتهم في الكتابة، فنصوصهم الأدبية وخاصة- رسائلهم- تعد مظهرا قويا لميزات أدبهم وسماته وذلك كله بفضل الخصائص الفنية التي طبعت كتاباتهم وأولها الأسلوب.

. ينظر عبد المنعم خفاجي، عبقرية الإبداع أسبابه وظواهره ، ص 111

المبحث الأول: الأسلوب

يعتمد كل كاتب على طريقة معينة في الكتابة مزودة بذخيرة من المعارف العامة والخاصة، مما يجعل كل كاتب يتميز عن كاتب آخر فالأسلوب " ينقل شخصية صاحبه عليه من خلال تجربته ومعاناته ومعجمه اللغوي في كلماته وعباراته وصوره البيانية حتى تبرز تجربته الخاصة وطريقته في التفكير والتخيل وحمل صفة تلتقي عند غيره بكونه شاعرا أو ناثرا"¹

فالأسلوب النثري يختلف عن الأسلوب الشعري، وكل أديب له أن يغترف من المنبع الذي يراه ملائما لموهبته، متخذا أسلوبا خاصا به في عرض أفكاره وخلجات نفسه " فالأسلوب هو ذلك الجهد الذي يبذله الفنان من ذكائه وخياله في إيجاد الدقائق والعلائق والعبارات والصور في الأفكار والألفاظ"² ليختلق عملا يكتب له الخلود، ويحمل صاحبه على أجنحة السمو ليصبح سفير الكلمة الرائعة ويقدم أوراق اعتماده رسالة نبيلة من فكر لا ينضب إلى نفوس متعطشة إلى الكلمة الصادقة والمعبرة " فالأسلوب إذن " يدل على طريقة التعبير في الكتابة أو الكلام مثلما هناك طريقة في عمل أشياء معينة"³ وحتى يتمكن الأديب من عرض أفكاره وجب عليه امتلاك زاد معرفيا وأدوات بلاغية، وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين يعود لها الفضل، كونها لفتت الانتباه إلى أهمية العمل الأدبي وذلك بوصفه تمييز وهوية ولأن أسلوبها يرتفع عن الابتدال ولا ينقطع عن المجتمع ولا عن القراء، فالأسلوب " لوحة الإسقاط الكاشفة لمخبتات شخصية الإنسان، ما ظهر فيها في الخطاب وبطن، ما صرح به وما ضمن

¹. حميد آدم توبي، فن الأسلوب دراسة وتطبيق عبر العصور الأدبية، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2006، ص96.

². علي علي صبح، البناء الفني للصورة الادبية في الشعر، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، 1996، دط، ص22.

. حسن ناظم، الفن الاسلوبية، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2002، ص20.³

، فالأسلوب جسر إلى مقاصد صاحبه¹ والتعبير عن خلجات النفس ، ومضامين الأفكار، وقد كان هدف جمعية العلماء إيصال أفكارها إلى الجماهير المتعطشة إلى نبراس يضيء ليلها الحالك وسط ظلمات الإستعمار فكان عليها أن تتبع أسلوبا يصل إلى القلب والعقل معا لأنه " ليس في الكلام خطاب يتجه إلى العقل ولا يتصل بالعاطفة ، أو خطاب يتجه إلى العاطفة ولا يتصل بالعقل وكلّ خطاب للإنسان كلّه بعقله و عاطفته مع زيادة التفكير تارة وزيادة العطف تارة أخرى"² ، وإن كانت مخاطبة الوجدان هي من أبلغ المخاطبات فإن مخاطبة العقل يستلزم اتباع أسلوب معين، يستطيع أن يقرب صاحبه من القارئ ، ويجعله ينصهر معه في بوتقة واحدة، حتى يشعر هذا القارئ أن هذا الأديب قد عبر عنه في حين عجزت كلماته عن الإتيان ببيان مثل بيانه لأن لكل " أديب أو شاعر أو عالم أو باحث: أسلوبه الذي ينبغي أن يعتمد على التراكيب الرائعة في عبارات جميلة لها وقعها في دقة الأسلوب ونصاعته ، فضلا عن عملية الطرح وموضوعيته وسلامة التعبير وتمام آليته وطرائق الأفكار والآراء....."³، وأسلوب كتّاب جمعية العلماء المسلمين في كتابة رسائلهم ، أسلوب عذب مؤثر، لأنّه صادر عن كتاب جمعهم وحدة المصير، والهدف المشترك، فجاءت رسائلهم آية في الإبداع الخلاق الذي تنامي عبر الزمن لينقل للناس تجربة رجال حاولوا غرس القيم الأصلية ومعطياتها وتلوين الواقع الجزائري بها وهذا يتضح جليا في بناء رسائل هؤلاء الكتاب ، هذه البناء لذي لا يختلف عن بناء الرسالة في العصور الذهبية ، مما جعلهم يكيّفون هذا الأسلوب " تبعا لما يمتاز به كل أديب في عقله وشعوره وخلقته وثقافته ومذهبه في الحياة"⁴ لأن نزعتهم واحدة وثقافتهم منبعها واحد، ومذهبهم مشترك ثم إن من الضروري أن يلم الكاتب إماما يؤهله لكتابة الرسائل كونها صناعة معروفة وحرفة

1. محمد بن يحيى ، محاضرات في الأسلوبية ، مطبعة مزوار ، الجزائر ، ط1، 2010، ص71.

2. عباس محمود العقاد، بين الكتب والناس، ص569

3. حميد آدم تويني، فن الأسلوب، دراسة وتطبيق عبر العصور الأدبية، 71

4. ينظر أحمد الشايب الاسلوب، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط6، 1966، ص4122

مشهورة، وإنه لمن الضروري على كاتب الرسائل أن يتسلح بالأدوات المعرفية التي تؤهله لخوض غمار هذه التجربة الكتابية الشعورية التي عمادها دفء المشاعر وفيض الإحساس لأن " الأديب حين يعبر بصدق عن شخصيته ينتهي به الأمر إلى أسلوب أدبي ممتاز في طريقة التفكير والتعبير، هو أسلوبه المشتق من نفسه: من عقله وعواطفه وخياله ولغته"¹ فلعل أديب تجربته الخاصة لا يشركه فيها غيره فهي تصور مشاعره وأفكاره وفق حالته النفسية، بالإضافة إلى المؤثرات الخارجية والتي قد تعكس أثارها على أدبه، لذلك نجد كتاب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين قد صقلوا رسائلهم بالطابع العام للجزائر وخصوصيتها في الفترة الإستعمارية ونجد أن تلك الرسائل قد صورت الأوضاع الجزائرية حينذاك ونقلت صورة واضحة لأهداف الجمعية ويظهر ذلك في تلك المواضيع التي عالجها هؤلاء الكتاب في رسائلهم " فالأديب إذا تعمق في واقعة وديناه وأشياءها وحقائقها وأصبح له عالمه النفسي الواضح انقادت له نماذج فريدة تصور ثقافته ومعرفته بمجتمعه وبالحياة الإنسانية"²، وهذا ما حرص عليه كتاب الجمعية في رسائلهم، نقل الواقع الجزائري وانشغال الجماهير، مثلما نجد في رسالة الشيخ ابن باديس إلى الشيخ مبارك المليي والذي يشيد بكتابه العظيم تاريخ الجزائر و الذي يعتبر مفخرة للجزائر لأنه كتب بلغتهم العربية التي ما فتئت جمعية العلماء المسلمين تدافع عنها وتبني المدارس لأجل تعليمها وغرسها في النفوس والعقول. إن الظروف التي كانت تعيش فيها الجزائر آنذاك وهي محاطة باستعمار شرس هم الوحيد سلخ الشخصية العربية الجزائرية المسلمة والقضاء على الهوية الوطنية، جعلت من فن الترسل يتخذ منهجا آخر وبعدا سياسيا مستقصيا مواضيعه من الأوضاع السياسية السائدة في الجزائر آنذاك ومتخذة من هذا الفن مرآة تعكس أحاسيس هؤلاء الكتاب ومشاعرهم وسخطهم على الواقع المر الذي يتخبط فيه الشعب الجزائري لأن الأديب الحقيقي " لا يستطيع أن يعيش يوما منعزلا عن

. ينظر محمد بن يحيى ، محاضرات في الأسلوبية ، ص 72.

. شوقي ضيف ، في النقد الأدبي ، دار المعارف ، القاهرة، دت ، ط 9 ، ص 186 .

مجتمعه ومواقف الحياة فيه أو يدير نظره عنه وما يعاينه من أحداث¹ فبجانب الإهتمام التعليم العربي والذي أثير موضوعه في رسائل أقطاب الجمعية، نجد أن الإصلاح الديني كان من أهم القضايا التي شغلت هؤلاء الكتاب ووجهوا نحوها جهودهم ليتداركوا ما آلت إليه الأمة من انحراف في قواها الإيمانية ومن ذلك مثلا قضية فصل الدين الإسلامي عن الحكومة فجاءت رسائلهم معبرة " عما قصدوه ودعوا إليه في صدق اللهجة ووضوح الهدف والغرض ، والإيمان بالقصد المتوازن في الإرشاد إلى تقصي حقيقة الإنسان في واقعه بأسلوب مطلق لا ترسل فيه ولا اطناب"² ولم تكن الأوضاع السائدة آنذاك في الجزائر هي التي يبرق لأجلها لكتاب الجمعية وإن حازت على كل إهتمامات العلماء بل كان وطنهم هو المغرب العربي الكبير وكل ما مُس هذا القطر ينهض هؤلاء الشيوخ مدافعين عنه فقد أبرق الإبراهيمي إلى حكومة فرنسا في المغرب الأقصى منددا بالأعمال الشنيعة فيقول: " أعمال حكومتكم الاستعمارية في المغرب الأقصى أثارت غضب العالم الإسلامي كله على فرنسا وحركت فيهم روح الانتقام لأن كل ما تفعله حكومتهم ضد جلالة الملك السلطان يعد تعديا شنيعا على سلطة دينيه شرعية.... " ³ كما اعتبروا هؤلاء الكتاب أن كل القضايا التي تمس المسلمين عبر العالم هي قضيتهم فقد كتبوا عن فلسطين رسائل مطولة لأنّ في نظرهم أن الأدب هو " الذي يؤدي وظيفة اجتماعية تبني على المشاركة الوجدانية وتصوير البيئة والنهوض بها وحل مشكلاتها وربما عدّ ذلك وجهة نظر جديدة في جمال الأدب ، نتائج لوقائع سياسية"⁴ فالأدب الراقى هو الذي يصوّر الوقائع، ويسد حاجات الجماهير في النظرة العاطفية فنجده يوافق رغباتهم ويستجيب لأهداف التي سطرها والغايات المراد تحقيقها ، فكل " نص لا يحدث لذة في النفس ولامتاعا في الوجدان ، لا ينبغي أن يكون نصا أدبيا ، فالنصوص الأدبية

ينظر. شوقي ضيف، في النقد الأدبي ، ص193 .¹

. حميد آدم تويني، فن الأسلوب، ص62²

. البصائر، سلسلة2، العدد240، السنة السادسة، 1953³

. المرجع السابق ، 31 .⁴

هي التي تجعلك تستمتع بها كما تستمتع بأي فن من الفنون الجميلة"¹، ومن أقدر من كتاب جمعية العلماء المسلمين على نقل القارئ من حالة السكون إلى حالة الحركة، والتفاعل مع النص، وهم الذين كرسوا حياتهم للتوعية والنهوض بالأمة وتخليصها من براثن الجهل والفقر المادي والمعنوي وخلق أدب "يسمو في هدفه إلى الخير أو يدعوا إلى ترك ما يسيء بطبيعته هذه يرتبط بالسلوك الذي يتباين في هدفه تبعا لحياة الأديب وما يخضع له من ظروف"² خاصة إن كانت هذه الظروف قد أفرزها الاستعمار الغاشم فكان لابد من مجابهته التصدي له بالوسائل التي تتيح لهذا الشعب حماية النفس من الضياع، والذوبان في الكيان الإستعماري، ولذلك لا يتأتى إلا بالاستناد على الموروث الديني، ومحاولة غرس الأخلاق الفاضلة والعادات الحسنة ومحاولة محاكاة القدماء في رسائلهم وانتهاج نهجهم وتقليد أساليبهم في كتابة الرسائل وافتتاحها في أغلب الأحيان بالأبيات الشعرية، كرسالة العربي التبسي إلى الشيخ عبد الحميد بن باديس، والإطالة في مقدمة الرسالة وترصيعها بالسجع وذلك كله من أجل عرضها على الناس ليشاركوا في إدراك ذلك الحسن والشعور به والتذوق لذة ذلك الجمال وتنمية الذوق السليم الذي "هو هذا الإحساس الفطري الذي ينمو ويتهدب بالتربية، هو الشعاع اللطيف الذي يهدي صاحبه إلى أن يقول أو يفعل ما يناسب المقام ويجتنب ما لا يناسبه"³ فقد كان كتاب الجمعية يحرصون على تهذيب الملكات فهم كالشجرة الطيبة تضرب بجذورها في الأعماق البعيدة لتمتص كل ما هو صالح للنمو والتكوين ثم تسمو إلى أن تجاوز الفضاء وتتفرع بفروع مكتظة بالأوراق فيهرع إليها الناس ويستظلون بها من وهج الحياة وكذلك كان أدبهم قوي "هو ما يعني عناية كبرى بتثقيف أسلوبه وتقويمه، حتى يتسق، ويدل على المعنى المراد دلالة كاملة، وتلتئم كلماته

¹ - جعفر يايوش، أسئلة ورهانات الأدب الجزائري المعاصر، دار الأديب للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، ص 133-143.

² - حميد آدم تويني، فن الأسلوب، ص 31.

³ - عباس محمود العقاد، بين الكتب والناس، ص 422-423.

الثاماً تاماً يروق جوار بعضها إلى بعض فلا تلمح العين فيما بينها فجوة ولا نجوة، بل تراه كأنها قد نظمت فراد درره" ¹ لذلك عمد كتاب الجمعية إلى شحن رسائلهم بعناصر لغوية بغرض التأثير في القارئ، بالإضافة إلى ذلك سارت رسائلهم على وتيرة واحدة من انفعال حاد أوجدته الظروف والمواقف الكثيرة في حياة هؤلاء الكتاب ، كما أن رسائلهم تحمل خصائص تلك المرحلة، وتنقل لنا سعة ثقافتهم واطلاعهم، وتأثرهم بالأسلوب القرآني مع التجويد في الأسلوب حتى أننا نشعر أن هذا الأسلوب يقوى في مكان ويضعف في مكان آخر فأدب الرسائل في حد ذاته " قائم في عملية الكتابة وليس في عملية التفكير أو التصوير أو الإخبار أو الشعور" ² أما عاطفة هؤلاء الكتاب فقد لونت بالعاطفة القومية العربية الصادقة التي هي في اتصال دائم بالعاطفة الإنسانية التي تكره الظلم والاستعمار والاستغلال وتقصد إلى السلام وتنوّه به، وتريد إقامة علائق بين الشعوب على أساس المودة والإخاء والإحترام " فكل أسلوب هو صورة خاصة بصاحبه وطبيعة انفعالاته" ³ غير أن كتاب جمعية العلماء كان أسلوبهم موحد لأن تلك الحقبة من تاريخ الجزائر قد فرضت نوعاً معيناً من الرسائل التي تتميز بخاصية الوضوح والأسلوب المباشر لأن مهمهم الوحيد إيصال الفكرة بأبسط السبل وهذا يتضح من المواضيع التي عولجت في رسائلهم لأن " صاحب الأسلوب وبأي نوع من أنواعه وأشكاله هو الذي يحدد الفكرة التي يصوغ فيها عمله، والتي يفترض أن تكون واضحة ، جامعة لأفكار ذات قيمة علمية أو عاطفية ، تهتم بقدرات المتلقين وثقافتهم مع مستوياتهم الإدراكية أو ميولهم أو رغباتهم فضلاً عن الموضوعية في العرض والابتعاد عن النظرية الذاتية و مسايرة أو مغايرة السابقين أو المبدعين مع الاهتمام و ضبط قوانين وسيلة التعبير وفهم

1- أحمد أحمد بدوي، أسس النقد الأدبي عند العرب، نَهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر ، ط7، 2009، ص616.

2- عدنان بن ذريل، النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، 2000، ص76

. ينظر، أحمد الشايب ، الأسلوب ، ص134.3

قواعدها بشكل سليم...¹ فجاءت رسائلهم بأسلوب لا يكاد يخلو من الصور البيانية والبديعة والقوالب الموروثة ولكن لا يعدوه اللفظ الأنيق و حسن إختياره و هو أفيض طبعا و أمرن جانبا ، و أسلس إنقيادا من المسجوع ، يزداد قوة و مضاء بظهور شخصية كل واحد من هؤلاء و التي تظهر معتزة بوطنها وعروبته واسلاميته وعبروا عن ذلك في رسائلهم بأفكار متنوعة "فيها الفكرة العميقة التي تضرب هنا و هناك إلى أعماق التاريخ إنَّها مادة تصقل الطبع وتوسع الأفق ، و تستشرف الرؤى المستقبلية"² . لقد استطاعت جمعية العلماء المسلمين أن تنعش فن الترسل في النثر الجزائري تعيد له بهاء هورونقه ، ولانجانب الصواب إذ قلنا أن هذه الجمعية كانت بمثابة الغيث الذي نزل على أرض جدباء ، فأنبت الزرع و أعاد الحياة لها وقفز بفن الترسل قفزة نوعية في المضامين ، وأضحى نموذجا يحتذى به "فليس كل نموذج أدبي تفتح له كل أبواب الخلود إلا أن يكون متميز الرحيق ، بحيث نستطيع أن نعيش فيه ونهنا بقراءته لما يقدمه صاحبه لنا من طعم تتذوقه في لذة و متعة خالصة"³ . إنَّ جمعية العلماء المسلمين لم تحمل فقط لواء الاصلاح السياسي و الاجتماعي بل تجاوزت ذلك إلى الاصلاح الثقافي ، و أنعشت الحركة الأدبية في الجزائر ، واتخذت من الظروف الحالكة التي كانت يتخبط فيها الشعب الجزائري مواضيعا عامة لأدبها وربطت نصوصه بالواقع الذي أنتجه و بالثقافة التي تشكل بها فجاء أدبهم صورة حية و ناطقة عن الحياة في تلك الحقبة "فالأدب تعبير عن الأحاسيس و الخواطر النفسية و تصوير لواقع متحرك"⁴ . بالإضافة الى ذلك فان أسلوب الكتابة الرسائل عند أدباء الجمعية العلماء المسلمين الجزائريين لم يختلف عن كتابة الرسالة في القديم و أقصد بذلك البناء العام للرسالة فملاحظ أن رسائل هؤلاء الشيوخ سارت

1. حميد آدم تويني ، فن الأسلوب ، ص 69 .

2. محمد عبد المنعم خفاجي ، عبقرية الإبداع الأدبي ، أسبابه و ظواهره ، ص 10 .

3. شوقي ضيق ، في النقد الأدبي ، ص 185 .

4. المرجع السابق ، ص 10 .

على نهج القدماء في كتابة الرسائل ، فنلاحظ أن مقدمة الرسائل بدأت دائما بكتابة التاريخ ومكان الرسالة و ذلك لأن "الزمان و المكان ضروريان لفهم النص الأدبي فهما جيدا و لا غنى عنهما بأية حال من الأحوال"¹ ، ونجد كل الرسائل تقريبا يذكر فيها تاريخ الكتابة ومكانها و من ذلك مثلا رسالة الشيخ ميلي الى الأستاذ عبد القدوس الأنصاري ، جاء في فيها: " ميله في 20 من ذي القعدة سنة 1356هـ / 22 يناير سنة 1938 م"².

و ليس الشيخ مبارك المليي وحده الذي اتبع هذه الطريقة بل كل الرسائل قد أرخت وذكر فيها المكان الذي كتبت فيه " لأن المكان الذي يقيم فيه الكاتب ساعه ينشئ رسالته من المعلومات الهامة للغاية"³.

لقد كان كتاب الجمعية يدركون هذه الحقيقة فجاءت رسائلهم صورة حية تناسب العصر ومقتضياته، مع عمق في الرؤية و غزارة في المحصول المعرفي و تتبع أسلوب يدغدغ العقل قبل العاطفة واتباع "مجموعة من الألوان يصطنع بها الخطاب ليصل بفضلها إلى إقناع القارئ وامتناعه و شد انتباه و إثارة عواطفه"⁴.

فكان لا بدّ أن يكون هناك أرض صلبة تبني عليها رسائلهم و حقول معجمية خاصة بهم ، عمادها الألفاظ :

الألفاظ :

1. عبد المنعم خفاجي ، عبقرية الإبداع الأدبي ، ص 55.

2. أبو عبد الرحمن محمود ، أثار الشيخ مبارك المليي ، ص 272.

3. علي بن محمد ، النثر الأدبي الأندلسي في القرن الخامس ، ص 489.

4. عبد السلام المسدي ، الأسلوبية و الأسلوب (نحو البديل ألسني في النقد الأدب) الدار العربية للكتاب ، ليبيا تونس ،

1977 ، دط ، ص 79.

إن إختيار اللفظة المناسبة و حسن سبكها و نظمها يجعل التعبير راقيا ، فالألفاظ عندما تكون قريبة المنال أنيقة الديباجة و الكلام الجيّد ينال حظّه من عناية سامعيه و يبلغ مبلغا لا مثيل له " فاللغة هي الظاهرة الأولى في كلّ عمل فيه يستخدم الكلمة أداة التعبير ، هي أول شيء يصادفنا و هي النافذة التي من خلالها نطل و من خلالها نتنسم ، و هي المفتاح الذهبي الصغير الذي يفتح كلّ الأبواب و الجناح الناعم الذي ينقلنا إلى شتى الآفاق " ¹. فاختيار اللفظة الموحية و المناسبة من شأنه أن يخلق جوّا إبداعيا فذا ، والتعبير عن الفكرة هو أساس العمل الأدبي فإذا كانت "اللفظة مادة الأدب فإنّ كلّ عمل أدبي هو مجرد انتقاء ألفاظ بعينها من لغة ما و لكن الكلمة في العمل الأدبي لا تحمل معناها المعجمي ، بل هي مصدر لتلقى مترادفات و متجانسات لا تعتمد على معانيها فقط بل تختبر معاني كلمات أخرى تلتقي معها بالصوت أو المعنى المتجانس أو بالصيغة أو الاشتقاق أو حتى بأن تعارضها أو تنفيها "².

فاللفظة المناسبة و إن أحدثت في القلوب ما يحدثه الغيث في التربة فإنها كذلك لباس أو زيّ إذا أحسن تفصيله اختيرت ألوانه بدقة أحدثت لفتا للانبها واستقطاب النظر ، وقد تنبه أبو هلال العسكري إلى ذلك حين قال : " و تخير الألفاظ و ابدال بعضها من بعض يوجب التمام الكلام و هو من أحسن نعوته وأزين صفاته ... و كان جامعا للحسن بارعا في الفضل ، و إذا بلغ من ذلك أن تكون موارده تنبيك عن مصادره و أوله يكشف عن قناع آخره كان قد جمع نهاية الحسن و بلغ أعلى مراتب التمام... "³

¹ . عز الدين اسماعيل ، الشعر العربي المعاصر قضاياها و ظواهره الفنية و المعنوية القاهرة ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، دط ، 1967 ، ص 173 .

. حميد آدم التويني ، فن الأسلوب ، ص 96²

¹ . أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ، كتاب الصناعتين ، ص 159 .

و إختيار اللفظة المناسبة لا يكسب بالتعلم بل هو وليد الموهبة و الذوق الرفيع واحتكاك طويل و مراس دائم و صحبة ملازمة للكتب.

إنّجاح أي عمل أدبي « يكون بمدى تفاعل الألفاظ و تكاملها و تعاملها مع بعضها البعض، كما يكون مقياس نجاح العبارة الشعرية هو بمدى احتضانها الشحنات الوجدانية واستنفاذها للطاقتالشعورية، و إحتوائها للمضامين الفكرية التي تنطوي وراء الصور والظلال والأجراس و الإيقاعات "1.

إنّ التعبير عن أي كاتب هو كالأداء الجيدة الممتازة تبلغه ما يريد و تستجيب لجميع أغراضه مما لطفت ودقت.

و من هذا فإن إختيار الألفاظ المناسبة عند كتاب جمعية العلماء المسلمين وتدييح بها رسائلهم لم يكن قائما علاللفظ المعقد و لا مغرقا في الإكثارمن التكلف " فالألفاظ التي يختارها الأديب ، و النسق الذي يرتبها فيه ، عنصران أصيلان في تعبيره و في قيمة عمله الأدبي ، لأنهما و حدهما اللذان ينقلان إلينا كامل شعوره " 2، فقد حرص هؤلاء الكتاب على انتقاء ألفاظهم و حرصهم على التناسق بين الألفاظ و الملائمة ، و مشاكلة الكلمة لجارتها ، فنجد في رسائل ابن باديس "مثلا (الروح، إيمانك، الديني، الوفي، ماضيها، حاضرها صنت العلم، الدين، التاريخ، الخير، العمل الصالح...).

كلمات يعبر عنها ما يختلج في نفسه من غيرة على هذا الوطن وعرويته وإسلامه ثم " إن صدق إحساس الكاتب بمعاناة شعبه ورغبته الملحة في الاندماج في واقعه والتفاعل معه إن ذلك جعله يشق طريقه مجاهدا في كثير من مجالات الحياة ينشد العزة والرقي للدين والوطن

². يحياوي الطاهر ، البعد الفني و الفكري عند الشاعر مصطفى لغماري ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، د ط ،

1983 ، ص 79.

. السيد قطب ، النقد الأدبي ، أصوله و مناهجه ، دار الشروق ، بيروت ، د ط ، 1995 ، ص 45.

وللأمة فجاء نتاجه مضمونا وصورة ، يتسم بالقوة والسهولة والوضوح.....¹، فجعل رسائله تتميز بجزالة اللفظ وقوته ورقته وفصاحته " إن أي كاتب حين يكتب بألفاظ محملة بالمعاني موقرة بالأفكار مشحونة برسالة ما ، موجهة إلى المتلقين و إلا فأنى لها أن تكون كتابة خارج هذا التصور؟...²."

و غير بعيد عن الشيخ ابن باديس نجد الشيخ الإبراهيمي يختار ألفاظ رسائله من محضو له اللغوي وثقافته الواسعة ويعمد بتلك الألفاظ إلى الجنوح إلى الخيال الجميل كقوله (آيات الحزن، دلائل الهم، أحشاؤك، المعنى الدقيق ، اللفظ المعقد، النفس، الهيكل، الفؤاد، الزفرات....).

فهي ألفاظ تدور في فلك واحد ممثلة حاله النفس في تقلبها من الرضا والسخط والحب والكره والفرح والحزن كما أن هناك ألفاظ مشتركة في رسائل هؤلاء الكتاب العلماء مثلما تطالعنا الألفاظ التالية(الإسلام ، العلم ، الوطن، الجزائر، الاعداء، الحق ، القومية، الجهل ، محاربة التعصب، الإيمان.....) فهي ألفاظ متعددة المقاصد، مختلفة الأهداف لأن " الألفاظ في الكتابة هي الأساس والأصل، واللب والوجه، والسرّ في جمال الكتابة الأدبية إذ لم تكن المعاني إلا تبعا لها"³.

ومما يمكن الإشارة إليه أن هؤلاء الكتاب لم يسرفوا في توظيف الألفاظ الخطائية، وإنما كانوا يستعملونها باعتدال وبمنطق، وقد اختاروا منها ما يوافق تجربتهم ويصور شعورهم ، ومما

1 . محمد بن يسمينة، أسس مشروع النهضة عند الإمام عبد الحميد بن باديس ، ج2، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر، 2007، د.ط، ص237.

2 . عبد الملك مرتاض، الكتابة من الموقع العدم مسائلات حول نظرية الكتابة ، دار الغرب للنشر والتوزيع ، الجزائر، دط، دت، ص45.

3 . المرجع نفسه ، ص39.

يلاحظ أن الألفاظ في الرسائل الشعرية قد اختلفت عن الرسائل النثرية فقد نجد مثلا (سلام
زاك ، شوق، العبير، الأسير، اليأس ، الفؤاد، الشقاء...).

فهذه الألفاظ أصوات حروفها قوية ثم أن " اللفظ مطلوب فيه الجزالة والاستقامة والمشكلة
للمعنى ونشده اقتضائه للقافية...."¹ من أجل أن يتغلغل في الأعماق ويحرك النفوس وهذا لا
يتأتى إلا بحسن الترتيب وقوة التعبير، وبراعة العرض ، وتأنق في إختيار اللفظة الموحية الدالة
عن مكنونات النفس ونوازعها خاصة وإن كتابة الرسائل تستوجب الجنوح إلى القلم والجلوس
إليه لأن " البلاغة التي تكون بالقلم تكون بروية وفكرة وزمان متسع للاقتداء والتخيير
والضرب والإلحاق وإحالة الروية لإبدال الكلمة بالكلمة"².

فرسائل أدباء الجمعية قد أبانت عن شيء من الإستعداد والموهبة ففي هذه الرسائل أطلق
هؤلاء الكتابالعنان في التعبير عن ذواتهم دون استكراه لمعنى أو تحمل للفظ فهي تهدف إلى
امتناع العقل وتغذية الروح فجاءت ألفاظهم المستعملة مسبوكة سبكاغريبا واضحة المعنى
حتى أن المترسل " في جميع ألفاظه ومعانيه جاريا على سجيته، غير مستكره لطبيعته ، ولا
متكلف ما ليس في وسعه ولا يظن أن البلاغة إنما هي الإغراب في اللفظ والتعميق في
المعنى...."³ بل الدقة في استخدام الألفاظ الواضحة الدالة على معنى معين.

ومما يجدر ذكره أن ألفاظ الرسائل قد اختلفت من مقام إلى مقام فنجد مثلا في رسائل العتاب
حرارة العاطفة وحدة الشعور والألفاظ الرقيقة ، والمعاني الشريفة كرسالة الإبراهيمي ، إلى
الشاعر محمد العيد آل خليفة نجد الألفاظ الحانية:(ولدي،الروحي ،الأسى المبرح ، يا الله
للنفوس الشاعرة التعيسة..) ففي هذه الألفاظ نلمس روحا صافية، ونفسا متسامحة تحاول أن

¹ . العربي دحو ،دراسات وبحوث في الأدب الجزائري ،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ،دط ، دت ،ص10 .

. أحمد أحمد بدوي أسس النقد الأدبي عند العرب ، ص779²

. المرجع نفسه ، ص596³.

تبث آيات النجوى في نفس مكلومة، وتزرع بذور الأمل في روح يائسة " فالجمالية الحقيقة للفظ لا تأتي من كونه لفظ مفردا أو صدى صوت، بل من كونه جزء من تركيب ذي دلالة أو وحدة في مجموع كلمات يفيد معنى من المعاني"¹.

فجزالة الأسلوب ومثانتهاونصاعته وقوته تأتي من الألفاظ المختارة البعيدة عن التكلف ، فاللغة عند الكاتب وسيلة للتعبير وخلق صورة بديعة من الألوان البيانية حتى يصبح النص كائنا حيا ينبض بالحركة والحياة" فإذا كانت الكلمات المألوفة تستطيع أداء الأفكار العادية فإن المعاني العميقة القائمة على التحليل الدقيق والملاحظة البعيدة، لا بد لها من الألفاظ وصور أخرى تلائمها ولو كانت غير عادية....."² زد على ذلك الصدق في التعبير والذي لا يتأتى إلا باختيار اللفظة المعبرة ومن ثم الإخلاص في تصوير ما في النفس من فكرة واضحة. لأن الألفاظ المنتقاة بعناية قد تخدم التجربة الشعورية لدى الأديب فنستطيع أن يدرك من خلالها مدى تفاعل هذا الأديب مع الواقع فمثلا رسالة مبارك المليي إلى أحد تلامذته يحثه على طلب العلم فنجد الألفاظ الدالة على ذلك (تقدير العلم..... قيمة العلم.....الانقياد للحق، حمل الناس عليه، أهل البشاشة ...) وهذا دليل على بروز في الذوق والعاطفة مما يقيد " الألفاظ في مسaire الرموز التي تليق بالوجدان والنوازع والميول والدوافع....."³.

ثم إن النص لا يملكه أن يفصله عن الواقع والظروف التي كتبت فيه، ورسائل أدباء الجمعية هي نتاج قريحتهم وابداع فكرهم وإنشاء ذوقهم وتصويرهم لواقع الجزائر آنذاك ففي هذه الرسائل نجد المواضيع التي تفوح منها تلك الانشغالات التي أسست لأجلها الجمعية وهي

1. عيسى علي، العاكوب، التفكير النقدي عند العرب، دار الفكر بيروت، ط7، 1997، ص305.

2. أحمد الشايب، الأسلوب، ص187.

3. حميد آدم توني، فن الأسلوب، ص96.

نشر العلم وتطهير الإسلام من البدع والخرافات التي ألصقت به ، فهذه الرسائل سايرت الواقع الجزائري، وكانت دعوة ملحة إلى النهضة والأخذ بأسباب التقدم أو الرقي.

فاللغة التي كتبت بها تلك الرسائل هي لغة " عربية فصيحة بليغة، وهذا هو الهدف المتوخى في ذلك الجهد الأدبي... والشعري وهو المحافظة على اللغة العربية التي حاول الاستعمار طمسها وإغائها في جميع المجالات"¹.

فقد كان زعيم هذه الجمعية الشيخ عبد الحميد بن باديس " متمكن في لغته وبليغ في أسلوبه، وغير متصنع ، بل لغته سهلة فصيحة وخطابه مباشر"² فيألى جانب عمله الإصلاحى فهو أديب متعمق في مختلف المجالات الأدبية وهذا يتضح في رسائله والتي امتازت بسلامة في الأسلوب وعدوبة في التعبير ، وقوة في البلاغة بالإضافة إلى شدة تمكنه من اللغة ومعانيها وإحاطته بأسرارها " فالقوة صفة نفسية تنبع أول أمرها من نفس الأديب الذي يجب أن يكون متأثرا منفعلًا.... وهي لذلك صفة العاطفة والإرادة والأخلاق..."³ لذلك نجد في رسائل هؤلاء الكتاب العلماء أرواحهم سارية في أساليبهم تحيا فيه وتغذي العقل والشعور لأنها، تمتاز بالبساطة في صوغ العبارات والابتعاد عن التعقيد مع الاحتفاظ بسموها وقوتها.

فتكرار الألفاظ في رسائل الأدباء العلماء (كالحب، الشوق، بعد الدار، شط المزار، غربة....)

هذه الألفاظ تعبر عن حالات شعورية في زمن واحد وبؤرة واحدة لكن هؤلاء الكتاب استعانوا بالمعجم الوجداني " وهو معجم غنائي ذاتي يسعى إلى تدوير الموضوع وطبعه

¹ . عقلية حسن، جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في خدمة الحديث الشريف، دار الوعي ، الجزائر، ط1،

2012، ص91.

. المرجع نفسه، ص88.²

. أحمد الشايب، الأسلوب، ص194.³

بسمات وجدانية واضحة تقوم على دوال لفظية، رقيقة ناعمة ، تنفذ إلى وجدان المتلقي بصورة حدسية، بحكم قربها من ذاته ومعايشته الذاتية لها"¹

ولو تأملنا جيدا في حياة هؤلاء الرواد من جمعية العلماء لوجدنا أن حياتهم كانت لوحة زاخرة من النضال والكفاح وما ينجر عنه من متاعب كالسجن والنفي والبعد عن الديار وهذه الحالات كلها تؤجج العواطف وتلهبها وتجعل صاحبها كتلة من الأحاسيس فأصبح أسلوبهم في رسائلهم " قادرا على الإفصاح عن مكنونات النفس، وخوالج الوجدان وهزات المشاعر ونبضات القلوب"² مما أعطى رسائلهم لونا مميزا ومذاقا خاصا، إنهم يختارون صورا ويصنعونها في إطار من الألفاظ تتناسب وأثر الانفعال الذي يحسون به، وحتى تؤدي هذه الرسائل الدور المراد لها، اختيرت لها الألفاظ المناسبة وحليت هذه الألفاظ بالمحسنات وأولها:

الإيقاع:

إن كان الشعر يتميز بجماليات الصوت تزينهاالقافية وحرف الروي فإن النثر يوظف هذا الصوت عن طريق التموج والتنوع الموسيقي لأن الموسيقى ليست حكرا على النصوص الشعرية فهناك النثر الفني الذي يتخلله إيقاعا مؤثرا فيصبح أقرب من الشعر" فالكلمة الشعرية هي الكلمة التي تعيش بيننا في بيوتنا"³، وحواسنا ومفاهيمنا لا اللغة المدفونة في أحشاء القاموس، وفن الترسل يعتمد في الأساس على الكلام المسجع الشعري لأنه " فن

¹ . يوسف وغليسي، في ظلال النصوص، تأملات نقدية في كتابات جزائرية، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2009، ص9.

. ينظر محمد، عبد المنعم خفاجي، عبقرية الإبداع الأدبي، ص57.²

. العربي، دحو دراسات في بحوث في الأدب الجزائري، ص14.³

إنشائي ايجائي ينتج عن هذه القطع الممتازة التي تظفر منها بصدق الشعور وحسن التفكير والتعبير"¹ .

ثم إن " الإيقاع في النثر مظهر لقوة العبارة وجمالها والموسيقى التي يحدثها تناسق الألفاظ وانسجامها مصدرها عاطفة الكاتب القوية وتفاعله مع الأحداث لتخلق صورة لموسيقى النفس فتعكس على إنتاجه الأدبي لأن " ارتباط الحركة الإيقاعية للصورة داخل العمل الفني مرتبط ارتباطا وثيقا بالموقف الوجداني للكاتب"²، وتعطيه قوة خارقة تمكنه من التغلغل داخل أعماق متلقيه فيستجيبون له، ويتفاعلون معه، وهذا الحس الجمالي في إيقاع الكلمات في النثر هو ميزة خصت بها لغتنا العربية"فانسجام الحروف وحلاوة جرسها وائتلاف الكلمات وتلائم فقرها وإيقاعها، فتطول الجملة وتقصر طوعا لحركة الفكر وحالة العاطفة "³، من شأنه أن يخلق لذة شعورية في الحركة النفسية الإيقاعية للكلمات ومقاطعها.

لقد حرصت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على خدمة اللغة العربية الفصحى ونشرها في الأوساط الشعبية لذلك نجد أن إنتاج هؤلاء الأدباء لا يخلوا من هذه الخاصية في اللغة لأن " اللغة الفصحى لا تقف عند مجرد توصيل المعنى بل تهتم بتجميل العبارة عن طريق العاطفة الصادقة والموسيقى المؤثرة في النفوس بإيقاعها الذي يهز مشاعر القراء..."⁴

وقد طبعت هذه الخاصية رسائلهم فنجد الإيقاعات المختلفة للكلمات:

بعد الدار شط الهزار

1. أحمد الشايب، الأسوب، ص14

2. ابتسام أحمد حمدان، الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي، تح: أحمد عبد الله فهدود، دار القلم

العربي، سوريا ط1، 1997، ص260.

3. عبد الكريم إبراهيم دوحان البنائي، تاريخ الخطابة العربية إلى القرن الثاني هجري، ص288.

4. محمد محمد الباكير البرازي، تحليل النص الأدبي بين النظرية والتطبيق، الوراق للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2005،

كلب الزمان غربة الإيمان

في رسالة الشيخ العربي التبسي إلى الشيخين أبي اليقظان والشيخ البيوض نجد هذه المقدمة وكأنها مطلع لقصيدة من الشعر الحر.

فالكاتب هو " الذي يحل محل الشاعر بامتياز هو الذي يكتب بلغة عالية وقدرة خارقة وبتفاعل عبقري مع اللغة وبراعة فائقة في نسج نسوجها وبالتصرف في مصارف تجلياتها"¹ فهذا الشيخ الإبراهيمي وهو يواسي الشيخ محمد العيد آل خليفة يقرع أجراس الكلمات في تلاحق لاهث:

قرأت في وجهك

تلمحت في قسماتك

ثم يتساءل في حيرة واستغراب:

ما لهذه النفس الكبيرة في الهيكل الصغير؟ هذا التساؤل الذي يعطي للرسالة خصوصية منفردة ويجعله يغوص في أعماقه ليستجلي الحقيقة هو " حركة بنائية تعبر عن واقع نفسي أو فكري ينم عن اللبس والحيرة.... وهو يبعد التجربة عن السرد والملل والرتابة"² وكثيرا ما نجد هذه التساؤلات في رسائل كتاب الجمعية لأنه تمنحها إيقاعا خاصا تنظم كلماته بحيث تقيم أساسا عاطفيا من نوع ما " فالإيقاع و الموسيقى ينساب إلى النفس ويغمرها بشعور خاص قبل أن ينتبه الوعي إلى معنى الألفاظ والسياق"³.

. عبد الملك مرتاض، الكاتبة من موقع العدم، ص55¹

. إيليا الحاوي، إيليا أبو ماضي شاعر التساؤل والتفؤل، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط3، ص138.²

. سيد قطب، النقد الأدبي أصوله مناهجه، ص74.³

إن الموسيقى في النثر والتي تعتمد على تشعير الكلمة ليست رهينة فقط للسجع والإزدواج ، بل قد تكون إحساسا يعبر به الكاتب عن عواطفه ، فكثيرا من رسائل أدباء الجمعية لا نجد لها مسجوعه ولا فيها إزدواجا فيها لكن هناك إيقاع خفي أوجدته عاطفة الكاتب الصادقة ورهافة إحساسه بمعاناة شعبه، فتوفرت رسائلهم على سلاسة وتناغم موسيقى رائع كرسالة الشيخ ابن باديس إلى الأستاذ فضيلا لورتلاني.

لقد اعتمد كتاب الجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في انتاجهم الترسلية على الجدية في طرح مواضيعهم وذلك بأسلوب سهل العبارة، سليم اللغة، خالي من الألفاظ المهجورة، وحتى العبارات المسجوعة تأتي عفوية فلا تتقل السمع، كما اعتمدوا على تقصير العبارة وتجريدها من التنميق والحشو حتى يكون اللفظ على قدر المعنى وكنموذج لذلك خاتمة رسالة الشيخ العربي التبسي إلى الشيخ أبي اليقظان التي يقول فيها " إن مصيبتنا ستكون أنكى إن نحن لم نثبت على ما أمر به الإسلام من نشر العلم ومحاربة التعصب في محيط النظام ونطاق التضامن المشروع"¹، فألفاظ الرسالة بعيدة عن التكلف ، حرة من أغلال البديع، نقية الأسلوب، بعيدة عن الابتذال ، وملائمة للذوق الجديد والميول الجديدة ثم إن " الرصيد المدخر من الألفاظ وصورها وظلالها وإيقاعها في الذاكرة ، أو في ما وراء الوعي قد انطلق متناسقا متناعما مع الانفعال الشعوري بالتجربة الحاضرة ، وقد تم في هذه الحالة الفذة أن تشع الألفاظ أكبر شحنة من صورها وظلالها وإيقاعاتها "².

فالأديب الموهوب يأتي إنتاجه مطبوع لا كلفة فيه، له القدرة التعبير مما يضيف نصيبا من الشاعرية والملكة الفنية على إنتاجه " فإذا وجب لمعنى أن يكون أولا في نفس وجب اللفظ الدال عليه أن يكون مثله في النطق كما أن العلم بمواقع المعاني في النفس علم بمواقع الألفاظ

¹ . مجلة الموافقات العدد الخامس، السنة الخامسة، جوان 1996، ص 514

. سيد قطب، النقد الأدبي أصوله ومناهجه ، ص 39²

الدالة عليها في النطق"¹ كقول الشيخ الإبراهيمي وهو يواسي الشاعر محمد العيد آل خليفة ما لهذه النفس الكبير في هذا الهيكل الصغير فهو يحاول أن يقرب صورة بتجانس لفظي تطرب له الأذن وتهتز له أوتار القلب، فهذه التقابل بين الكبير والصغير هو تقابل وحدات معنوية مع وحدات معنوية لأن الكبير يتناسب مع الصغير ثم أن "مقابلة الشيء بضده يكون أمره أبين وكونه معنويا أجلى وأظهر ولا يكون إلا في المعنى"² ثم إن "الإيقاع ليس بالضرورة في الميزان العروضي وإنما هو مجرد مظهر صوتي يقوم على إلتماس شيء من الإنسجام النغمي بين الألفاظ داخل جملتين متجاورتين أو قل داخل جملة واحدة بين لفظتين اثنتين متجاورتين أو أكثر"³.

إن الإيقاع الخارجي في رسائل كتاب جمعية العلماء يظهر جليا فيالنسيج الأسلوبي كقولهم:

مملكة الآمال جو الخيال

ال ال

القبول المأمول

ل ل

خطابه كتابه

بهبه

1 . أحمد عبد السيد الصاوي، النقد التحليلي عند عبد القاهر الجرجاني، دراسة مقارنة، الهيئة العامة للنشر والتوزيع

الاسكندرية، 1999، دط، ص240.

2 . أحمد على دهمان، الصورة البلاغية عند عبد القاهر جرجاني منهجاو تطبيقا، ج2، دار طلاس، دمشق، ط1،

1986، ص507.

3 . ينظر عبد الملك مرتاض، الأدب الجزائري القديم دراسة في الجذور، دار هومة، الجزائر، دط، 2001. ص102

إن هذا التقسيم المنسج بين الكلمات و العبارات المتوازية يضيف على الرسائل مسحة جمالية حافلة بالأنغام الموسيقية وكأنها سنفونية رائعة.

و أسلوب رسائل جمعية العلماء يعتمد في الأساس على جمال العبارة ورسائتها والإكثار من التقطيع في العمل، مما يعطي للرسائل إيقاعاً صوتياً ثمرته إنتخاب الألفاظ الرشيقة، " فوظيفة التعبير في الأدب لا تنتهي عند الدلالة المعنوية للألفاظ والعبارات بل تضاف إلى هذه الدلالة مؤثرات أخرى يكتمل بها الأداء الفني وهي جزء أصيل من التعبير الأدبي، هذه المؤثرات هي الإيقاع الموسيقي للكلمات والعبارات والصور والظلال التي يشعها اللفظ وتشعها العبارات الزائدة على المعنى، ثم طريقة تناول الموضوع والسير فيه، أي الأسلوب الذي تعرض به التجارب وتنسق على أساسه الكلمات والعبارات"¹، مع وجود تعادل في الفقرات والجمل على نحو السجع مع عدم التقيد بالسجع نحو قول الشيخ العقبي في رسالته إلى الأستاذ أحمد توفيق المدني(.. أخذت كتابك الكبير، الذي به المقال العظيم) فيبينكلمتي: (الكبير والعظيم) انسجاماً فنياً يهدف إلى التأثير في المتلقي وتوجيهه بقدره فائقة " فترتيب المعاني في الذهن هو الذي يقتضي ترتيب الألفاظ في العبارة وأن اللفظ لا مزية في ذاته وإنما مزيته في تناسق معناه مع اللفظ الذي يجاوره... أي تنسيق الكلمات والمعاني مجتمعة وأن الجمال الفني رهين بحسن التنسيق"²، من أجل ذلك رصع هؤلاء الكتاب رسائلهم بشتى أنواع البديع وإن جاء في بعض الأحيان عفويا، ومن أهم هذه الخصائص التي زركش بها هؤلاء الكتاب رسائلهم:

السجع: وهو من الألوان البلاغية ويعرفه ابن الأثير بقوله: " هو تواطؤ الفواصل في الكلام المذكور على حرف واحد أو على حرفين متقاربين أو حروف متقاربة وهو يقع

. سيد قطب، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، ص 34.¹

. المرجع نفسه، ص 130.²

في الشعر كما يقع في النشر" ¹، والكتابة الجيدة تحتاج دائما إلى أدوات تزيينها لأن " أجناس الكلام المنظوم (ثلاث : الرسائل ، والخطب، والشعر وجميعها تحتاج إلى حسن التأليف وجودة التركيب... وحسن التأليف يزيد المعنوضوحا وشرحا" ². وقد حوت رسائل كتاب جمعية العلماء الكثير من السجع غير أن هذا السجع لم يكن عن قصد وتكلف ، بل جاء لزاما لسجية الطبع فإن كان " التسجيع شرطا من شروط الترسل وهو من ثمار التألق لما يقتضيه من العناية في اتقانه كون الرسالة المسجعة يظهر فيها التألق أكثر من غير المسجعة، وتدل من جهة أخرى على تفرغ صاحبها للتنميق وذلك لا يكون إلا في الرخاء" ³ ، ورغم الظروف الصعبة التي كان يعيشها كتاب الجمعية ولم يكن فيها هذا الرخاء وهذا التألق رغم ذلك فإن محصولهم المعرفي الكبير وثقافتهم العربية الأصلية جعلتهم يعرفون من التراث شتى أنواع البديع ويزركشون بها رسائلهم فهذا السجع يجري في كلامهم عن طبع مصقول وموهبة أخاذة، فهذا زعيمهم الشيخ عبد الحميد بن باديس وهو يجلس للكتابة للشيخ الطاهر لعبيدي قد رضع رسالته، بأنواع البديع وكل عبارة كأنها حاكتها أو قل صبتها في قلبها يد صناع، فقد حليت بالسجع وكل العبارات كأنها حلي مختارة سواء في اصطفاء الألفاظ وتوشيتها بالسجع (الأسحار، التذكار، الازدهار، خطابة ، عتابه) فهي مفعمة بالعواطف الصادقة ومرصعة بجواهر الألفاظ البليغة وذلك لأن " من أوصاف البلاغة السجع في موضعه وعند سماحة القريحة به وأن يكون في بعض الكلام لا في جميعه " ⁴ وهذا ما نلاحظه في رسائل هؤلاء الكتاب فقد نجد في الرسالة الواحدة سجتين على الأكثر كرسالة الإبراهيمي للشيخ أحمد توفيق المدني في قوله

¹ . ضياء الدين نصر الله بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم ابن الاثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1998، ص190.

² . أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ، كتاب الصناعتين ، ص179.

³ المرجع نفسه هلال ، ص 180 .

⁴ . محمد كرد علي ، أمراء البيان ، ج1 ، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر ، القاهرة ، ط2 ، 1984، ص 30 .

(غاض ، فاض ، الحياض، الرياض) رغم أن الشيخ الإبراهيمي معروف عنه الكلام المسجوع بكثرة فقد كان " السجع بالقياس الإبراهيمي كالأداة الشعرية للتعبير القوي عن أحوال الألم والأسى وأحوال العنف والغضب وأحوال الود والتودد جميعاً"¹ إلا أنه في بعض رسائله نجد أن هناك اعتدالا في السجع لأن "الأصل في السجع إنما هو الاعتدال في مقاطع الكلام، والاعتدال مطلوب في جميع الأشياء والنفس تميل إليه بالطبع"⁴

كذلك نجد الشيخ مبارك الملي في رسالته إلى الأستاذ أحمد توفيق المدني لا يكثر من السجع (القصير أو الكبير)، وأن جنح هؤلاء الكتاب إلى السجع نجده في مقدمات رسائلهم فقط.

فالسجع خصيصة أسلوبية صاحبت النشر منذ القديم وساعدت على رسوخ الكلام في الذاكرة وعلوقه بها، وأكسب صاحبه ملكة راسخة في الذهن (فابن خلدون يرى أن الملكة الشعرية تنشأ بحفظ الشعر وملكة الكتابة بحفظ الأسجاع والترسل "².

لقد جاءت رسائل هؤلاء الكتاب أبعد ما تكون عن الصنعة ، ألفاظها مألوفة في غير ابتذال فقد جاءت عفوية لا تكلف فيها ثم إن تبادل الوظائف بين الشعر والنثر كان من ثمرة المبدعين وبلاغتهم التي تهز النفس وتملأ الفؤاد روعة وجمالا.

وإن كان الشعر في تعريفه العام هو الكلام الموزون المقفى فإن " القافية تكون في النثر وإن لم تكف لازمة، ولذلك في الكلام المسجوع حيث تتوارد القوافي على حرف واحد مع الإعتدال في مقاطع الكلام"³ فنجد ألفاظا مسجوعه في رسائل كتاب الجمعية:

فهمك فضلك

¹. فنون النثر الأدبي في الجزائر ، ص 245 .

. ينظر رمزي النجار، الفلسفة العربية عبر التاريخ، دار الأفاق الجديدة، بيروت، 2، 1979، ص 244

. أحمد الشايب، الأسلوب، ص 67.³

فهذه الكلمات كل منها تنتهي بنفس الحرف مما يعطي نغما خاصا داخل الرسائل، مما يجعل القارئ متتبعا " فيعرف كيف يقرأ النص الأدبي وكيف يتعشق نسجه ولغته وإيقاعه وحيزه الممتد بين السطور.... وعبر الصفحات...." ¹.

ثم إن هذا النسيج الأدبي الذي يأتي دون تكلف من هؤلاء الكتاب يدل على أن كل واحد منهم قد خبر أسرار اللغة العربية، فتفنن في آدابها، وأصبح أدبه طابعا مميزا يسمو إلى الأدب الرفيع الذي عماده سبك الألفاظ وحبك المعاني .

وهذا يكسب الكلام مع معانيه الجديدة لونا موسيقيا تتهز له القلوب عند سماعه " فمن عبقرية اللغة العربية أنها تضيف من دلالتها مقاصد كثيرة فهناك موسيقى داخلية ناشئة من طبيعة توالي الحروف ومخارجها" ²، وكتاب جمعية العلماء بحكم غوصهم في أغوار اللغة العربية والوقوف على كنوزها استطاعوا أن يمزقوا تلك الشرنقة التي حيكت حول فن الترسل وينزعوا عنه ثوبه القديم لأن الأدب في حد ذاته " ليس دودة الحرير التي تنسج حول نفسها قبرا ترقد فيه، بل هو لوحة حساسة يرتسم عليها ما يحيط من مؤثرات فتمتزج بنفسه ثم تظهر للناس رسومات ذات روعة وتأثير" ³

1. عبد الملك مرتاض، الكتابة من موقع العدم، ص 101.

2. سيد قطب، النقد الأدبي ، أصوله ومناهجه ، ص 69.

3. أنيس المقدسي ، الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث ، دار العلم للملايين ، بيروت ، دط ، 1973 ، ص

لقد أضحى فن الترسل عند أدباء الجمعية صورة ناطقة لعصرهم وذلك في المواضيع التي تطرق إليها هؤلاء الأدباء فأصبح فنا قائما بذاته ينقل المشاعر الإنسانية، ويعبر عن الواقع بألفاظ تنقل السامع من اللغة العادية إلى لغة موسيقية جاءت متوافقة لموسيقى الأفكار.

كما نلاحظ إطلالة خفية لموسيقى داخلية وهي " انسجام الحروف ضمن الكلمة الواحدة عندما يساعد مخارجها وتأتلف في صفاتها وتنتج من تناسق الكلمات ضمن الجملة العربية الواحدة"¹ وهذا ما نجده في رسالة الشيخ ابن باديس في كلماته (درسه... طمسه... أنسه... غرسه....)

فكل لفظة تحوي على أربع مقاطع صوتية تحتوي على حركة وساكن و على نفس الوزن مما يجعلها متناغمة الجرس، وكأننا نحس بالصوت لا من حيث هو صوت صرف، ولكن من خلال المعنى الذي ينشده.

فإختيار اللفظة المناسبة" وسيلة من الوسائل المعرفية لدى الأديب تمكنه من اقتناء الألفاظ ذات الجرس الموسيقي اللطيف ... لتأديته وظيفته التأثيرية"² وإختيار مثل هذه الألفاظ يعطي للرسالة نكهة خاصة، ومذاقا مميزا، خاصة ونحن نلاحظ بروز حرف السين والذي هو من الحروف التي تزين اللغة العربية وتعطيها وقعا تستسيغه الأذن وتطرب له وتصل به إلى قمة شاعريته " فليس هناك كلمة شعرية وأخرى غير شعرية وإنما هناك أساس تشعير للكلمات المستخدمة"³ فتشعير اللفظة تصاحبه الطاقة التصويرية للفظتها نفسها والغاية المتوخاة من تخير اللفظة على هذا الأساس تتمثل في محاولة التأثير النفسي ليتمكن القارئ من معايشة ملابسات الصورة التي يرسمها له، والانسجام الموسيقي الذي تحدثه الفواصل المتساوية

1. محمد محمد الباكر البرازي، تحليل النص الأدبي بين النظرية والتطبيق ص 49.

2. ابراهيم صدقة، النص الأدبي في التراث النقدي والبلاغي ، عالم الكتب الحديث، الأردن، دط، 2011، ص 117.

3. صلاح فضل، النظرية البنائية في النقد الأدبي مكتبة الأنجلو، القاهرة، ط2، 1980، ص 399.

والمتشابه على أذن السامع فيتعطش لأن يزيد من هذا المورد " إن إختيار الألفاظ وتنسيقها لا يتم بإرادة كاملة الصحو إنما تقفز الألفاظ و العبارات و تتناسق و تتناغم كأنها تصنع ذلك بدون اختيار"¹ والعمل الأدبي إن كان ترسلا قد يستفيد هو الآخر من الإيقاع الموسيقي إذا أحسن توظيفه ، فهو بناء لغوي يتضمن إمكانات صوتية هائلة، والأديب البارع هو الذي يحسن استغلال هذه الإمكانيات فيطبعها بطابعه ويصقلها بموهبته.

إن الأديب الحقيقي هو الذي " يعرف من ألحان الوجود وأسراره وقواه الكامنة ما لا نعرف أو قل يتلقى من دخائله وحقائمه ما لا نتلقاه ... وكأنما يرفع الحجاب الذي يغشي أعيننا فإذا هو يرى حياة وحركة في كل شيء"²، فرسائل أدباء الجمعية تبدو من مواضيعها رسائل ذات أبعاد سياسية واجتماعية و ثقافية لكنها في ذات الوقت تحمل خصائص فن الترسل، الذي يقوم على اختيار اللفظ الأنيق الذي يؤثر في القلوب والعقول تأثيرا شديدا بالإيقاع خفي هو صورة لموسيقى النفس والإيقاع غالبا ما يحدثه السجع والازدواج.

الإزدواج:

هو من ألوان البديع و" هو أن تكون الفواصل على زنة واحدة"³، والنثر الفني العالي والرائع الجميل الفيض لا يكاد يخلو من هذه الخاصية، والتي تزيده روعة في رسمه اللوحات البيانية الخالدة .

فالنثر الأدبي العالي " يحرص على ما نسميه فن الازدواج والموازنة حيث تتساوى العبارات في وزنها وفي نهاية كل عبارة على شكل سجع"⁴ وقد حوت رسائل جمعية المسلمين هذه

. سيد قطب، النقد الأدبي أصوله ومناهجه ، ص96¹.

. شوقي ضيق، في النقد الأدبي، ص170².

. أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، ص290³.

. محمد محمد الباكير البرازي، تحليل النص الأدبي بين النظرية والتطبيق، ص55⁴.

الخاصة ولعلها من المزايا العامة في كلام هؤلاء الرواد فهم يزنون عباراتهم وزنا تتكافأ فيه كفتنا الميزان.

ومن ذلك قول الشيخ الإبراهيمي في رسالته إلى أبي اليقظان:

ما شكري بكفاء

وما أنا قادر على الوفاء

وقوله:

من طريقة إلى طريقة

ومن خيال إلى حقيقة

والتوازن أن تتعادل فيه الجمل في ألفاظها وتكون فواصلها على وزن صر في واحد على نحو السجع حيث " يقوم الأديب بتقطيعها تقطيعا متساويا بحيث تتفق في البناء النحوي اتفاقا تماما"¹، ومن ذلك قول الإبراهيمي دائما في الرسالة ذاتها:

رافعة الحجاب

مثيرة الإعجاب.

وهو من المحسنات التي تحسن الكلام وتزيد فيه طلاوة فقد " لا يحسن منشور الكلام حتى يكون مزدوجا ولا تكاد تجد لبليغ كلاما يخلوا من الازدواج ، ولا استغنى كلام عن الازدواج لكان القرآن"².

. رجب عبد الجواد إبراهيم، موسيقى اللغة، دار الآفاق العربية، القاهرة، د.ط، 2008، ص 67¹

. أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، ص 285²

إن ضم كلمة إلى مجانسها أو نقيضها ، و حتى وضع كلمة على وزن إلى جانب كلمة أخرى لها نفس الوزن أو وزنا قريبا منها ليس بالعمل الهين كما يتراءى للبعض، بل هو عملية معقدة لا يقدر عليها إلا من أوتي من أدوات البلاغة زادا لا ينضب وحفظ متون الكتب واطلع على دواوين الشعراء وعلى كلام النحاة، أخذ بكل علمطرف حين ذاك يستقيم لسانه ويصح بيانه، وأدباء الجمعية كما رأينا في سيرهم الذاتية قد تشبعوا بالثقافة العربية الأصيلة ، ولقحوا معارفهم بمختلف الفنون الأدبية لذلك جاء نثرهم آية في البيان، وجاءت رسائلهم بأسلوب ينم عن موهبة فطرية ، ومراس كثير لان" الأسلوب ليس مجرد طريقة للكتابة يتعلمها من يشاء ولكنه يرتبط عند كل كاتب بالإلهام الخاص الذي يدفعه إلى الكتابة والذي يشكل هذه الكتابة"¹.

ثم إن الزاد المعرفي لدى هؤلاء الكتاب جعل ألفاظهم في رسائلهم تنضح بالقيم، فتنقطر منها الموسيقى والمعنى والذاكرة والبساطة والزخرفة والصورة والفكرة، و" لأن للإيقاع وظيفة خاصة يؤديها في استفاد الطاقة الشعورية وهو جزء من دلالة التعبير ، فالظاهر أن الإيقاع ووفرة التصورات الخيالية يساعدان الألفاظ على استفاد الانفعال بطريقة نتيجة عضلية وحسية لأنها وسيلتنا التعبير المجسدين عن الانفعال الوجداني"² هذا الانفعال الذي أوجدته الظروف ، وجعلت كتاب الجمعية يلونون أسلوب رسائلهم وذلك بشحن العبارات شحنا دالا على مدى الصدق المختلج في الصدور.

إن الكلمة أن لم تدغدغ المشاعر وتصل إلى أعماق النفس، فلا فائدة ترجى منها ، والكاتب الفذ الذي يختار المسار الجيد لألفاظه حتى تتمكن في العقول وتهز القلوب، لذلك نجد في

1. عز الدين اسماعيل، الأدب وفنونه، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط، د.ت، ص26.

2. سيد قطب ، النقد الأدبي أصوله و مناهجه ، ص 56 .

أسلوب الشيخ الإبراهيمي خاصة الازدواج التي تلون رسالته إلى الشيخ أحمد توفيق المدني فيقول:

أثاره في الحياض

أنهاره في الرياض.

فهو يصف الشيخ عبد الحميد بن باديس والأثر الذي تركه بعد وفاته ، فاختر الجمل القصيرة المعبرة وأحسن في تقسيمها وتقطيعها تقطيعا متساويا كأنه يريد أن ينظم أبياتا من الشعر يتلاعب فيها بالقوافي المتنوعة ، ثم أن الجمل القصيرة الموجزة تكون فيها قوة وبلاغة في التعبير.

الأسلوب التصويري:

بالإضافة إلى السجع والإزدواج اللذين زركشت بهما الرسائل نجد فن التصوير الذي أبدع فيه هؤلاء الكتاب وإن جاء عفويا في رسائلهم إلا أنه كان حاضرا هو الآخر.

وحتى ترتقي لغة هؤلاء الكتاب إلى اللغة الشعرية، وتمنح هؤلاء الكتاب شاعرية الأسلوب لأن " الشاعرية كما يسميها بعضهم مشحونة بقدر من الذاتية التي تستند إلى الواقع وتنبع منه أو ذاتية التفتيش المتأمل في الوعي الباطن والكشف عن خبايا الانفعال"¹

ثم إن اللغة الشعرية تتلخص في ثلاث " الإيقاع الموسيقي للكلمات والعبارات والصور والظلال ثم طريقة تناول الموضوع والسير فيه"² بالإضافة إلى عاطفة الكاتب الملتهبة الصادقة والتي تلون الأسلوب وتشحن العبارات شحنا، وتدل على مدى الصدق المختلج في صدر الأديب " فالكلمة الفردة في تقدير وقعها الصوتي، وفي تقدير إيحائها المعنوي لا يسلم فيها من

. محمد عباس الإبراهيمي أديبا، ص313.¹

. ينظر، السيد قطب ، النقد الأدبي، أصوله ومناهجه، ص32²

هذا التقدير، ولا يدق ، إلا إذا أعدناه إلى الواقع النفسي لها¹ ، والذي تترجمه العواطف الجياشة للأديب، فتتشكل الصورة الأدبية والتي " تنحصر في القدرة على نقل الفكرة والعاطفة من خلال الصياغة الخاصة بها بأمانة ودقة...² .

ورسائل هؤلاء الكتاب من جمعية العلماء لم تخلوا من هذه الظلال والصور فنجد التشبيهات قدر رصعت الرسائل خاصة تلك التي خصت لتعزية أو مواساة كقولهم:

(كان كالشمس)،(ذلك البحر)،(لازت فينا منارا بضوئه نستنير)

(أنت الأسد المصور)، (الشاعر ملك مملكته الخيال)،(وسلطان جو الخيال)، و (أدامه الله بدرا طالعا في هاله درسه)، و(غيثا هامعا يحيي ريح العلم من بعد طمسه....)

فالكتاب هنا يحاولون أن يخلقوا لنا صورا بيانية تظفي خصوصية على ما يكتبون فهذه الصور هي " إبداع ذهني لأنها تعتمد أساسا على مخيلة الأديب فهي مرآة لنفسيته وهي الضوء الكاشف عن كفاءة الأديب وقدراته العقلية، فهي مجموعة من العناصر المحسوسة التي ينطوي عليها الكلام وتوحي بما تحمله من تضاعيف المعنى الظاهر ثم تنحصر في جانبين هما الجانب الحسي المرتكز على الفكرة والعاطفة والجانب الإشاري الذي يضيفي على الشكل أكثر من معناه الظاهر"³.

لقد اهتم الكتاب والشعراء منذ القديم بزخرفة وتنميق آثارهم وقد أكثروا من المجاز في ذلك، وغالوا في استعمال التشابيه والاستعارات لأن "التعبير المجازي أصل من أصول الخطاب العربي

1 . سامي منير عامر، مدخل أمين الخولي إلى الدراسة البلاغية، منشأة المعارف ، الإسكندرية، دط، د.ت، ص13.

. أحمد عبد السيد الصاوي، النقد التحليلي عند عبد القاهر الجرجاني، ص251.²

³ . شمسية بن مداح ، الحركة الأدبية في الجزائر من القرن2هـ إلى 5هـ. رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب

المغربي القديم، تلمسان، 2004، ص125

ودعامة من دعائم الفن فيه" ¹، ونحن إن عدنا لرسائل هؤلاء الرواد من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين نجدها مرصعة بأنواع الزخرف البديعي والصور البيانية، فمن الإستعارات مثلا، قولهم في رسائلهم: (انتقل الخاطر من طريقة إلى طريقة) فقد جعلوا الخاطر انسانا ينتقل من مكان إلى آخر، فحذف المشبه به وهو الإنسان وذكرت أحد لوازمه وهو الانتقال و السير، و في قولهم: (أتاني كتاب منك بالفوز منبئ) ،وقولهم أيضا (بعثت ديواني من مرقده).

و قول الشيخ ابن باديس في ذكر كتاب الشيخ مبارك المليي: (تخطه بيمينها في كتاب الخالدين).

إن هذه الاستعارات هي " صلة بين مواطن الأشياء والنفس البشرية وليس بين سطور وحواس الإنسان، وكأن الجميل ما علق بالقلب" ²، وهذه الاستعارات هي أداة من أدوات الزخرفة وتحسين الكلام وجعله يخترق قلب السامع قبل أذنه والصورة في الأساس " تمحي الحدود بين الشعر والفكر فيتداخل الإدراك مع الوجدان وبالتالي تتداخل الحركة النفسية الداخلية مع حركة الفكر والوعي وتتفاعلان فيتحولان إلى حدس وكشف وإشراق" ³ فتعطي للغة بنية على نسق الشعر في توظيف الخيال وجمل منسقة الأوزان والأصوات، وهذا ما نجده في الزركشة البديعة في رسائل هؤلاء الرواد من الجمعية ككثرة الطباق في رسائلهم كقولهم: (البعيد، القريب)، (الخيال والحقيقة)، (العامة والخاصة)، (الكبير والصغير)، (والأحياء والأموات)، و(قليلًا وكثيرًا)، و(الدنيا والآخرة.....)

1. علي بن محمد، النثر الأدبي الأندلسي في القرن الخامس، ج2، ص666

2. عز الدين اسماعيل، الأسس الجمالية في النقد العربي، ص64

3. ابتسام أحمد حمدان، الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي، ص262.

إنّ رصف هذه الأضداد داخل الرسائل صبغها بجمالية التصوير فهو " شديد الصلة بالنفس وطيّد العلاقة بها وأنه من العبث أن ننظر إليه على أنه مجرد استخدام فني لأدوات متوفرة يمكن أن يخرجها الأديب كيفما تشاء"¹

إن فضل الصورة على الأدب كبير جدا ولولاها لأضحى هذا الأدب مجرد كلام عادي لا روح فيه، فالصورة هي التي تعطي معنا عميقا للأدب، " فالصورة إذن هي ميدان العمل الأدبي الذي تظهر فيه مقدرة الشاعر وتبرز تمكنه"².

و ازدحام رسائل هؤلاء الكتاب بالصور المتنوعة من طباق ومقابلة وتشبيه واستعارة وزرركشتها بما يقتضيه الذوق العام جعلها صورة لموسيقى النفس الهائمة في حب هذا الوطن والذود عنه وعن مقوماته ولأجل ذلك كان تخير اللفظ وبراعة عرض الموضوع وتأنق في هندسة المعاني أضف إلى ذلك " التنسيق الذي يسمح لكل لفظ بأن يشع شحنته من الصور و من الإيقاع ، و الذي يؤلف إيقاعا متناسقا بين الألفاظ و ظلالات متناسقة "³ ، فجاءت رسائلهم آية في البيان كونها سليلة الأعماق مما جعلها تترك بصماتها على تشكيل تلك الصور، فتصبح اللغة بذلك " وسيلة استنباط واكتشاف غاياتها الأولى وهي أن تثريك وتحرك وتهز الأعماق ، وتفتح أبواب الاستباق ، فهي كيان يكمن جوهره في دمه لا جلده وطبيعي ، أن تكون اللغة هنا إيجاء لا إيضاحا "⁴ إن العمل الأدبي يكمن جوهره في الحركة التي يصنعها اللفظ ويخلق بالمعنى بعيدا فيضفي عليه ظلالات تلقيها الألفاظ بجرسها أو بالصور التي تنبعث منها فينتج ذلك "

1. محمد بن علي، النثر الأدبي الأندلسي في القرن الخامس ، ج2، ص 674 .

2. أحمد عبد السيد الصاوي، النقد التحليلي عند عبد القاهر الجرجاني ، ص 315

3. سيد قطب ، النقد الأدبي أصوله و مناهجه ، ص 43

4. أود نيس علي أحمد سعيد، مقدمة للشعر العربي، دار العودة ، بيروت ، ط 2 ، 1979 ، ص 79 .

الخروج بالكلمات من طبيعتها الراسخة إلى طبيعة جديدة، وهذا الخروج هو خلق الفجوة، أي مسافة التوتر، بين اللغة المترسبة واللغة المبتكرة"¹.

والنفس أشد حاجة للغة تترجم الأحاسيس وتضفي عليه ذلك الوقع الخاص الذي يستشعر القارئ للنص الأدبي فيتجاوزه إلى ما وراء غايات أخرى ، " فالعمل الأدبي الرفيع يُبهرك بقدره مبدعه على اللعب باللغة والتحكم فيها على نحو مدهش ، كما يعجبك غالبا في عمله ذاك حسن تدويره المعنى وتدبيره للفكرة وتعبير بها عبر تلك الألفاظ الشعرية"² بالإضافة إلى ذلك فإن العمل الأدبي الرفيع دائما " يمتاز بقوة العاطفة التي تؤثر في عباراته تأثيرا واضحا يبدو في الكلمات والصور والتراكيب"³.

و رسائل هؤلاء الرواد من جمعية العلماء المسلمين قد حليت بشتى أنواع التصوير الجمالي الذي تشرب له الأعناق لتسمع المزيد منه ، فالإضافة إلى تلك المواضيع التي عالجها هؤلاء الأدباء فإن القراءة بين السطور لتلك الرسائل تفصح عن شخصية أصحابها المبدعة والمبتكرة في زمن القحط الثقافي الذي كانت تعيشه الجزائر آنذاك فزيادة على تلك الظلال التي ألقتهما الألفاظ في ثنايا الرسائل فظهر البديع بأنواعه من طباق وتجنيس وغيرها وظهر البيان وأنواعه من تشبيه واستعارة وغيرها ، نجد أيضا ظاهرة أخرى ميزت تلك الرسائل وهي التكرار للألفاظ معينة مما يضفي إيقاعا خاصا داخل الرسائل ومنه مثلا " أشد في هذه الأوقات التي هي من الأوقات التي عناها رسول صلى الله عليه وسلم"⁴.

1. كمال أوديب ، في الشعرية ، مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت ، ط1 ، 1987 ، ص 38 .

2. عبد الملك مرتاض ، الكتابة من موقع العدم ، ص 60 . 61 .

3. أحمد الشايب ، الأسلوب ، ص 102 .

4. مجلة الموافقات ، العدد الخامس السنة الخامسة ، 1996 ، ص 514 .

و نجد التكرار في قوله الشيخ ابن باديس " ... فهو أول كتاب صور الجزائر في لغته الضاد صورة تامة، بعد ما كانت تلك الصورة أشلاء متفرقة هنا وهناك وقد نفخت في تلك الصورة من¹

ومن تكرار الألفاظ نجد ".... كان يعمل للإماتة الفوارق بين المسلمين، تلك الفوارق التي هي من صنع لجهل و مخلفات التعصب للمذهب ذلك التعصب المعارض للإسلام...."².

ونجده في قوله " ... تقدير للعلم في القوت الذي تكالب فيه إعداء أنفسهم على الحط من قيمة العلم وأهله..."³

إن تكرار الألفاظ نفسها داخل الرسائل يهدف إلى تحريك الوجدان وتثبيت المعنى في العقول بالإضافة إلى أنه يعطى إيقاعا خاصا مما يولد " الاهتزازات والإنسجيمات الصوتية اللاحقة كأختها السابقة ولا يوجد بين ألفاظ وأخرى احتكاك أو أدنى اصطدام، بل تتسق وتلتئم بنفس الرنين... حتى لكأن الإيقاعات تعد عدا ، فهي دائما عدد منتظم لا نقص فيه ولا زيادة"⁴.

وهذا التكرار تستسيغه الأذن وتطرب له و يحدث إنسجاما داخل الرسالة، بل كأنه وسيلة إبانة عن جوهر المعاني مما يزيد الأسلوب وضوحا أكثر لأن " الأسلوب هو مظهر من مظاهر الفن، هو طريقة وضع اللغة في حال من الوظيفية عامرة بالعنفوان والحيوية والنشاط

. محمد مبارك المليبي، تاريخ الجزائر، في القديم والحديث، ج1، ص9، 10.¹

. ينظر مجلة الموافقات، العدد الخامس، السنة الخامسة، ص514²

³. البصائر، السنة الأولى، العدد 33،

. شوقي، ضيف في النقد الأدبي، ص101⁴

والعطاء"¹ فيزيد الرسائل جمالا على جمال و رونقا على رونق بذلك الأسلوب البياني الرفيع
والتصوير الفني البديع الذي ينقل العمل الأدبي من عالم الجمود إلى عالم الحركة.

. عبد الملك مرتاض، الكتابة من موقع العدم، ص¹92

المبحث الثاني: التضمين:

تعتبر المحفوظات الغزيرة لدى الأديب زادا معرفيا ممتلكا له فيه كل الحق في استعماله والانتفاع به، وورصف تلك المحفوظات داخل عمله الأدبي.

ثم إن الأعمال الشهيرة هي التي نستشعر فيها وجود آثار السابقين من أشعار وأمثال وما إلى ذلك.

والأدب الرفيع فوق كل هذا هو الذي تظهر من خلاله شخصية الأديب و هو الذي يبرز مذهب هذا الأديب في الحياة،" فالإقتباس المعاني منه بسبب زائد على الخيال هو استند فيه بحث الفكر إلى كلام جري في نظم و نثر أو تاريخ أو حديث أو مثل فيبحث الخاطر فيما يستند إليه من ذلك عن الظفر بما يسوغ له معه إيراد ذلك الكلام أو بعضه بنوع من التصرف والتغيير أو التضمين فيحيل على ذلك أو يضمه أو يدمج الإشارة إليه أو يورد معناه في عبارة أخرى على جهة قلب أو نقل إلى مكان أحق به من المكان الذي هو فيه أو ليزيد فيه فائدة فيتممه أو يتم به أو يحسن العبارة..."¹.

إن من أهم الروافد التي يستسقي منها الأديب العربي المسلم خاصة أدبه فيغدوا مرآة تعكس شخصية العربية المسلمة رافد القرآن الكريم.

أ. القرآن الكريم:

يعتبر القرآن الكريم أهم معين يستند إليه الكاتب في كتاباته الأدبية فهو " الكتاب الذي يهذب أذواق الكتاب والشعراء ويرهف قرائحهم ويطلع آثارهم ببعض ما تميز به أسلوبه من

¹ . أبو الحسن حازم بن محمد بن الحسن القرطاجي، منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، قدم له وحققه : محمد الحبيب بن خوجة ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط3 ، 1986 ، ص 39 .

بلاغة الأداء ودقة التعبير وسحر الإيقاع وبراعة الإشارة وشدة الوقع وجمال الإخراج"¹، ضف إلى ذلك فإن القرآن الكريم كان وما زال هو المصدر الأول الذي يهرع إليه الأدباء ليمثلوا بآياته وألفاظه فيأتي أدبهم في قمة الجودة وروعة البيان .

لذلك نجد رسائل أدباء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تزخر بهذا الرافد الأساسي والذي نجده حاضرا في رسائلهم اقتباسا وتضمينا لأن " أسلوب القرآن البليغ ونهجه القويم كان وما زال المعين الصافي الذي يرتشف منه الشعراء والكتاب فيصوغون على هدايه، آثارهم الأدبية مهتمدين بحسن ديباجته وبداعة مخارج حروفه ودقة كلماته وموقعها في مواضعها وجلالة عمق صورته وتخيالاته "².

لقد كان القرآن الكريم المنبع الأساسي الذي غرف منه أدباء الجمعية ثقافتهم وهو النموذج المحتذى أسلوبا و مضمونا ، فللقرآن طرائقه في الهجوم على قلب القارئ و الاستلاء على وعيه وضمأن استغراقه وأدباء الجمعية هم " حملة القرآن الذين حملوه حمل فهم وعلم وعمل ،فاعتزوا به وأعزوا به الإسلام فأعزهم الله "³، و أودعوه مطاوي كلامهم فجاءت رسائلهم عذبة تستسيغها الأذن و تأنس لها خاصة إذا ضمنها كاتبها آية من آيات الذكر الحكيم مثلما نجده في رسالة الشيخ مبارك المليي إلى رئيس شعبة الأجناح فنجد الآية **چ ئو ئو ئو ئو ئو ئو** يتحلى بها رئيس هذه الشعبة و عن أعماله الجليلة في سبيل تحقيق أهداف الجمعية وفي خضم شكره له يعرض بالآية الكريمة القائلة **چ ق ق ج چ** ⁵

1 . حميد آدم توني، فن الأسلوب دراسة و تطبيق عبر العصور الأدبية ، ص 102.

2 . المرجع نفسه ، ص 105 .

3 . الشهاب ، السنة السادسة عشر ، ج 16 ، ص 119 .

4 . سورة الأعراف الآية 43 .

5 - سورك إبراهيم ، الآية 7 .

القرآن الكريم وإن لم يكن النص كاملا فتكفي لفظة أو لفظتين لتحيلنا على الآية الكريمة ومن ذلك قوله في رسالته إلى الشيخ الطاهر لعبيدي "لزيارة الأحياء والأموات" ¹ فهي تحيلنا على الآية الكريمة من قوله تعالى **چ ف ق ف چ** ²

فقد جاءت رسائل الشيخ ابن باديس مفعمة بالاقتباسات الكثيرة من القرآن الكريم فجاءت الألفاظ قوية واضحة المعنى، يظهر فيها أثر القرآن الكريم، كما جاء أسلوبه جزلا وفخما ورسينا ومحكما تسمو به السلاسة و اليسر وهذا بسبب اعتماده على القرآن الكريم الذي عرف بيانه ووعى أسرارهِ.

ومن أدباء الجمعية الذين جعلوا القرآن الكريم في رسائلهم هاديا ومبشرا واقتبسوا من آياته البينات الشيخ محمد البشير الإبراهيمي الذي حفظ القرآن الكريم و تمنع في معانيه، وكانت ثقافته تتركز في الإجمال على القرآن الكريم فهو يقول في فضل القرآن عليه " القرآن هو الذي رباها و أدبها وزكى منها النفوس وصفا القرائح وأذكى الفطن وهذب الأفكار وأعلى الهمم واستفز الشواعر واستشار القوي وصقل الملكات وقوى الإرادات ومكّن للخير في النفوس وغرس الإيمان في الأفئدة وملاً القلوب بالرحمة وحفز الأيدي للعمل النافع والأرجل للسعي المثمر" ³. كما يرى الشيخ الإبراهيمي أن القرآن الكريم هو أساس الملكة السليمة قولاً وعملاً وكتابة وخطابة إذ يقول في هذا الشأن "...والقرآن القرآن تعاهدوه بالحفظ وأحيوه بالتلاوة وربوا ألسنتهم على الاستشهاد به في اللغة والقواعد وعلى الاستشهاد في الدين والأخلاق وعلى الاعتماد عليه في الاعتبار بسنن الله في الكون...." ⁴ فجعل رسالته هو تحوي صوراً معبرة مقتبسة من القرآن الكريم خاصة في رسالته إلى الشيخ أبي اليقظان إذ

1. أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، ص 104.

2. سورة المرسلات، الآية 26.

3. الإبراهيمي، آثار الشيخ الإبراهيمي، ج 1، ص 253.

4. الإبراهيمي، عيون البصائر، ص 399.

لقد كان القرآن الكريم أمانة في رسائل هؤلاء الأدباء وطابعا يتميز به أدبهم، بالإضافة إلى ذلك فقد كان جواهر رصعت بها رسائلهم وعبرت عن المضامين والرؤى الموحدة لهؤلاء الكتاب مما جعلها تتميز بالأصالة والصدق.

إن القرآن الكريم متى أحسن حفظه وأتقن ذكره وفهم معناه كان نعم المنجد ونعم النصير ، وأصبح كل من يهرع إلى حماه من العظماء ، وكل من تمسك به تمسك بالعمود الوثقى التي لانفصال عنها، فهو يعطي للكلام تناسقا في " طبيعة التجربة الشعورية وطبيعة الاشعاع الإيقاعي والتصويري للفظ، بحيث يتسق الجو الشعوري والجو التعبيري" ² فيعطي للأدب مساحة جمالية خاصة تمتزج فيها الرسالية والمتعة الفنية لأن " رسالة الأدب تهذيب السلوك الإنساني والدين والأدب فعاليتان إنسانيتان من حيث الممارسة والأداء ولا سبيل للاستغناء عنهما" ³

لقد كان القرآن الكريم ومازال المنبع الأول الذي يغترف منه الأديب الأصيل ثقافته، والزاد الذي يقتات منه في التعبير عن قضايا وطنه وانشغالات مجتمعه فيعطي أسلوبه عذوبة ولغته رقة، وعباراته وضوحا بالإضافة إلى شحنها بالمشاعر الرقيقة الجياشة والزاهرة بالصور الفنية الرائعة.

ب . الحديث النبوي الشريف:

يعتبر الحديث النبوي الشريف المنبع الثاني الذي اغترف منه هؤلاء الأدباء ثقافتهم فصقلوا مواهبهم بها وانعكست على أدبهم، إذ نجد إقتباسات وتضمينا للأحاديث النبوية في ثنايا رسائلهم ومن ذلك مثلا قول الشيخ عبد الحميد ابن باديس في رسالته إلى الشيخ

1. سورة يوسف ، الآية 93.

2. سيد قطب ، النقد الأدبي ، ص 81 .

3. محمد درق، ملامح الاتجاه الإسلامي في أدب المقال عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ص 4.

الإبراهيمي: " الآن يا عمر"¹ فهي مقتبسة من الحديث الشريف الذي جاء في صحيح البخاري في باب حب الرسول من الإيمان وهو " عن ابن هشام ، قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب فقال له : يا رسول الله لأنت أحب إليّ من كلّ شيء إلا من نفسي ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم :

لا و الذي نفسي بيده حتى أكون إليك من نفسك ، فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحبّ إلى من نفسي فقال النبي صلى الله عليه الآن يا عمر"²

فالملاحظ أن مجرد لفظه قد تحيلنا على حديث نبوي كامل وذلك دليل على سعة ثقافة الشيخ عبد الحميد بن باديس وحفظه للكثير من الأحاديث الشريفة، وقد ساعده على ذلك أنه كان يقدم دروس التفسير مما يستوجب عليه الإمام الكامل بالنصوص القرآنية والأحاديث النبوية، وهذا ما جعل كلامه يصطبغ بصبغة القرآن الكريم ، فتغدوا ألفاظه عذبة ومعانيه واضحة.

الشيئفسه نجده عند الشيخ العربي التبسي الذي يضمن كلامه أحاديث نبوية ففي رسالته إلى الشيخين البيوض وأبي اليقظان وفي سياق الكتابة لهما يورد جزءا من الحديث النبوي الشريف القائل " يصبح الرجل"³ والذي يحيلنا إلى الحديث كاملا في صحيح مسلم في باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن والذي جاء فيه:

" عن ابي هريرة أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنا و يمسي كافرا، ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا يبيع أحدهم دينه

. مجلة الموافقات ، العدد4، السنة الرابعة، جوان1995، ص766¹

² . أبي عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري ، صحيح الإمام البخاري، المجلد 1 ، قام على نشره : علي بن حسين بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري، الزهراء للإعلام العربي ، القاهرة ، دط ، دت ، ص19 .

. مجلة الموافقات، العدد الخامس، السنة الخامسة، جوان1996، ص:514.³

بعرض من الدنيا" ¹ فهو يحثهم على الثبات وعلى التمسك بالرأي الواحد، والذود عن الدين الذي يدعو إلى الاتحاد ونبذ الفوارق والخصومات.

وقد نجد أن هؤلاء الأدباء قد يأتون بنصف الحديث وليس اللفظ الواحد فقط وذلك كله من أجل تثبيت الفكرة وإيصالها بأسهل الطرق إلى العقول والقلوب معا.

ثم إن الإيغال في الحديث الشريف والإتيان بنصه أو جزء منه يمنح كلام الأديب صدقا أكثر لأن الأدب في حقيقته " تعبير رائع عن النفس والكون والحياة لذلك فهو يمتاز بالأصالة والصدق ويتعد عن الزيف والتزوير" ² وأين نجد هذا الصدق أن لم نجد في كلام خير الأنام لذلك فإن تضمين الرسائل للأحاديث النبوية يمنحها قوة وصدقا في التعبير .

إن أهم خاصية تميز أدباء الجمعية العلماء السلميين الجزائريين هي محفوظهم الواسع من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، ولقد ظهر لهذه الخاصية أثرها في رسائلهم مثلما نجده في رسالة الشيخ مبارك المليبي بن محمد المليبي إلى رئيس جمعية العلماء المسلمين ففي خضم تقديم الشكر على الجهود المبذولة في طلب العلم يورد جزء من الحديث النبوي القائل: ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله" ³ فهي مأخوذة من الحديث النبوي من باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك: "عنابي هريرة قال : قال رسول الله صلى اله عليه وسلم قال: من لا يشكر الناس لا يشكر الله،" ⁴

² . الإمام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف التّوي، صحيح مسلم بشرح التّوي ، المجلد الأول، تح: رضوان جامع رضوان ، المكتب الثقافي للنشر و التوزيع ، القاهرة ، ط1 ، 2001 ، ص 134 .

. سيد قطب ، النقد الأدبي ، ص 80 .²

. البصائر، السنة الأولى، العدد33، سبتمبر، 1936³

² . الإمام محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، سننالترمذي، ج3 تح: عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر ، بيروت ، ط2 ، 1983 ، ص 228.

وليس بمستغرب أن يأتي هؤلاء الأدباء في سياق رسائلهم أحاديث نبوية ، فهم المتشبعون بالثقافة الإسلامية الحاملين للواء الإصلاح الديني بالدرجة الأولى لذلك جاءت رسائلهم تفوح منها رائحة الأدب الإسلامي بمضامينها شكلا ومضمونا لأنها اغترفت مادتها من أصفى ينباع: القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، وهي خاصية لا تتأني إلا من أوتي زادا معرفيا يؤهله أن يدخل محراب الكتابة بكل أمان ، كون القرآن الكريم المصدر الأول للشريعة الإسلامية، والحديث النبوي الشريف هو المكمل والشارح لها.

ج . الشعر:

بالإضافة إلى القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف فقد زركش هؤلاء الكتاب رسائلهم ببعض ما حوته ذاكرتهم من الشعر العربي الأصيل وذلك الكاتب الحقيقي " لا يستغني عن النظر في كلام من تقدمه للاقتباس ما فيه من المعاني الرائعة والألفاظ الرائقة ..."¹ ثم إن الإنسان العربي بصفة عامة نجد أنّ الشعر محبوب في نفسه ، مثبت في وجدانه فنجده بين الحين والآخر يضمن كلامه بيتا من مما جادت به ذاكرته " فليس النثر الأدبي إلا شعرا ملطفا حيث يشمل الشعر الشكل الأقوى للأدب والدرجة القصوى للأسلوب والفرق بين النثر الأدبي والشعر وبين حالة الشعر وأخرى يكمن فقط في الجرأة التي تستخدم بها اللغة الوسائل الممكنة والمسجلة ضمن بنيتها"²، فمهما حاول الكاتب أن يجعل لغته شعرية وجعل لها إيقاعا خاصا ولونها بالسجع وغيره، فإن هذا لا يغنيه أبدا على يجعل في مطاوي كلامه بيتا أو بيتين من الشعر وذلك وفق الحالات الشعورية للأديب مثلما نجد في رسالته الشيخ الإبراهيمي التي بعث بها إلى الشاعر محمد العيد آل خليفة وذلك في قوله:

. القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج1، ص313

¹. جان كوهين، بين اللغة الشعرية، ترجمة محمد الوالي، ومحمد لعمرى، دار التوقال للنشر، الدار البيضاء المغرب، ط1،

" ما لهذه النفس الكبيرة في هذا الهيكل الصغير يهفو بها الشعر في مضطربه الواسع فلا يبلغ مداه حتى يقول:

"حَلَا الْبَيْتُ مِنْ حُبِّ الْعِبَادِ وَيُغْضِيهِمْ وَأَصْبَحَ بَيْتًا لِلَّذِي حَرَّمَ الْبَيْتَ"¹

.فهذا البيت مأخوذ من ديوان محمد العيد آل خليفة.

وإن كان الشيخ الإبراهيمي يستدل بكل البيت ففي أحيان أخرى نجده يأخذ فقط جزء من البيت فقط كقوله "وتبت يا رب تبت" فهي مأخوذة من البيت الشعري للشاعر محمد آل العيد خليفة الذي يقول فيه: "وَلَيْتُ نَحْوَكَ وَجْهِي وَتُبْتُ يَا رَبُّ تُبْتُ"²

إن مزج الشعر بالثر "برهان على المهارة" ، فإذا اتحلت به الرقعة من النثر عدّ ذلك مما يسحق الكاتب عليه مدحا وتنويها³ وقد حاول الإبراهيمي مواسة الشاعر محمد العيد آل خليفة وهو في حالة اليأس ليعث فيه روح الأمل من جديد إذ يقول:

حَرِّكَ مُنَاكَ إِذَا اعْتَمَمَتْ فَإِنَّهُنَّ مَرَوَاحُ"⁴

فهو يعود بذكرته إلى الأقدمين ويقف أمام شعر أبي العتاهية ، ليأخذ منه هذا البيت حتى يروح عن تلميذه بآيات العزاء مبرزا أن الحياة مهما ضاقت بالإنسان فإن هناك دائما الأمل الذي يجدد هذه الحياة وقد صدق من قال ما أضيّق العيش لولا فسحة الأمل .

. الشهاب، المجلد12، السنة الثانية عشر، ج3، جوان 1996، ص167¹

. ينظر محمد العيد آل خليفة ، الديوان ، ص363.²

. علي بن محمد النثر الادبي الأندلسي في القرن الخامس، ج2، ص676.³

². كرم البستاني ، ديوان أبي العتاهية ، دار صادر ، بيروت ، دط ، 1980 ، ص 118 .

لقد احتفظت ذاكرة الشيخ الإبراهيمي بالكثير من الشعر، وانعكس ذلك في إرثه الثقافي، ثم أن الغوص في مكونات دواوين فحول الشعراء القدامى واستخراج الدرر منها يضيفي على الأعمال الأدبية شيئاً من الجلال، ويسوغ في النفس القعود عن التحدي والمطالبة.

وغير بعيد عن الشيخ البشير الإبراهيمي، نجد الشيخ العربي التبسي هو الآخر يضمن كلامه من شعر الأقدمين مثلما نجده في رسالته إلى الشيخ عبد الحميد بن باديس والتي افتتحها بيت شعري كله حكمة وتأمل في قدرة الخالق على رد شرور الأشرار وما دام الله قد نسج عنايته حول من أراد من خلقه فإن المخاوف كلها بعد ذلك لا وجود لها، فلم يجد الشيخ العربي التبسي خيراً من هذا البيت الشعري يُطعم به رسالته إذ يقول:

" وَإِذَا الْعِنَايَةُ لَأَحْظَتَكَ عُيُونُهَا نَمَّ فَاَلْمَخَاوِفُ كُلُّهُنَّ أَمَانٌ"¹

فهو مقتبس من قول الشاعر القاضي الفاضل (596هـ الذي يقول :

" وَإِذَا السَّعَادَةُ لَأَحْظَتَكَ عُيُونُهَا نَمَّ فَاَلْمَخَاوِفُ كُلُّهُنَّ أَمَانٌ"²

و قد جاء هذا البيت في باب الحكمة من ديوان الشاعر .

و نجد الشاعر محمد العيد آل خليفة هو الآخر يغمس ريشه في دواوين فحول الشعراء ويعود لنا بعبارة تحيلنا على بيت شعري شهير، وهذه عادة كتاب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فقد نجد في رسائلهم بيتاً أو شطر بيت مقتطع من قصيدة قديمة كقول محمد العيد آل خليفة في رسالته إلى بشير كاشهفقد ورد في عرض الرسالة هذا المقطع " استسمنت ذا ورم"³ وهو مثل قديم يضرب لمن يغتر بالظاهر المخالف حقيقة الواقع، وهذا

³ . شرفي أحمد الرفاعي، الإمام العربي التبسي، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر ، ص69

. ديوان القاضي الفاضل، ج2، تحقيق، أحمد أحمد بدوي، دار المعرفة، القاهرة، ط1، 1961، ص478²

. بشير كاشةالفرحي ، محمد العيد آل خليفة شاعر الجزائر والعروبة، ص92³

المثل استشهد به أيضا الشيخ الأديب صفي الدين الحلّي في قصيدته " الكافية البديعية...وهي من أشهر المتون العلمية وهي تتضمن مدائح نبوية، عدتها 145 بيتا من البحر البسيط وتشمل على مائة وواحد وخمسين نوعا من محاسن البديع"¹، وقد جاء هذا البيت في ديوان صفي الدين الحلّي في قصيدته والتي مطلعها :

" إِذَا جِئْتَ سَلْعَفَسَلْ عَنْ حَيْرَةِ الْعَلَمِ وَأَقْرَأَ السَّلَامَ عَلَى عُرْبٍ بِذِي سَلَمٍ

إلى أن يقول :

رَجَوْتُكُمْ نُصَحَاءَ فِي الشَّدَائِدِ لِي لِضَعْفِ رُشْدِي وَإِسْتَسْمَنْتُ ذَا وَرَمٍ"²

وهذا إن دليل على سعة إطلاع هؤلاء الأدباء على الموروث العربي القديم، كما يبرز بوضوح ثقافتهم الواسعة وينم عن وفائهم الكبير لهؤلاء الأدباء فأوفى من يفي للأمم خاصة العظماء فيجعل من كلامهم مرجعا يستند إليه عند الحاجة ولا غرو فإن الثقافة الأدبية واللغوية غالبا ما تمد صاحبها بالشواهد الغزيرة وتجعل الجمال وقوة التأثير ديدن مختارات الكاتب التي يتمثل بها.

ومثلما رصع أدباء الجمعية رسائلهم بأبيات فحول الشعراء ولم يكتفوا في زركشة رسائلهم وتوشيتها من الموروث الشعري القديم لجأوا إلى توشية رسائلهم بما جادت بها قريحتهم من الشعر جاءت استجابة لمشاعر صادقة وترجمة حقيقة للأحاسيس لأن الأدب هو أدب النفس والمشاعر " والأديب المبدع لا يأخذ ألفاظه من الكتب وإنما يستمدّها من نفسه،

³. ينظر، شرح الكافية البديعة في علوم البلاغة ومحاسن البديع ، تأليف صفي الدين الحلّي، تح، نسيب نشاوي، ديوان

المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، د.ت ص 4 .

4. ينظر ، ديوان صفي الدين الحلّي ، دار بيروت للطباعة و النشر ، بيروت ، دط ، دت 685 و ص 690.

والكاتب يبدع ألفاظه ، لأن اللفظة كالوتر لا تحمل معنى وإنما تحمل معان ولا تخرج معانيها من ذاتها إلا إذا وفق الأديب في توقيع انفعالاته عليها" ¹

والشعر انفعال وجداني يأتي ساعة تتزاحم المشاعر فيها فيأتي سلسا دون تكلف ومثل ذلك نجده عند الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس وهو يخط رسالته إلى صديقه الطاهر لعبيدي فقد جاء في آخر الرسالة بهذه الأبيات يستعطف صديقه معذرا طالبا السماح إذ يقول:

" إِنْ كُنْتُ قَصَرْتُ فِي الْكِتَابَةِ وَاللَّهِ مَا حَلَّتْ عَنودِادي

وَإِنَّمَا كَانَ ذَاكَ مِنِّي عَنْ عَقْلَةٍ لَيْسَ مِنْ مُرَادِي

فَسَامِحُوا - طَاهِرِي - بِفَضْلِي وَحَسْبُكُمْ مَسْكِنًا فُؤَادِي" ²

إنّ هذه الديباجة في الرسائل، ومزج النثر مع الشعر وليدة الموهبة الخالصة، ودليل على قدرة فائقة باستخدام المعاني والألفاظ ، فإختيار اللفظة المناسبة والموحية من شأنه أن يخلق جواً إبداعياً فذاً ، والتعبير عن الفكرة هو أساس العمل الأدبي ، وهذا قد يستوجب مزج الشعر بالنثر مثلما نجده أيضا عند الشاعر محمد العيد آل خليفة في رسالته إلى بشير كاشهالفرحي والتي يحتمها هو أيضا بقوله:

" هُوَ الْفَوْزُ لَا يَحْطَى بِهِ غَيْرَ صَابِرٍ طَمُوحٍ إِلَى نَيْلِ الْمَعَالِي مُتَّابِرٍ

لَعْنُ نِلْتِ فَوْزًا يَا بَشِيرُ فَإِنِّي أَزْفُ إِلَيْكَ الْيَوْمَ أَزْكَى الْبَشَائِرِ" ³

إن هذا المزج بين الشعر والنثر يجعل النص الأدبي قويا متنوعا ويرص صاحبه في خانة العباقرة، اللذين يبدؤون عملهم من " الانفعال بالجمال وعمق التصور لفكرة وقوة المقدرة اللغوية وسعة

. ايليا الحاوي، نماذج من النقد الأدبي، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1969، ص 3، ص 746

. أبو القاسم سعد الله ، تجارب في الأدب والرحلة، ص 105. ²

. ينظر بشير كاشهالفرحي، محمد العيد آل خليفة شاعر الجزائر، والعروبة، ص 92، ص 93. ³

القراءة للتراث، ومن مجموع العلاقات بين الألفاظ فيتكون النص ويتكون الأسلوب"¹ الذي يعطى مساحة خاصة للنص الأدبي مشحون بانفعال حاد وقوي فيكتب له الخلود ويصنف صاحبه في خانة العظماء فما أكثر الناس وما أقل العظماء، فلم يقدر لرجال أن يعاصروا صراعاً أهولاً ولا أروعاً من الصراع الذي شهده رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، ورغم ذلك فقد كتبوا أسمائهم بأحرف من ذهب في ذاكرة الأجيال، وإنّ تاريخ العالم ليس إلا سيرة الرجال العظماء .

. محمد عبد المنعم خفاجة ، عبقرية الإبداع الأدبي ، ص 7 .¹

خاتمة :

خاتمة :

بعد هذه الجولة في حديقة الأدب الجزائري الحديث ، ووقوفنا أمام صرح جمعية العلماء الجزائريين و دورها في تفعيل الحياة الثقافية في الجزائر نقف أمام مجموعة من النتائج :

1 . إنّ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ظهرت والجزائر تئن تحت وطأة الاستعمار الفرنسي فكانت كإشراقه البدر في سماء الجزائر فسطع النور على العقول فأثار الدرب وبيّن السبيل .

2 . إنّ أدب الجمعية صادر عن علماء جمعتهم مصلحة الوطن فوق كل اعتبار فهو أدب إصلاحي يهدف إلى إصلاح المجتمع ككلّ.

3 . إنّ لكلّ منهم شخصية أدبية يتميز بها عن الآخرين في صياغتها للنصوص من حيث الأسلوب والمواضيع و طريقة التعبير .

4 . إنّ الذي يقرأ أدب الجمعية يدرك أنّه لم يقطع الصلة بتراث العرب القديم، فقد شيّدوا أدب قوامه الحداثة ومساره عدم قطع الصلة بتراثهم الوطني والقومي .

5 . إنّ هذا الأدب أدبواقعي، عبّر عن حاجات المجتمع الجزائري ، فهو أدب لا توقعه المناسبات الطارئة و العواطف الزائفة والانفعالات الوقتية ، فهو في أخص خصائصه و أدق سماته تعبير عن روح الأديب الأصيلة العميقة الرفيعة ، فهو يخدم قيم المجتمع وروح النضال خدمة كاملة دون نقص أو زيف أو التواء .

6 . لقد تنوعت فنون الكتابة لدى رجال الجمعية لكن فن الترسل له خصوصية الامتياز وأعلى مرتب التفرد لأنّ فيه تظهر شخصية التكامل الأدبي فهو يصدر عن الوجدان ويخاطب العقل في ذات الوقت .

7 . لقد كان فن الترسل حاضرا بقوة في أدب الجمعية ، وقد امتازت رسائلهم بخلوها من التكلف ومن التأنق في صياغة العبارة بل ركزوا على وضوح المعنى وجزالة اللفظ ، وقوة المقصد ، كما جاءت خالية من ألفاظ التعظيم و التبجيل والابتعاد عن المقدمات الطويلة.


8 . إنّ هذه الرسائل قد مثلت العصر والزمن الذي كتبت فيه، فهي تعد مرآة صادقة لما كان عليه المجتمع الجزائري آنذاك من أخلاق وقيم وأعراف و عادات ، كما أنّها نقلت لنا ثقافة كتابها ، فقد قرأوا القرآن وأكثروا من حفظ الشعر وآلّموا بمختلف العلوم و السير وتلك هي عدّة كل كاتب في كل عصر.

9 . إنّ هذه الرسائل نقلت لنا ثقافة كتابها وأبرزت اتقانهم للغة العربية ووعيمهم لكل الأمور ، ممّا كان له الأثر في صقل مواهبهم و شحذ أذهانهم واتساع آفاق فكرهم وتباين مصادر تصويرهم فيما تناولته أقلامهم من أفكار و آراء ، فكان لهم الأثر الكبير في الكتابة العربية الجزائرية بما حباهم الله به من استعداد فطري وموهبة أخاذة وذكاء حاد وحسن فهمهم ودرايتهم بخبايا المجتمع .

10 . كما تميزت رسائلهم بركة الألفاظ و تدفق المشاعر و تنوع الموسيقى ووضوح المعنى ، واتساع العبارة واحتوائها لأساليب الإشارة و الرمز و الخيال فأصبح لفن الترسل المنزلة الرفيعة و الحضور المهيمن في تجاربهم الإبداعية .

11 . إنّ الحديث عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و تفعيلها للحياة الثقافية في الجزائر يثير في النفس الشجون و يحيي في الصدر الآمال و يقوي عزائم العاملين في سبيل حاضر جدير بذكر ذلك الماضي و مستقبل أفضل من الحاضر و الماضي .

فمن نعم الله على الأمة الجزائرية أن قيض لها أمثال هؤلاء العلماء من رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الذين أضاءوا الطريق وبعثوا الأمل وأحيوا النفوس ، وتركوا آثارهم لثدل عليهم وتُرسخ مكانتهم في العقول والقلوب .



قائمة المصادر

و المراجع

قائمة المصادر و المراجع :

. القرآن الكريم برواية حفص .

أولا : المصادر

. أ .

1 . الإبراهيمي ، محمد البشير ، آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ، ج1 ، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، دط 1978 .

2 . الإبراهيمي ، محمد البشير ، آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ، ج2 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط1 ، 1997 .

3 . الإبراهيمي ، محمد البشير ، آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ، ج3 ، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، دط 1981 .

4 . الإبراهيمي ، محمد البشير ، آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ، ج4 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط1 ، 1997 .

5 . الإبراهيمي ، محمد البشير ، آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ، ج5 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط1 ، 1997 .

6 . الإبراهيمي ، محمد البشير ، عيون البصائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، دت ، دط .

7 . الإبراهيمي ، محمد البشير ، في قلب المعركة ، دار الأمة ، الجزائر ، ط1 ، 1994 .

8 . ابن باديس ، عبد الحميد ، آثار الإمام عبد الحميد بن باديس ، ج 3 ،
وزارة الشؤون الدينية ، الجزائر ، 1984 .

9 . ابن باديس ، عبد الحميد ، آثار الإمام عبد الحميد بن باديس ، ج 4 ، وزارة الشؤون
الدينية ، الجزائر ، 1985 .

10 . ابن باديس ، عبد الحميد ، آثار الإمام عبد الحميد بن باديس ، ج 5 ، دارالبعث ،
الجزائر ، ط 1 ، 1991 .

11 . آل خليفة ، محمد خليفة ، الديوان ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، دط ،
1979 .

- خ -

12 . خير الدين ، محمد ، مذكرات ، ج 1 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، دط ، دت

- م -

13 . المدني ، أحمد توفيق ، حياة كفاح ، ج 2 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، دط ،
1988 .

14 . المدني ، أحمد توفيق ، هذه هي الجزائر ، مكتبة للنهضة المصرية ، مصر ، دط ، دت .

15 . المدني ، أحمد توفيق ، كتاب الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، دط ،
1984 .

16 . الميلبي ، محمد مبارك ، تاريخ الجزائر في القديم والحديد ، ج 1 ، وزارة المجاهدين ، الجزائر ، دط ، دت .

ثانيا المراجع :

.أ.

1 . ابنالأثير ، ضياء الدين نصر الله بن أبي الكرم محمد بنمحمد عبد الكريم ، المثل السائر في أدب الكاتبو الشاعر ، ج 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 1998.

2 . إبراهيم ، رجب عبد الجواد ، موسيقى اللغة ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، دط ، 2008 .

3 . ابن خلدون ، محمد ، المقدمة ، ج 2 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ط 1 ، 1984

4 . ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ط 1 ، 1992 .

5 . أبو خشب ، إبراهيم ، تاريخ الأدب العربي في العصر الحاضر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، ط 2 ، 1992 .

6 . أسعد ، زهور ، ثورة العلم من ابن خلدون إلى ابن باديس ، دار هومة ، الجزائر ، دط ، دت .

7 . اسماعيل ، عز الدين ، الشعر العربي المعاصر قضاياها و ظواهره ، الفنية والمعنوية ، دار الكتاب العربي للطباعة و النشر ، دط ، 1967 .

8. اسماعيل ، عز الدين ، الأدب وفنونه ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، دط ، دت
- 9 . أدونيس ، علي أحمد سعيد ، مقدمة للشعر العربي ، دار العودة بيروت ، ط2 ، 1979.
- 10 . أوديب ، كمال ، في الشعرية ، مؤسسة الأبحاث العربية ، ط1 1987 .
- . ب .
11. البخاري ، الأمام الحافظ محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة الجعفي ، صحيح الإمام البخاري ، المجلد 1 ، تح :علي بن محمد بن حسين علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري ، الزهراء للإعلام العربي ، القاهرة ، دط ، دت .
12. بدوي ، أحمد أحمد ، أسس النقد الأدبي عند العرب ، نهضة مصر ، للطباعة ، مصر ، ط7 ، 2007 .
- 13 . البرازي ، محمد محمد باكير ، تحليل النص الأدبي بين النظرية والتطبيق ، الوراق للنشر والتوزيع ، الأردن ، ط1، 2005 .
- 14 . البزار ، عبد الرحمان ، هذه هي قوميتنا ، دار القلم ، القاهرة ، ط2 1964
- 15 . بسايح ، بوعلام ، أعلام المقاومة الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي بالسيف والقلم 1830 . 1954 ، وزارة الثقافة ، الجزائر ، دط ، 2007 .
- 16 . البستاني ، كرم ، ديوان أبو العتاهية ، دار صادر ، بيروت ، دط، 1980
- 17 . بطرس ، أنطونيوس ، الأدب تعريفه أنواعه مذاهبه ، المؤسسة الحديثة للكتاب ، لبنان ، دط ، 2006 .

- 18 . بقطاش ، خديجة ، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر (1871).
1871) ، منشورات دحلب ، الجزائر ، دط ، 2007 .
- 19 . بلاسي ، أحمد نبيل ، الاتجاه العربي الإسلامي و دوره في تحريرالجزائر ، الهيئة المصرية
للكتاب ، مصر ، دط، 1980 .
- 20 . البنائي ، عبد الكريم إبراهيم ، تاريخ الخطابة العربية إلى القرن الثاني هجري ، المكتبة
الثقافية الدينية ، مصر ، ط 1 ، 2005 .
- 21 . البهي ، محمد ، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمارالفرنسي ، دار الفكر ،
بيروت ، ط 6 ، 1973 .
- 22 . بو حجام ، محمد ناصر ، أثر القرآن في الشعر الجزائري الحديث (1925 . 1976) ،
المطبعة العربية ، الجزائر ، 1992
- 23 . بوقفة ، فتيحة ، أدباء في الذاكرة ، دار الهناء ، الجزائر ، ط 1 ، دت
- 24 . بو قره ، عمر أحمد ، بناء النسق الفكري عند البشير الإبراهيمي ، دار الهدى ، الجزائر
، دط ، 2004 .
- 25 . بوعزيز ، يحيى ، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة ، ج 1 ، دار البصائر ، الجزائر
، دط ، 2009 .
- 26 . بو عزيز ، يحيى ، كفاح الجزائر من خلال الوثائق ، دار البصائر ، دط ، 2009 .
- 27 . بو منجل ، عبد الملك ، النثر الفني عند البشير الإبراهيمي ، بيت الحكمة ، الجزائر ،
ط 1 ، 2009 .

. ت .

28 . تركي ، رابح ، التعليم القومي والشخصية الوطنية ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، دط ، 1975 .

29 . تركي ، رابح ، الشيخ عبد الحميد بن باديس ، باعث النهضة ، الإسلامية الجزائرية المعاصرة ، مورفم ، الجزائر ، ط2، 2003 .

30 . تركي ، رابح ، عبد الحميد بن باديس ، رائد الإصلاح الإسلامي ، والتربية في الجزائر ، منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال النشر والإشهار ، الجزائر ، ط5 ، 2001

31 . الترمذي ، الإمام محمد بن عيسى بن سورة ، سنن الترمذي ، ج3 ، تح: عبد الرحمن محمد عثمان ، دار الفكر ، بيروت ، ط2 ، 1983 .

. ث .

32 . ثليلاني ، أحسن ، المسرح الجزائري والثورة التحريرية ، وزارة لثقافة ، الجزائر ، دط ، 2007 .

33 . تويني ، أحمد آدم ، فن الأسلوب ، دراسة وتطبيق عبر العصور الأدبية ، دار صفاء للنشر والتوزيع ، عمان ، ط1 ، 2006 .

. ح .

34 . الحاوي ، إيليا ، إيليا أبو ماضي شاعر التساؤل والتفاؤل ، دارالكتاب اللبناني ، بيروت ، ط3 ، دت .

- 35 . الحاوي ، إيليا ، نماذج من النقد الأدبي ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط 3 ، 1969 .
- 36 . حرفي ، أحمد محمد ، فن الخطابة ، دار النهضة ، مصر ، ط 1 ، دت .
- 37 . حسن ، عقيلة ، جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في خدمة الحديث الشريف ، دار الوعي ، الجزائر ، ط 1 ، 2012 .
- 38 . الحلّي ، صفي الدين ، الديوان ، دار بيروت للطباعة و النشر ، بيروت ، دط ، دت .
- 39 . الحلّي ، صفي الدين ، شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع، تح : نسيب نشاوي، ديوان المطبوعات الجامعية، دط ، دت .
- 40 . حمدان ، ابتسام أحمد ، الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي ، تح: أحمد عبد الله فرهود، دار القلم العربي، سوريا ، ط 1 ، 1997
- 41 . حمدان ، محمد محمود ، من رسائل العقاد ، الدار المصرية اللبنانية ، مصر ، ط 1 ، 1997 .
- 42 . الخزفي ، صالح ، الشعر الجزائري الحديث ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، دط ، 1984 .
- 43 . الخزفي ، محمد صالح ، محمد العيد آل خليفة . مسرحية بلال . المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، دط ، 1986 .
- 44 . الخزفي ، محمد صالح ، محمد العيد آل خليفة ، وزارة الثقافة، الجزائر ، دط ، 2007 .

45 . خفاجي ، عبد المنعم ، عبقرية الإبداع الأدبي ، أسبابه وظواهره ، دار الوفاء ، مصر ، ط1 ، 2002 .

46 . خلاصي ، وليد ، المتعة الأخيرة ، اعترافات شخصية في الأدب ، دار طلاس ، دمشق ، ط1 ، 1986 .

. د .

47 . داود ، حامد حفني ، تاريخ الأدب الحديث ، تطوره ومعامله الكبرى ، ديوان المطبوعات الجامعية . الجزائر ، دط ، الجزائر ، دط ، 1999 .

48 . الداية ، محمد رضوان ، في الأدب الأندلسي ، دار الفكر ، دمشق ، ط1 ، 2006 .

49 . دحو ، العربي ، دراسات و بحوث في الأدب الجزائري ، ديوان المطبوعات الجامعية ، دط ، دت .

50 . درار ، أنيسة بركات ، أدب النضال في الجزائر منذ سنة 1945 حتى الاستقلال ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، دط .، 1984

51 . الدهري ، آمنة ، الترسل الادبي بالمغرب ، النص و الخطاب ، مطبعة النجاح ، المحمدية ، الدار البيضاء ، دط ، 2003

52 . دهمان ، أحمد علي ، الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني ، منهجا وتطبيقا ، ج2 ، دار طلاس ، دمشق ، ط1 ، 1986 .

. ذ .

53 . بن ذريل ، عدنان ، النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، دط ، 2000.

- ر -

54 . بن رحال ، الزبير ، الإمام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية والفكرية . 1889 . 1940 . ، دار الهدى ، الجزائر ، دط ، 2009 .

55 . الرفاعي ، أحمد شرقي ، الشعر الجزائري منذ (1925 . 1954) ، دار الهدى ، الجزائر ، دط ، 2010.

56 . الرفاعي ، أحمد شرقي ، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، دار البعث ، الجزائر ، ط1 ، 1981 .

57 . الركيبي ، عبد الله ، الشعر الديني الجزائري الحديث ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط1 ، 1981 .

58 . الركيبي ، عبدالله،تطور النثر الجزائري الحديث 1830 . 1974 ، دار نافع للطباعة ، القاهرة دط ، 1976 .

59 . الركيبي ، عبد الله ،القصة القصيرة الجزائرية ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، دط ، 1969 .

60 . رمضان ، محمد صالح ، إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس ، دار الأمة ، الجزائر ، دط ، 2007 .

- ز -

- 61 . الزاهري ، محمد الهادي ، شعراء الجزائر ، ج2، المطبعة التونسية ، دط ، 1926
- 62 . زايد ، عمار ، النقد الادبي الجزائري الحديث ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، دط ، 1990 .
- 63 . الزيتلي ، محمد ، فواصل في الحركة الأدبية و الفكرية الجزائرية ، دار البعث ، الجزائر ، دط ، 1984 .
- 64 . زغينة، محمد ، شعراء جمعية العلماء المسلمين ، دار الهدى ، دط ، 2004 .
- 65 . الزمخشري ، الإمام الكبير جار الله أبي القاسم بن عمر ، أساس البلاغة ، تح : عبد العزيز محمود ، دار المعرفة ، بيروت ، دط ، دت .
- س -
- 66 . سالم ، محمد بهي الدين ، ابن باديس فارس الإصلاح و التنوير، دار الشروق ، الجزائر، ط1 ، 1999 .
67. السائحي ، محمد الأخضر ، محمد الأمين العمودي الشخصية المتعددة الجوانب ، دار الهدى ، الجزائر ، ط3 ، 2005 .
- 68 . سحنون ، أحمد ، الديوان ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، دط ، 1977 .
- 69 . سعد الله ، أبو القاسم ، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر ، ج2 ، دار البصائر ، الجزائر ، دط ، 2007 .

- 70 . سعد الله ، أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 8 ، (1830. 1954 ،
دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط 1 ، 1998 .
- 71 . سعد الله ، أبو القاسم ، تجارب في الأدب والرحلة ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر
دط ، 1983 .
- 72 . سعد الله ، أبو القاسم ، الحركة الوطنية ج 1 ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر
ط 3 ، 1983 .
- 73 . سعد الله ، أبو القاسم ، الحركة الوطنية ج 2 ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية أبو
القاسم ، الجزائر ط 3 ، 1983 .
- 74 . سعد الله ، ، دراسات في الأدب الجزائري الحديث ، المؤسسة الوطنية للكتاب ،
الجزائر ط 1 ، دت .
- 75 . سعد الله ، ، محمد العيد آل خليفة رائد الشعر الجزائري في العصر الحديث ، دار
المعارف ، مصر ، ط 2 ، 1975 .
- 76 . سمراد ، أبو محمد سمير ، الشيخ بلقاسم بن أرواق ، دار الفضيلة ، الجزائر ، ط 1 ،
2008 .
- 77 . أم سهام ، عمارة بلال ، شظايا في النقد و الأدب ، دراسات أدبية المؤسسة الوطنية
للكتاب ، الجزائر ، دط ، 1989
- ش -
- 78 . الشايب ، أحمد ، الأسلوب ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، دط ،
دت .

79 . شعباني ، الوناس ، تطور الشعر الجزائري منذ 1945 إلى سنة 1980، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، دط ، دت

80 . شلبي ، عبد الجليل ، الخطابة وإعداد الخطيب ، دار الشروق ، القاهرة ، ط1 ، 1981 .

. ص .

81 . صالح ، محمود عبد الرحيم ، فنون النثر الأدبي العباسي ، دار جرير ، الأردن ، ط2 ، 2006 .

82 . الصاوي ، أحمد عبد السيّد ، النقد التحليلي عند عبد القاهر الجرجاني دراسة مقارنة ، الهيئة العامة للنشر والتوزيع ، الإسكندرية ، دط ، 1999 .

83 . صبح ، علي علي ، البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر ، المكتبة الأزهرية للتراث ، مصر ، دط ، 1996 .

84 . صدفة ، إبراهيم ، النص الأدبي في التراث النقدي والبلاغي ، عالم الكتب الحديثة ، الأردن ، دط ، 2011 .

85 . بو صفصاف ، عبد الكريم ، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية (1931 . 1945) ، دار البعث ، الجزائر ، د1 ، 1981 .

86 . بو صفصاف ، عبد الكريم ، الفكر العربي المعاصر، محمد عبده وعبد الحميد بن باديس نموذجاً ، دار الهدى ، الجزائر ، دط ، دت .

. ض .

87 . ضيف ، شوقي ، في النقد الأدبي ، دار المعارف ، القاهرة ، دط ،
دت .

. ط .

88 . طالي ، عمار ، ابن باديس رائد النهضة العلمية و الفكرية 1889 .
1940 ، دار الهدى ، الجزائر ، دط ، 2009 .

89 . طالي ، عمار ، ابن باديس حياته وآثاره ، دار المكتبة الجزائرية ، الجزائر ، ط1 ،
1968 .

90 . طالب ، أحمد ، الالتزام في القصة القصيرة الجزائرية المعاصرة ، ديوان المطبوعات الجامعية
، الجزائر ، دط ، دت .

91 . طالب ، أحمد ، الأدب الجزائري الحديث ، دار الغرب للنشر
والتوزيع ، الجزائر ، دط ، دت .

92 . طبانة ، بدوي ، قضايا النقد الأدبي ، الوحدة ، الالتزام ، الوضوح
والغموض ، الإطار والمضمون ، دار المريخ للنشر السعودية ، دط ، 1984 .

93 . طمار ، محمد ، تاريخ الأدب الجزائري ، وزارة الثقافة ، الجزائر ، دط ، 2007 .

. ع .

94 . عامر ، سامي منير ، مدخل أمين الخولي إلى الدراسة البلاغية ،
منشأة المعارف ، مصر ، دط ، دت .

- 95 . عامر ، مخلوف ، مظاهر التجديد في القصة القصيرة الجزائرية دار الأمل للطباعة والنشر ، الجزائر ، ط2 ، دت .
- 96 . العاكوب ، عيسى علي ، التفكير النقدي عند العرب ، دار الفكر سوريا ، ط7 ، 1997 .
- 97 . عباس ، محمد ، الإبراهيمي أدبيا ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ، دط ، 1983 .
- 98 . عبود ، شلتاغ ، حركة الشعر الحر في الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، دط ، 1985 .
- 99 . العسكري ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل ، كتاب الصناعتين ، تح : مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية ، مصر ، ط2 ، 1989 .
- 100 . العقاد ، عباس محمود ، بين الكتب والناس ، دار الكتاب العربي بيروت ، ط1 ، 1966 .
- 101 . علي ، محمد كرد ، أمراء البيان ، ج1 ، ج2 ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ط2 ، 1984 .
- 102 . بن عمر ، باعزيز ، من ذكرياتي عن الإمامين عبد الحميد بن باديس و محمد البشير الإبراهيمي ، منشورات الخبر ، الجزائر ، ط2 ، 2007 .
- . ف .
- 103 . الفاضل ، القاضي ، الديوان ، ج2 ، تح : أحمد أحمد البدوي المعرفة ، القاهرة ، ط1 ، 1961 .

- 104 . الفرحي ، بشير كاشه ، إمام المجاهدين العربي التبسي ، دار الآفاق ، الجزائر ، دط ، 2004 .
- 105 . الفرحي ، بشير كاشه ، محمد العيد آل الخليفة شاعر الجزائر والعروبة والإسلام ، دار الآفاق ، الجزائر ، دط ، 2003 .
- 106 . فضل ، صلاح ، النظرية البنائية في النقد الأدبي ، مكتبة الأنجلو، القاهرة ، ط2 ، 1980 .
- 107 . فضلاء ، باديس ، من آثار الأستاذ محمد الطاهر فضلاء ، دار هومة ، الجزائر ، دط ، 2010 .
- 108 . فضلاء ، محمد الطاهر ، الشيخ محمد خير الدين آثار ومآثر، مؤسسة الضحى ، دط ، دت .
- 109 . فضلاء ، محمد الطاهر ، الطيب العقبي رائد الإصلاح الديني في الجزائر ، منشورات وزارة الثقافة والسياحة ، الجزائر دط ، 1985 .
- 110 . الفيروز آبادي ، محيي الدين محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط ، ج2 ، تقديم: محمد عبد الرحمان المرعشلي بيروت ، ط1 ، 1997 .
- . ق .
- 111 . قرقوة ، إدريس ، الظاهرة المسرحية في الجزائر دراسة في الآفاق و السياق ، دار الغرب للنشر والتوزيع ، الجزائر ، دط ، 2005 .

- 112 القراطيجي ، أبو الحسن حازم بن محمد بن الحسن ، منهج البلغاء
وسراج الأدباء ، تح: محمد الحبيب خوجة ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،
ط3 ، 1986 .
- 113 . قسوم ، عبد الرزاق ، اللغة العربية في العهد الاستعماري ، مؤسسة
عالم الأفكار ، الجزائر ، ط1 ، 2007 .
- 114 . قطب ، السيّد ، كتب و شخصيات ، دار الشروق ، بيروت ، ط1 ، 1983 .
- 115 . قطب ، السيّد ، مهمة الشاعر في الحياة وسفر الجيل الجديد ، دار الشروق ، بيروت ،
دط ، دت .
- 116 . قطب ، السيّد ، النقد الأدبي أصوله ومناهجه ، دار الشروق ، بيروت ، دط ، 1995 .
- 117 . القلقشندي ، أبو إلياس أحمد بن علي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، ج14 ،
وزارة الثقافة والإرشاد القومي المصرية، مصر ، دط ، 1982 .
- 118 . قنانش ، محمد ، الحركة الاستقلالية في الجزائر بين الحربين 1919 .
1939 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ، دط ، 1982 .
- 119 . قوباوم ، غوستان فون ، دراسات في الأدب العربي ، ترجمة إحسان
عباس ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، دط ، 195 .
- 120 . بن قينة ، عمر ، الأدب العربي الحديث ، شركة الأمة للطباعة و النشر
والتوزيع ، الجزائر ، ط1 ، 1999 .

121 . بن قينة ، عمر ، في الأدب الجزائري الحديث تأريخا وأنواعا وقضايا وأعلاما ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، دط ، 1995 .

122 . بن قينة ، عمر ، صوت الجزائر في الفكر العربي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، دط ، 1993 .

.ك.

123 . كوهين ، جان ، بين اللغة الشعرية ، ترجمة محمد والي ومحمد العمري ، دار التوقال ، المغرب ، ط1 ، 1995 .

.ل.

124 . لمباركية ، صالح ، المسرح في الجزائر، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط2 ، 2007 .

.م.

125 . مالك ، بن خليف ، الفكر السياسي عند الإمام عبد الحميد بن باديس ، دار طليطلة ، الجزائر ، ط1 ، 2010 .

126 . مبارك ، زكي ، النثر الفني في القرن الرابع هجري ، ج2 ، المكتبة العصرية ، بيروت ، دط ، 2006 .

127 . محجوب ، عباس ، الأدب الإسلامي ، قضايا و مفاهيمه النقدية ، دار الكتاب العالمي ، الأردن ، دط ، 2006 .

- 128 . بن محمد ، عبد الغني ، أتعرف على الشيخين ابن باديس ورفاقه رواد الإصلاح ، دار السحار ، الجزائر ، دط ، دت .
- 129 . بن محمد ، علي ، النثر الأدبي الأندلسي في القرن الخامس مضامينه وأشكاله ، ج2 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط1 ، 1990
- 130 . مراد ، علي ، الحركة الاصلاحية الإسلامية في الجزائر ، دار الحكمة ، الجزائر ، دط ، 2012 .
- 131 . مرتاض ، عبد الملك ، الادب الجزائري القديم دراسة في الجذور، دار هومة ، الجزائر ، دط ، 2001 .
- 132 . مرتاض ، عبد الملك ، أدب المقاومة الوطنية في الجزائر (1830 . 1962) ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، دط ، دت .
- 133 . مرتاض ، عبد الملك ، أعلام الثقافة والعلوم ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر ، دط ، 1984 .
- 134 . مرتاض ، عبد الملك ، الكتابة من موقع العدم مسائلات حول نظرية الكتابة ، دار الغرب للنشر والتوزيع ، الجزائر ، دط ، دت .
- 135 . مرتاض ، عبد الملك ، فنون النثر الأدبي في الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، دط ، 1983 .
- 136 . مرتاض ، عبد الملك ، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر (1925 . 1954) ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط2 ، 1983 .

- 137 . المسدي ، عبد السلام ، الاسلوية والأسلوب (نحو بديل ألسني في نقد الأدب) ، الدر العربية للكتاب ، تونس ، دط ، 1977 .
- 138 . مصايف ، محمد ، فصول في النقد الأدبي الجزائري الحديث ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط2 ، دت .
- 139 . مصطفى ، ولد يوسف ، مع محمد الديب في عزلته ، دار الأمل للطباعة و النشر ، الجزائر ، دط ، دت .
- 140 . مطبقاتي ، مازن صالح حامد ، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية (1931 . 1939) ، مؤسسة عالم الأفكار ، الجزائر ، دط ، دت .
- 141 . المعزاوي ، مولود ، جمعية العلماء المسلمين ، دار التنوير ، الجزائر ، ط1 ، 2004 .
- 142 . المقداد ، محمود ، تاريخ الترسل النثري عند العرب في الجاهلية ، دار الفكر ، دمشق ، ط1 ، 1993 .
- 143 . المقداد ، محمود ، تاريخ الترسل النثري عند العرب في صدر الإسلام، دار الفكر ، دمشق ، ط1 ، 1993 .
- 144 . المقدسي، أنيس ، تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط1 ، 1998 .
- 145 . مقران ، يسلي ، الحركة الدينية الاصلاحية في منطقة القبائل (1920 . 1949) ، دار هومة ، الجزائر ، ط1 ، 2007 .

. ن .

146 . ناصر ، محمد ، أبو اليقظان وجهاد الكلمة ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ط 2 ، 1983 .

147 . ناصر ، محمد ، الصحف العربية الجزائرية من (1875 . 1939)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، دط ، 1980

148 . ناصر ، محمد ، المقالة الصحفية نشأتها وتطورها و أعلامها (1903-1931) ، مج 1 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، دط ، 1978 .

149 . ناظم ، محمد ، البنى الأسلوبية ، المركز الثقافي العربي ، المغرب ، ط 1 ، 2002

150 . النجار ، رمزي ، الفلسفة العربية عبر التاريخ ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط 2 ، 1972 .

151 . نجم ، محمد يوسف ، فن المقالة ، دار صادر ، بيروت ، ط 1 ، 1996 .

152 . عبد النور ، خيثر ، منطلقات وأسس الحركة الوطنية الجزائرية (1939 . 1954) ، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1954، الجزائر ، دط ، دت .

153 . النّووي ، الإمام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف ، صحيح مسلم بشرح النّووي ، المجلد الأوّل ، تح : رضوان جامع رضوان ، المكتب الثقافي للنشر و التوزيع ، القاهرة ، ط 1 ، 2001 م .

- و -

154 . الورتلاني ، الفضيل ، الجزائر الثائرة ، دار الهدى ، الجزائر ، دط ، 2007 .

155. الوزير ، محمد السيّد محمد علي ، الأمير عبد القادر الجزائري : ثقافته وأثرها في أدبه ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ، دط ، 1986
156. وغليسي ، يوسف ، في ظلال النصوص ، تأملات نقدية في كتابات جزائرية ، جسور للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط1 ، 2009 .
- . ي .
157. يايوش ، جعفر ، أسئلة ورهانات في الأدب الجزائري المعاصر ، دار الأديب للنشر والتوزيع ، الجزائر ، دط ، دت .
158. يحياوي ، محمد الطاهر ، أحاديث في الأدب والنقد ، شركة الشهاب ، الجزائر ، دط ، دت .
159. يحياوي ، محمد الطاهر ، البعد الفني و الفكري عند الشاعر مصطفى لغماري ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، دط ، 1983 .
160. بن يحيى ، محمد ، محاضرات في الأسلوبية ، مطبعة مزوار ، الجزائر ، ط1 ، 2010 .
161. بن يسمينة ، محمد ، أسس مشروع النهضة عند الإمام بن باديس ، ج2 ، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى ، الجزائر ، دط ، دت .
162. بن يسمينة ، محمد ، النهضة الأدبية الحديثة ، مؤثراتها ، بداياتها ، مراحلها ، مطبعة الكاهنة ، الجزائر ، دط ، 2003 .
163. بن يسمينة ، محمد ، في الأدب العربي الحديث بالجزائر ، مطبعة العاصمة ، الجزائر ، دط ، 2003 .

ثالثا : الدوريات

أ. المجلات :

- 1 . الأصالة : مجلة . الجزائر . العدد 73 . 74 . س . 8 . 1979 م .
- 2 . الثقافة : مجلة . الجزائر . العدد 87 . س . 15 . 1985 م .
- 3 . الشهاب . مجلة . الجزائر . العدد 3 . س . 1925 م .
- 4 . الشهاب . مجلة . الجزائر . العدد 19 . س . 1927 م .
- 5 . الشهاب . مجلة . الجزائر . العدد 158 . س . 1927 م .
- 6 . الشهاب . مجلة . الجزائر . العدد 199 . س . 1928 م .
- 7 . الشهاب . مجلة . الجزائر . المجلد 11 ج 11 . 1935 م .
- 8 . الشهاب . مجلة . الجزائر . المجلد 9 . ج 9 . 1936 م .
- 9 . الشهاب . مجلة . الجزائر . المجلد 12 . ج 12 . 1936 م .
- 10 . الشهاب . مجلة . الجزائر . المجلد 13 . ج 9 . 1936 م .
- 11 . الشهاب . مجلة . الجزائر . المجلد 13 . ج 13 . 1937 م .
- 12 . الشهاب . مجلة . الجزائر . المجلد 14 . ج 14 . 1938 م .
- 13 . العلوم الاجتماعية و الإنسانية : مجلة . الجزائر . العدد 11 . 2004
- 14 . المصادر : مجلة . الجزائر . العدد 11 ، السداسي الأول ، 2005 .

15 . الموافقات : مجلة . الجزائر . العدد 4 . س4 . 1995 م

16 . الموافقات : مجلة . الجزائر . العدد 5 . س5 . 1996 م .

ب . الجرائد :

1: البصائر : جريدة . الجزائر س1 . العددان : 33 . 37 . سنة : 1936 .

2 . البصائر : جريدة . الجزائر . سل1 . العدد : 58 . سنة : 1937 .

3 البصائر : جريدة . الجزائر . س1 . الأعداد : 12 ، 108 ، 125 ، 135 ، 144 . سنة : 1938 .

4 . البصائر : جريدة . الجزائر . سل 1 . العدد : 166 . سنة : 1939 .

5 . البصائر : جريدة . الجزائر . سل2 . العدد 46 . سنة : 1946 م .

6 . البصائر : جريدة . الجزائر . سل2 . العدد 3 . سنة : 1947 م .

7 . البصائر : جريدة . الجزائر . سل2 . العددان : 19 . 21 . سنة : 1948

8 . البصائر : جريدة . الجزائر . سل2 . العدد : 86 . سنة : 1949 م .

9 البصائر : جريدة . الجزائر . سل2 . العدد : 116 . سنة : 1950 م .

10 البصائر : جريدة . الجزائر . سل2 . العدد : 183 . سنة : 1952 م .

11 البصائر : جريدة . الجزائر . سل2 . الأعداد : 226 ، 240 ، 245 . سنة : 1953 م .

12 . المنتقد : جريدة - الجزائر - العدد 8 . 20 أوت ، السنة الأولى ، 1925

رابعا : الرسائل الجامعية :

- 1 . حمودة ، مصطفى ، مفدي زكريا وإنتاجه الأدبي في مرحلة ما قبل الإستقلال ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب الجزائري الحديث ، جامعة تلمسان ، 2009م .
2010م
- 2 . حياة ، عمارة ، الاتجاه الإصلاحية في شعر محمد العيد آل خليفة رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي ، جامعة تلمسان ، 2001م . 2002م .
- 3 . درق ، محمد ، ملامح الاتجاه الإسلامي في أدب المقال عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، مذكرة ماجستير في اللغة والأدب العربي ، جامعة تلمسان ، 2010م .
- 4 . العالي ، فيصل حسين طحيمر ، فن الترسل عند عبد الحميد الكاتبوا بن العميد ، رسالة ماجستير باللغة العربية وآدابها ، جامعة النجاح الوطنية ، فلسطين ، 1422هـ . 2011م
- 5 . عجالي ، كمال ، الطيب العقبي أدبيا ، بحث مقدم لنيل شهادة دكتوراه دولة في الأدب الحديث ، إشراف العربي دحو ، جامعة قسنطينة ، 1997 . 1998 .
- 6 . محمد ، محيي الدين ، ثقافة وأثرها في أسلوبه ، عيون البصائر نموذجاً ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأدب الحديث ، جامعة تلمسان ، 2007م . 2008م .

7. بن مداح ، شميسة ، الحركة الأدبية في الجزائر من القرن 2هـ إلى القرن 5هـ ، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في الأدب المغربي القديم ، جامعة تلمسان ، 2004 م .
8. منور ، أحمد ، مسرح أحمد رضا حوحو ، دراسة أدبية تحليلية مقارنة، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي ، جامعة الجزائر ، 1989 م .

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
أ	مقدمة
01	تمهيد : الترسل ، الماهية ، الجذور و النشأة
01	تعريف الترسل :
01	أ- لغة
03	ب- اصطلاحا
06	ج- الجذور و النشأة :
12	الباب الأول: الوضع العام في الجزائر أيام الإحتلال
	الفصل الأول : الأوضاع في الجزائر عشية تأسيس جمعية العلماء
	المبحث الأول : الأوضاع السياسية و الإجتماعية و الثقافية
	أولا : الوضع السياسي
15	ثانيا : الوضع الاجتماعي
17	ثالثا : الوضع الثقافي
20	أ - اللغة العربية
23	ب- الدين الإسلامي
27	ج- الإدماج

31	المبحث الثاني: ظهور جمعية العلماء المسلمين
31	أولاً: تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين
40	ثانياً: أهداف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين
53	ثالثاً: أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين
62	الفصل الثاني: أدب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين
72	المبحث الأول: الشعر و الخطابة والمقال
72	أولاً: فن الشعر
91	ثانياً: فن الخطابة
104	ثالثاً: فن المقال
121	المبحث الثاني: القصة و المسرح و النقد
121	أولاً: فن القصة
122	1. المقال القصصي
126	2. الصورة القصصية
129	ثانياً: فن المسرح
136	ثالثاً: النقد الأدبي
145	الباب الثاني: فن الترسل وقضاياها
145	الفصل الأول: الترسل الأعلام و الموضوعات والقضايا
146	1. البرقيات
155	2. الرسائل
158	المبحث الأول: الأعلام الرواد
158	أولاً: عبد الحميد بن باديس
158	تعريف الشيخ عبد الحميد بن باديس
164	رسالة من ابن باديس إلى الطاهر لعبيدي

- 164 أ : نص الرسالة
- 166 ب:موضوع الرسالة
- 168 رسالة من ابن باديس إلى مبارك الميلبي
- 168 أ: نص الرسالة
- 169 ب: موضوع الرسالة
- 171 رسالة من ابن باديس إلى الفضيل الورتلاني
- 171 أ:نصالرسالة
- 172 ب: موضوع الرسالة
- 174 رسالة من ابن باديس إلى الشيخ الإبراهيمي
- 174 أ:نصالرسالة
- 175 ب: موضوع الرسالة
- 177 رسالة الشيخ ابن باديس إلى طلبته
- 177 أ:نصالرسالة
- 177 ب:موضوع الرسالة
- 179 ثانيا :الشيخ البشير الإبراهيمي
- 179 تعريفالشيخ البشير الإبراهيمي
- 183 رسالة الشيخ الإبراهيمي إلى الشاعر محمد العيد آل خليفة
- 183 أ:نصالرسالة
- 185 ب:موضوعالرسالة
- 188 رسالة من الإبراهيمي إلى الشيخ أبي اليقظان
- 188 أ:نصالرسالة
- 189 ب:موضوع الرسالة
- 192 رسالة من الشيخ الإبراهيمي إلى الأستاذ أحمد توفيق المدني
- 192 أ:نص الرسالة
- 192 ب:موضوع الرسالة

198	ثالثا : الشيخ مبارك المليبي بن محمد المليبي
198	تعريف الشيخ المبارك المليبي
198	رسالة الأستاذ مبارك المليبي إلى رئيس شعبة جمعية العلماء المسلمين بعرش الأجناح
198	أ: نص الرسالة
200	ب: موضوع الرسالة
203	رسالة الأستاذ مبارك المليبي إلى الأستاذ أحمد توفيق المدني
203	أ: نص الرسالة
204	ب: موضوع الرسالة
206	رسالة من الشيخ مبارك المليبي إلى الأستاذ عبد القدوس الأنصاري
206	أ: نص الرسالة
208	ب: موضوع الرسالة
211	المبحث الثاني: الأعلام المساعدون
211	أولا : الشيخ العربي التبسي
211	تعريف الشيخ العربي التبسي
214	رسالة من الشيخ العربي التبسي إلى الشيخ عبد الحميد بن باديس
214	أ: نص الرسالة
215	ب: موضوع الرسالة
217	رسالة من الشيخ العربي التبسي إلى الشيخين أبي اليقظان و البيوض
217	أ: نص الرسالة
218	ب: موضوع الرسالة
221	رسالة من العربي التبسي إلى الوالي العام على القطر الجزائري
221	أ: نص الرسالة
221	ب: موضوع الرسالة
223	رسالة من الشيخ العربي التبسي إلى البعثة الجزائرية بالعراق
223	أ: نص الرسالة

- 227 ب: موضوع الرسالة
- 230 ثانيا: الشيخ الطيب العقبي
- 230 تعريفالشيخ الطيب العقبي
- 232 رسالة من الشيخ الطيب العقبي إلى الشيخ عبد الحميد بن باديس
- 232 أ:نصارالرسالة
- 234 ب: موضوع الرسالة
- 236 رسالة من الشيخ الطيب العقبي الشيخ أحمد توفيق المدني
- 236 أ:نصارالرسالة
- 237 ب:موضوع الرسالة
- 240 منبرقيات الشيخ العقبي
- 240 برقية موجهة إلى الحكومة الفرنسية
- 240 برقية موجهة إلى عزام باشا الأمين العام للجامعة العربية
- 240 موضوعالبرقيتين
- 242 ثالثا : الأستاذ محمد العيد آل خليفة
- 242 تعريفالأستاذ محمد العيد آل خليفة
- 245 رسالة من الأستاذ محمد العيد آل خليفة إلى الشيخ الإبراهيمي
- 245 أ:نصارالرسالة
- 247 ب: موضوع الرسالة
- 249 رسالة من الأستاذ محمد العيد آل خليفة إلى بشير كاشة
- 249 أ:نصارالرسالة 2
- 269 ب: موضوع الرسالة
- 252 رسالة من الشاعر محمد العيد آل خليفة إلى الشاعر صالح الخرفي
- 252 أ:نصارالرسالة
- 253 ب : موضوع الرسالة

257	الفصل الثاني : الخصائص الفنية للرسائل
259	المبحث الأول: الأسلوب
267	الألفاظ
273	الايقاع
278	السجع
283	الازدواج .
286	الأسلوب التصويري
293	المبحث الثاني: التضمين
293	أ. القرآن الكريم:
301	ب. الحديث النبوي الشريف:
303	ج. الشعر
310	خاتمة
314	قائمة المصادر و المراجع
314	موضوعات البحث

ملخص

موضوع هذا البحث هو فن الترسل في أدب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، إذ يعتبر هذا الفن من الآداب العالمية، فلا يكاد يخلو تراث أمه من هذا النوع الأدبي، وأدبنا العربي هو الآخر حافل بأنماط شتى من أدب الرسائل، لكن فن الترسل في أدب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين له خصوصية الامتياز وأعلى مراتب التفرد كونه صادر عن علماء جمعتهم مصلحة الوطن فوق كل اعتبار، فهو تعبير عن روح الأديب الأصلية العميقة الرفيعة فهو يخدم قيم المجتمع وروح النضال خدمة كاملة. الكلمات المفتاحية: فن الترسل- الأسلوب- الأدب- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين- الديباجة.

Résumé

Le thème de cette recherche est l'art de la messagerie dans la littérature de l'Association algérienne des savants musulmans , cet art est considéré comme l'un des littératures mondiales , il ya presque tout type de littérature des patrimoines qui contient l'art de messagerie, mais l'art de messagerie dans la littérature de l'association savant musulmanes a son propre caractère et les plus hauts degrés de l'individualisme puisque il a arrivé des savant qui réunie à l'intérêt du pays avant tout autres choses, alors il est exprime le vrai profond l'esprit de littérateur qui serve parfaitement les morales de la société et l'esprit de lutte

Mots-clés: art de messagerie- style- littérature- Association des savant musulmanes algériens- préambule.

ABSTACT

The theme of this research is the art of message in literature the Algerian Muslim Scholar Association , it is the art of world literature , there is not almost any patrimonial state which doesn't contain this art of message , and the Arab literature is the other track patterns of various literature messages , our Arabic literature is also rich of all kinds of letter literature. But, the art of message in the Algerian Muslim scholar association has it main high character of individualism since it came in from scholars who get unified to work on the benefit of the country and made it their first goal, and it is an expression of the literature primitive deep spirit of the literate since he serves the society moral and the spirit of contest the perfect way.

Keywords: message art- style- literature- Algerian Muslim scholar Association - preamble.

ملخص رسالة الدكتوراه : فن الترسل في أدب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين .

فن الترسل فن من الفنون الضاربة بجذورها في أعماق التاريخ ، فهو فن من الفنون القديمة التي عرفها الإنسان ورافقته في مسيرته التاريخية ، إذ لا يكاد عصر من العصور الأدبية يمر إلا وفن الترسل حاضر بقوة ، إذ يعتبر من الآداب العالمية ، فلا يكاد يخلو تراث أمة من هذا النوع الأدبي .

إن أدب الرسائل ذو قيمة كبيرة كونه نصوصا أدبية نثرية إبداعية تكشف طبيعة أساليب العصر في التصوير والتعبير، فهو مرآة للنفس البشرية وطاقاتها الإبداعية، كما أنه وسيلة إبلاغ وتصوير للحياة والمجتمع وأيضا هو وسيلة امتاع في الوقت نفسه، بالإضافة إلى أنه يكشف خبايا والأسرار في مختلف الشؤون كونه أداة اتصال ووصال دائم . و المعروف أن فن الترسل عرفه أديبا العرب منذ العصر الجاهلي، فقد احتفظت لنا كتب الأدب مجموعة من الرسائل رغم قلتها إلا أنّها تبقى عنوان عصر مضى ورمز للحياة العقلية آنذاك. و الأدب الجزائري هو الآخر كانت له وقفة تاريخية مع فن الترسل فقد تقدم هذا الفن تقدما محسوسا من حيث الكم ، أما من حيث النوعية فقد ظل يتسم بسمات المدرسة الشرقية المحافظة ، وجادت خزانة الأدب الجزائري بكتاب استطاعوا أن يرقوا بهذا الفن عاليا ، وتنوعت الأغراض و تعددت المواضيع ، فظهر فن الترسل تصوغه أقلام أفذاذ من هذا الوطن ، وقد خطى خطوة كبيرة في ميدان تنوع المواضيع وتعددها . أما من حيث الأسلوب فقد اتسم بسهولة و الوضوح فهو أسلوب يواكب الظروف ويساير العصر، فتلك الرسائل تكشف عن قدرة هؤلاء الكتاب و براعتهم في الكتابة و تمكنهم من ناصية اللغة العربية ، كما توضح سعة اضطلاعهم على الكتابة الفنية فجاء أسلوبهم أنيقا بأفكار منتقاة بينة الغرض ، جميلة النسق واضحة المعنى

خالية من المبالغة مزينة بسجع قصير زادها طلاوة و حلاوة ، كرسائل بن الأفلح و غيرها ،ويعد عام 1830م نقطة تحول في تاريخ الجزائر عامة ليس على المستوى السياسي أين غرس الاستعمار الفرنسي أنيابه بل كان ذاك على مستوى الثقافي أين ظهر الأمير عبد القادر يقود الكفاح المسلح من جهة ويربط الخيط بين ماضي الجزائر الثقافي وحاضرها من جهة ثانية.فقد استطاع الأمير عبد القادر، أن يبقى على فن الرسالة كموروث أدبي قديم وفي ذات الوقت يصوغ هذه الرسالة بأسلوب مخالف لأساليب القدامى ويظهر ذلك جليا في رسالته إلى حكام فرنسا واسبانيا، فرغم أنها في ظاهرها رسائل اخوانية تحمل آيات الود والصدقة إلا أنها تنطوي على أغراض سياسية بحتة، ورغم ذلك فقد خلص هذا الفن من ربة السجع والبديع.لقد أسهم فن الترسل في المحافظة على صياغة البيان العربي، والحفاظ على اللغة العربية من التلاشي والجمود وكتب لها الخلود في العقول والقلوب، وفن الترسل فن كتابي ينقل الأخبار، ويذهب في المواضيع كل مذهب، وقد ظهر هذا الفن إبان الحركة الإصلاحية في الجزائر بقيادة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي تأسست سنة 1930م فاستطاعت أن تعيد لهذا الفن أصالته ورونقه بفضل رجالها وعلماءها ومفكرها الذين أثروا الأدب الجزائري وأعادوا لفن الترسل بهاءه خاصة بتلك الموضوعات التي شغلت رجال الحركة الإصلاحية و التي تدعوا إلى النهوض و إلى محاربة الجهل والأمية وإعادة للدين الإسلامي مكانته وإلى اللغة العربية نصاعتها وذلك عن طريق الاهتمام بنشر التعليم وإصلاح المجتمع الذي كان يئن تحت وطأة الاستعمار الفرنسي والظروف القاسية التي خلفها.فقد عانى الأدب الجزائري أزمة وانحلالا منذ أن احتلت فرنسا الجزائر ،فقد زحفت مع جيوشها جنود الجهل وظلمة الفقر الذهني والمادي وتحالفت الجهالة والعزلة وخمود روح الإبداع عند المثقف الجزائري والصلة أقوى ما تكون بين الحياة العقلية والقومية وبين الفن والأدب ومن ثمّ فقد أصيب الأدب الجزائري بالركود وذلك نظرا لسياسة فرنسا بالجزائر فلا يخفى على عاقل أنّه أينما حلّ الاستعمار حلّت المعاناة والألم والاستبداد. والاستعمار الفرنسي كان استيطانيا فقد

حرص على الاستيلاء على الأراضي ومصادرتها وتسليمها إلى الوافدين من فرنسا وغيرها من الدول لاستغلالها، ومع ضيق الحال و العيش الضنك في الأرياف التي أصبحت تفتقر إلى أدنى شروط الحياة مما جعل الجزائريين يهاجرون جماعات ويتركون أراضيهم فاستولى عليها الفرنسيون وقد سمح هذا للمعمرين باستغلال خيرات البلاد وتسويقها إلى فرنسا ،أما في الجانب الصناعي فإنّ الاستعمار حرص على إنشاء المصانع في أماكن تواجد المعمرين لينتفعوا بها وحتى الصناعات فقد اقتصر على الصناعات الخفيفة للاستهلاك المحلي . أما الوضع الثقافي فهولا ينفصل عن الوضع السياسي و الوضع الاجتماعي وإنما يتفاعل معهما ويرتبط بهما وعلاقة الثقافة بالسياسة علاقة قوية فمد أن وطئت قدم هذا الاستعمار الغاشم أرض الجزائر عمل على هدم ومحو الشخصية العربية الجزائرية المسلمة، ولم تدخر فرنسا جهدا لتحقيق هذه الغاية لقد كانت فرنسا ترى أفضل وسيلة للقضاء على هذا الشعب وجعله أكثر ولاء وإخلاصا لها هي القضاء على عصب الحياة في الأمة ومعنى الوجود وعنوان الهوية وهم :اللغة - و الإسلام - والوطنية.

عملت فرنسا على قطع صلة الجزائر بماضيها الحضاري وبلغتها العربية وتربط لها جسرا آخر نحو اللغة الفرنسية فينشأ جيل غريب عن أصله ولغته مبتور الصلات بماضيه الحضاري فيصبح أكثر انقيادا ويسهل عليها جعله تابعا لها في كل شيء .

فمخطط فرنسا كان واضحا ، فهي تهدف إلى طمس معالم الشخصية الجزائرية العربية المسلمة وكان ضرب اللغة العربية في عقر دارها أشدة وطأة من كل الوسائل الأخرى فأن تسلب من شعب ما لغته فإنك بذلك تسلب منه مفتاح تحرره .

ولم تكن اللغة العربية وحدها محور حرب فرنسا ضد الجزائر بل عمدت إلى محاربة الدين الإسلامي وتشويهه لأنه كان سببا في احتفاظ الجزائري بلغته العربية التي عمل الاستعمار على وأدها وهذا ما جعل فرنسا تتخذ من الدين الاسلامي هدفا لحردها فألصقت به البدع والخرافات وجعلت من رجال الدين أتباعا لها.

إنّ موقف فرنسا كان واضحاً من الإسلام فهو في نظرها عقبة كبيرة أو حجر عثرة في طريق زحف المسيحية إلى نفوس وأفئدة الجزائريين، فالإنسان الجزائري كان يؤدي واجباته الدينية من صلاة وأذكار وغيرها باللغة العربية وهذا في حد ذاته تحدي كبير لفرنسا التي حاولت أن تقضي على هذه اللغة ومن جهة أخرى فإنّ تعاليم الدين الإسلامي والتي تدعو إلى العمل وشحن الإدارة في الحياة الحرة المستقلة كانت عقبة كؤود في طريق برنامج فرنسا الوحشي الخبيث لذلك عمدت إلى هدم قلعة الجزائر الحصينة - الإسلام - وذلك عن طريق نشر الخرافات وتشجيعها في الأوساط الشعبية واستعملت في ذلك أصنافاً من الدجالين والمشعوذين و بعض مشايخ الطرق الصوفية كما عمدت إلى نشر برائين الإلحاد في الأوساط الشبابية وذلك عن طريق المدارس التبشيرية كما عمدت إلى غلق الزوايا بحجة أنها محرّضة على الثورة، ونفي رجال الدين .

سياسة أخرى اتبعتها فرنسا وخطة انتهجتها من أجل القضاء على الشخصية العربية المسلمة الجزائرية فبعد أن صادرت الأوقاف الإسلامية والتي كانت منبع الأعمال الخيرية خاصة المشاريع التربوية كبناء المدارس والزوايا لأن الاستعمار كان يدرك أنّ التعليم هو شريان الحياة حاول قطعه لتموت الحياة الثقافية في الجزائر، بالإضافة إلى محاولته إخماد جذوة العلوم والمعارف المنبثقة من المساجد والكتاتيب وذلك بتحويلها إلى كنائس وإصطبلات، واتخاذ أرباب الطرق الصوفية أتباعاً له وأذياً لزيادة على تفشى الجهل والأمية بعد انتشار المدارس الفرنسية على التراب الوطني، وهذا ما أدى إلى هجرة الأهالي لهذه المدارس ومقاطعتها. كل هذه العوامل أدت إلى انتشار الجهل والأمية في الأوساط الجزائرية تمهيداً لمسح الشخصية العربية الإسلامية وذلك باتباع سياسة الإدماج، وإن كانت سياسة فرنسة وتنصير الجزائريين هي في الأساس منطلق لمصطلح الإدماج، فأن تأخذ من شعب ما لغته وتحرمه من دينه فإنك بذلك تذيبه في كيان آخر وهذا ما حاولت فرنسا تطبيقه .

وسط هذا الجو المشحون بنار الاستعمار ونير الاستعباد ظهرت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وتأسس هذه الجمعية لم يكن وليد الصدفة فقد سبقته ارهاصات مبكرة بتشكيل جمعية تظم تحت لواءها الطبقة المثقفة والتي تدافع عن الإسلام والمسلمين فسياسة فرنسا المنتهجة في الجزائر كان

لابد أن يتمخض عنها عواقب وآثار لدى فئة المثقفة وكان للطلبة المثقفين الجزائريين العائدين من جامعات تونس والمشرق الأثر البارز في تكوين هذه الجمعية فالنخبة المثقفة المتشعبة بأفكار محمد عبده الإصلاحية وأفكار رشيد رضا التي كان ينشرها في مجلة المنار كانت على استعداد للتلاحم والانضمام إلى الشيخ ابن باديس، لقد كان تأسيس جمعية العلماء الجزائريين ثمرة نقاش طويل ومبادرات عديدة ، إذ يعتبر عقد الثلاثينات الذي تأسست فيه هذه الجمعية فصلا متميزا في تاريخ الجزائر من زاوية تاريخ حركة الأفكار ولكونها كانت مرحلة مخاض واختمار الأفكار التي سوف تشكل ذهنية المجتمع الجزائري وتبلور رؤاه حول مختلف الجوانب وتوجه مساره ضف إلى ذلك شخصية ابن باديس مؤسس الحركة الجانحة إلى السلم والاعتدال وأيضا الطابع الذي ظهرت به الحركة والذي اصطبغ بصبغة دينية محضة ، لذلك ظهرت هذه الجمعية في وسط يتسم بالهدوء و منثم استطاعت أن تستقطب إليها جميع شرائح المجتمع فانضم إليها العلماء المصلحون من كافة الاتجاهات يحذوهم أمل واحد وهو امكانية تغيير الأوضاع إلى أفضل الأحوال.لذلك نلاحظ أن الجمعية وهي تسطر أهدافها ركزت على ما يخدم الأمة الجزائرية المسلمة العربية، فمن الدين الإسلامي وإعادة تنويره إلى اللغة العربية وإعادة بناءها نجدها أيضا سطرت هدفا آخر يجمع بين الهدفين الأولين ويعزز الروابط بين الجزائريين وإخوانهم العرب المسلمين فجعلت الهدف الثالث المحافظة على الشخصية الوطنية بكل مقوماتها والمحافظة عليها لا يكون إلا بإحياء الإسلام وإحياء اللغة العربية وإحياء التاريخ الإسلامي وجعل الفرد الجزائري يشعر بل يتأكد أنه جزء من هذا الوطن العربي الكبير، وأن له تاريخ حضاري يشرفه ويربطه بإخوانه العرب.لذلك وقفت الجمعية حاجزا صلبا أمام هذه المحاولات لمسح الشخصية الوطنية العربية الإسلامية الجزائرية، وعاملت الاستعمار والذين يقفون معه بقاعدة الإسلام التي تعتبر الحكمة ضالة المؤمن أتى وجدها أخذها، ففرقت بين الحضارة الغربية من جهة وبين أنصار التغريب من جهة أخرى ، بالإضافة إلى اصلاح المجتمع المتصدع استطاعت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أن ترسم معالم أدب خاص بها، فالأدب ينمو في بيئاته ويتغير وينمو بمراحل مختلفة، تاركا في كل مرحلة بصمات فنية وموضوعية،

تجعل لكل مرحلة ميزتها الخاصة، وتعطيها انفرادية، وعنوانا لوجودها، فمع ظهور هذه الجمعية، أصبح للأدب طابعا خاصا يلون هذه المرحلة فقد اتخذت الفئة المثقفة في هذه المرحلة طريقا غير طريق السلاح في الدفاع عن الجزائر ومقوماتها إذ سلكت طريق الإعلام والصحف خاصة بظهور الشهاب والبصائر للوجود فاتخذت الجمعية هاتين الجريدتين منبرا حرا للتعبير عن ما آل إليه الوضع بالجزائر، وقد نتج عن ذلك ظهور أدب خاص بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين كما عملت جمعية العلماء المسلمين على إعادة الإشراق والبهاء لدين الإسلامي وإعادة غرس اللغة العربية في النفوس، كما عملت أيضا على خلق أدب رفيع، يستحق أن يوسم بأدب الجمعية فكما يحتاج الإنسان إلى الدين نقي من الخرافات يطهر نفسه، ويحتاج إلى لغة سليمة يعبر بها عما يختلج في صدره يحتاج أيضا إلى الأدب يعبر عنه، والحقيقة أن جمعية العلماء بعدما اتخذت الصحف منبرا للنشر والإعلام، خصصت مساحة في هذه الجرائد للأدب فنجد مثلا في جريدة البصائر، ركن "الأدب الجزائري" تنشر فيه أشعار لشعراء جزائريين، أمثال، محمد العيد آل خليفة، أحمد سحنون والمتتبع لجريدة البصائر وتلك النماذج التي كانت تنشرها يدرك أن تلك الأقلام إنما كانت تتغنى بآمال الشعب وطموحه في الحرية والاستقلال، كما كانت تصاغ بأسلوب عذب رائق الديباجة فالمواضيع التي كانت تنشر على جريدة البصائر، كانت تتوافق وذوق القراء بالإضافة إلى أن كتابها كانوا يراعون أوضاع المجتمع الجزائري ويحسبون حساب كل الفئات. لقد استطاعت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، أن تطرق فنون الأدب الجزائري، وتجعل لها روادا وأعلاما لهم قضايا يدافعون عنها، وأصبح أدبهم فن قائم بذاته له أصحاب وأدباء وأدوات وطرق وإبداع.

فظهر الشعر بمواضيعه الإصلاحية و لا غرو في ذلك فقد كان الشاعر هو صوت الأمة المعبر عن آلامها و طموحاتها، مهتما بقضايا الشعب، ساكبا شعره في قوالب شعرية، بل و من الشعراء من جعل شعره كله تقريبا في خدمة الشعب .

وظهرت الخطابة بنصاعتها و قوة بيانها فقد استطاع رجال الجمعية أن يطورا فن الخطابة ويجعلوا له لمستته الخاصة، وأن يضيفوا عليه مسحة إصلاحية. فهم رجال الإصلاح الذين حملوا

على عاتقهم إصلاح الفرد ومن ثم إصلاح المجتمع فجاءت خطبهم آية في الإبداع خاصة وأنها جمعت بين دعوة إلى ايقاظ الضمائر بصياغة حانية ووضوح في الموضوع والأخذ من التراث العربي العريق وبذلك أعادت لهذا الفن بهاءه الذي كان عليه قبل عصر الضعف. و ظهر فن المقال إذ جاءت مقالاتهم تجمع بين العناية بالصياغة وبين التعبير عن العاطفة والشعور المتقدم، كما جمعت بين الفكرة الإصلاحية في مضمونها وبين الجمال الأدبي في تعبيره، فقد رصدت مقالاتهم الواقع وعبرت عن موقف كتاب الجمعية تجاه المجتمع ونحو قضايا شغلت أذهان الناس وكانت محورا إشغالاتهم واهتماماتهم .

كما ظهرت القصة ولم يكن الدافع إلى كتابتها دافعا فنيا أديبا بقدر ما كان الدافع خدمة الفكرة الإصلاحية، أي اصلاح العقيدة وإحياء التراث من لغة وتاريخ وأدب. و برز فن المسرح إلى الوجود بخصيته التي تلونه وهي كتابة المسرح باللغة العربية الفصحى ، و ساهم في بناء النهضة الإصلاحية و العلمية في الجزائر .

كما أنّ الحركة الأدبية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين قد واكبتها حركة نقدية ساهمت في تنمية الذوق الأدبي .

فنّ الترسل كغيره من الفنون الأدبية عرف هو الآخر طريقه إلى الجمعية، فتناولته أقلام العلماء لكنه كان أكثر خصوصية كونه نشاط إنساني ووجداني ، وقد عرف فن الترسل قفزة نوعية، وحظي بمكانة خاصة عند العلماء الجمعية، فقد كانت الرسائل بالإضافة إلى وظيفتها

الإصالية كانت تعتبر منفذا وملجأ يلجأ إليه الكاتب لنشر أفكاره وخواطره، وأراءه وفق ما يتمشى مع الأحداث آنذاك، كما أنه طور في الأسلوب والطريقة واستطاع هذا الفن أن يعيد للغة والعبارة أصالتهما في ظل الحركة الإصلاحية فقد اهتم العلماء بهذا الفن كونه يهدف إلى مخاطبة العاطفة، بهدف التأثير في الملتقى، ولأن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ظهرت في زمن كان فيه الشعب الجزائري يعن تحت وطأة الاستعمار وكان العالم العربي والإسلامي بأسره تتقاذفه تيارات التمزق وتكالب الدول الاستعمارية، فكان لزاماً أن يظهر هذا الفن في أدب الجمعية بقسميه: بركات ورسائل.

وقد ظهر فن الترسل بمواضيعه المختلفة من إشادة وشكر وتهنئة وتعزية وشكوى وعتاب وغيرها من المواضيع التي تناولتها أقلام المصلحين . لقد عبرت الجمعية عن المحيط المتري الذي كان يتخبط فيه الشعب الجزائري والعالم العربي الإسلامي على سواء وفق منظورها ووفق قدرات رجالها الإبداعية والفنية، فقد سخر رجال الجمعية أقلامهم لخدمة الوطن . لأن أكثر ما يقوم عليه فن الترسل هو إثارة العواطف وتوجيه المشاعر بكلمات موحية وعبارات جميلة تهمز الكيان وتؤثر في النفس، وبذلك سما هذا الفن في رحاب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وتطرت إليه أقلامهم، ونقل لنا أفكارهم وخبايا نفوسهم.

وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين كانت قد حملت على عاتقها السير بهذا الجيل إلى منابع الثقافة العربية الأصيلة، وحثهم على الاقتداء بفضائل العصور الذهبية، وعدم الركون إلى السهل والضعيف كون ذلك لا يساعد على تفتيق الأذهان وتجويد الأساليب ، وهذا لا

يكون إلا بتكوين الناشئة على الحس الأدبي والتذوق الجمالي والسير به نحو قيم الجمال والخير، وما أحوج الجزائر وهي تمر بأزمة خانقة أين حوّلها الاستعمار الفرنسي إلى جسد منهك يبحث عن روح قوية تُبعث فيه فتعيد له قوته وسلطانه وقد كانت جمعية العلماء هذه الروح التي تبعث في هذا الجسد ليعث من مرقد من جديد، فبتمكينه من الإحاطة بتراثه الروحي والثقافي والأدبي، والوقوف به على عناصر أصالته كمجتمع عربي من أمة إسلامية تجعله قادر على خلق المعجزات. إنّ كتاب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين استطاعوا طبع عنصرهم الأدبي بطابعهم والتأثير في الناشئة بقوة أدبهم وبراعتهم في الكتابة، فنصوصهم الأدبية وخاصة- رسائلهم- تعد مظهرا قويا لميزات أدبهم وسماته وذلك كله بفضل الخصائص الفنية التي طبعت كتاباتهم. فالأسلوب الثري يختلف عن الأسلوب الشعري، وكل أديب له أن يعترف من المنبع الذي يراه ملائما لموهبته، متخذا أسلوبا خاص به في عرض أفكاره وخلجات نفسه ليختلق عملا يكتب له الخلود، ويحمل صاحبه على أجنحة السمو ليصبح سفير الكلمة الرائعة ويقدم أوراق اعتماده رسالة نبيلة من فكر لا ينضب إلى نفوس متعطشة إلى الكلمة الصادقة والمعبرة وحتى يتمكن الأديب من عرض أفكاره وجب عليه امتلاك زادا معرفيا وأدواتا بلاغية، وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين يعود لها الفضل، كونها لفتت الانتباه إلى أهمية العمل الأدبي وذلك بوصفه تمييز وهوية ولأن أسلوبها يرتفع عن الابتدال ولا ينقطع عن المجتمع ولا عن القراء، والتعبير عن خلجات النفس، ومضامين الأفكار، وقد كان هدف جمعية العلماء إيصال أفكارها إلى الجماهير المتعطشة إلى نبراس يضيء ليلها الحالك وسط ظلمات الاستعمار فكان عليها أن تتبع أسلوب يصل إلى القلب والعقل معا، وإن كانت مخاطبة الوجدان هي من أبلغ المخاطبات فإن مخاطبة العقل يستلزم اتباع أسلوب معين، يستطيع أن يقرب صاحبه من القارئ، ويجعله ينصهر معه في بوتقة واحدة، حتى يشعر هذا القارئ أن هذا الأديب قد عبر عنه في حين عجزت كلماته عن الإتيان ببيان مثل بيانه، وأسلوب كتّاب جمعية العلماء المسلمين في كتابة رسائلهم، أسلوب عذب

مؤثر، لأنه صادر عن كتاب جمعهم وحدة المصير، والهدف المشترك، فجاءت رسائلهم آية في الإبداع الخلاق الذي تنامي عبر الزمن لينقل لنا تجربة رجال حاولوا غرس القيم الأصلية ومعطياتها وتلوين الواقع الجزائري بها وهذا يتضح جليا في بناء رسائل هؤلاء الكتاب، هذه البناء لذي لا يختلف عن بناء الرسالة في العصور الذهبية، مما جعلهم يكتفون هذا الأسلوب وفق ما تقتضيه تلك المرحلة لأن نزعتهم واحدة وثقافتهم منبعها واحد، ومذهبهم مشترك ثم إن من الضروري أن يلم الكاتب إماما يؤهله لكتابة الرسائل كونها صناعة معروفة وحرفة مشهورة، وإنه لمن الضروري على كاتب الرسائل أن يتسلح بالأدوات المعرفية التي تؤهله لخوض غمار هذه التجربة الكتابية الشعورية التي عمادها دفء المشاعر وفيض الإحساس فلكل أديب تجربته الخاصة لا يشركه فيها غيره فهي تصور مشاعره وأفكاره وفق حالته النفسية، بالإضافة إلى المؤثرات الخارجية والتي قد تعكس أثارها على أدبه، لذلك نجد كتاب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين قد صقلوا رسائلهم بالطابع العام للجزائر وخصوصيتها في الفترة الاستعمارية، أيضا نجد أن تلك الرسائل قد صورت الأوضاع الجزائرية حينذاك ونقلت صورة واضحة لأهداف الجمعية ويظهر ذلك في تلك المواضيع التي عالجها هؤلاء الكتاب في رسائلهم وهذا ما حرص عليه كتاب الجمعية، نقل الواقع الجزائري وانشغال الجماهير، و من ثم فإن اختيار الألفاظ المناسبة عند كتاب جمعية العلماء المسلمين وتديج بها رسائلهم لم لن يكن قائما على اللفظ المعقد و لا مغرقا في الإكثار من التكلف فقد حرص هؤلاء الكتاب على انتقاء ألفاظهم و حرصهم على التناسق بين الألفاظ و الملائمة، ومشاكلة الكلمة لجارتها، ومما يمكن الإشارة إليه أن هؤلاء الكتاب لم يسرفوا في توظيف الألفاظ الخطائية، وإنما كانوا يستعملونها باعتدال وبمنطق، وقد اختاروا منها ما يوافق تجربتهم ويصور شعورهم .

إن رسائل الأدباء الجمعية قد أبانت عن شيء من الاستعداد والموهبة ففي هذه الرسائل أطلق هؤلاء الكتاب العنان في التعبير عن ذواتهم دون استكراه لمعنى أو تحمل للفظ فهي تهدف

إلى امتناع العقل وتغذية الروح فجاءت ألفاظهم المستعملة مسبوكة سبكا غريبا واضحة المعنى.

ولو تأملنا جيدا في حياة هؤلاء الرواد من جمعية العلماء لوجدنا أن حياتهم كانت لوحة زاخرة من النضال والكفاح وما ينتج عنه من متاعب كالسجن والنفي والبعد عن الديار وهذه الحالات كلها تؤجج العواطف وتلهبها وتجعل صاحبها كتلة من الأحاسيس مما أعطى رسائلهم لونا مميزا ومذاقا خاصا، إنهم يختارون صورا ويصنعونها في إطار من الألفاظ تتناسب وأثر الانفعال الذي يحسون به، وحتى تؤدي هذه الرسائل الدور المراد لها، اختيرت لها الألفاظ المناسبة وحليت هذه الألفاظ بالمحسنات كالإيقاع فتشعر الكلمة ليس رهينا فقط للسجع والازدواج ، بل قد يكون احساسا يعبر به الكاتب عن عواطفه ، فكثيرا من رسائل أدباء الجمعية لا نجد لها مسجوعه ولازدواج فيها لكن هناك إيقاع خفي أو جدته عاطفة الكاتب الصادقة ورهافة إحساسه بمعاناة شعبه، فتوفرت رسائلهم على سلاسة وتناغم موسيقي رائع. إن أسلوب رسائل جمعية العلماء يعتمد في الأساس على جمال العبارة ورسالتها والإكثار من التقطيع في العمل، مما يعطي للرسائل إيقاعا صوتيا هو ثمرة انتخاب الألفاظ الرشيقة مع تعادل في الفقرات والجمل على نحو السجع، فجاءت رسائل هؤلاء الكتاب أبعد ما تكون عن الصنعة ، ألفاظها مألوفة في غير ابتذال فقد جاءت عفوية لا تكلف فيها ثم إن تبادل الوظائف بين الشعر والنثر هو من ثمرة المبدعين وبلاغتهم التي تهز النفس وتملأ الفؤاد روعة وجمالا. ورغم الظروف الصعبة التي كان يعيشها كتاب الجمعية فإن محصولهم المعرفي الكبير وثقافتهم العربية الأصلية جعلتهم يعرفون من التراث شتى أنواع البديع ويزركشون بها رسائلهم فهذا السجع يجري في كلامهم عن طبع مصقول، فقد حليت رسائلهم بالسجع وكل العبارات كأنها حلي مختارة سواء في اصطفاء الألفاظ وتوشيتها بالسجع فهي مفعمة بالعواطف الصادقة ومرصعة بجواهر الألفاظ البليغة . ثم إن الزاد المعرفي لدى هؤلاء الكتاب جعل ألفاظهم في رسائلهم تنضح بالقيم، فتتقطر منها الموسيقى والمعنى

والذاكرة والبساطة والزخرفة والصورة والفكرة، هذا الانفعال الذي أوجدته الظروف ، وجعلت كتاب الجمعية يلونون أسلوب رسائلهم وذلك بشحن العبارات شحنا دالا على مدى الصدق المختلج في الصدور. إنّ رسائل هؤلاء الرواد من جمعية العلماء المسلمين قد حليت بشتى أنواع التصوير الجمالي الذي تشرّب له الأعناق لتسمع منه المزيد ، فالإضافة إلى تلك المواضيع التي عالجها هؤلاء الأدباء فإن القراءة بين السطور لتلك الرسائل تفصح عن شخصية أصحابها المبدعة والمبتكرة في زمن القحط الثقافي الذي كانت تعيشه الجزائر آنذاك .

هذا بالإضافة إلى التضمين و الاقتباس ،فالمحفوظات الغزيرة لدى الأديب تعتبر زادا معرفيا ممتلكا له فيه كل الحق في استعماله والانتفاع به، ورفض تلك المحفوظات داخل عمله الأدبي. ثم إن الأعمال الشهيرة هي التي نستشعر فيها وجود آثار السابقين من أشعار وأمثال وما إلى ذلك. والأدب الرفيع فوق كل هذا هو الذي تظهر من خلاله شخصية الأديب وهو الذي يبرز مذهب هذا الأديب في الحياة. وأول هذه التضمينات القرآن الكريم والذي يعتبر أهم معين يستند إليه الكاتب في كتاباته الأدبية ضف إلى ذلك فإن القرآن الكريم كان وما زال هو المصدر الأول الذي يهرع إليه الأدباء ليمثلوا بآياته وألفاظه فيأتي أدبهم في قمة الجودة وروعة لذلك نجد رسائل أدباء الجمعية تزخر بهذا الرافد الأساسي والذي نجده حاضرا في رسائلهم اقتباسا وتضمينا فالألفاظ القرآنية تمتاز بجمال جرسها الذي يترك أثرا جميلا في الأذن و بالتالي تنساب في الوجدان والعقل معا .

لقد كان القرآن الكريم المنبع الأساسي الذي غرف منه أدباء الجمعية ثقافتهم، وهو النموذج المحتذى أسلوبا ومضمونا للقرآن طرائقه في الهجوم على قلب القارئ والاستلاء على وعيه وضمان استغراقه، وأدباء الجمعية أودعوه مطاوي كلامهم ، فجاءت رسائلهم عذبة تستعينها الأذن وتأنس لها .

يعتبر الحديث النبوي الشريف المنبع الثاني الذي اغترف منه هؤلاء الأدباء ثقافتهم فصقلوا مواهبهم بها وانعكست على أدبهم، إذ نجد اقتباسات وتضمينا للأحاديث النبوية في ثنايا رسائلهم . وليس بمستغرب أن يأتي هؤلاء الأدباء في سياق رسائلهم أحاديث نبوية ، فهم المتشبعون بالثقافة الإسلامية الحاملين للواء الإصلاح الديني بالدرجة الأولى لذلك جاءت رسائلهم تفوح منها رائحة الأدب الإسلامي بمضامينها شكلا ومضمونا لأنها اغترفت مادتها من أصفى الينابيع: القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، وهي خاصية لا تتأني إلا من أوتي زادا معرفيا يؤهله أن يدخل محراب الكتابة بكل أمان ، كون القرآن الكريم المصدر الأول للشريعة الإسلامية، والحديث النبوي الشريف هو المكمل والشارح له.

بالإضافة إلى القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف فقط زركش هؤلاء الكتاب رسائلهم ببعض ما حوته ذاكرتهم من الشعر العربي الأصيل وذلك الكاتب الحقيقي ثم إن الإنسان العربي بصفة عامة نجد أنّ الشعر محبوب في نفسه ، مثبت في وجدانه فنجده بين الحين والآخر يضمن كلامه بيتا من مما جادت به ذاكرته ، فمهما حاول الكاتب أن يجعل لغته شعرية وجعل لها إيقاعا خاصا ولوئها بالسجع وغيره، فإن هذا لا يغنيه أبدا على يجعل في مطاوي كلامه بيتا أو بيتين من الشعر وذلك وفق الحالات الشعورية للأديب .

لقد احتفظت ذاكرة هؤلاء الكتاب بالكثير من الشعر، وانعكس ذلك في إرثهم الثقافي، ثم أن الغوص في مكونات دواوين فحول الشعراء القدامى واستخراج الدرر منها يضفي على الأعمال الأدبية شيئا من الجلال، ويسوغ في النفس القعود عن التحدي والمطاوله.

إن هذه الديباجة في الرسائل، ومزج النثر مع الشعر وليده المهوبة الخالصة، ودليل على قدرة فائقة باستخدام المعاني والألفاظ ، فاختيار اللفظة المناسبة والموحية من شأنه أن يخلق جواً إبداعيا فذاً ، والتعبير عن الفكرة هو أساس العمل الأدبي، ثمّان هذا المزج بين الشعر والنثر

يجعل النص الأدبي قويا متنوعا وترص صاحبه في خانة العباقرة، ويعطى مساحة خاصة للنص الأدبي المشحون بانفعال حاد وقوي فيكتب له الخلود ويصنف صاحبه في خانة العظماء فما أكثر الناس وما أقل العظماء، فلم يقدر لرجال أن يعاصروا صراعا أهولا ولا أروعا من الصراع الذي شهده رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، ورغم ذلك فقد كتبوا أسمائهم بأحرف من ذهب في ذاكرة الأجيال، وإنّ تاريخ العالم ليس إلا سيرة الرجال العظماء .

Introduction:

In the name of Allah the most merciful the most gracious, praise to God the possessor and the majesty, peace and blessing be upon our prophet our master Muhammad and his family and followers to him honestly to the Day of Judgment.

The effects of some nation's literary is the title of authenticity and pillar survival, moreover, these effects are only performed by message in life, and the epistolary art of those effects known by man since the ancient era of nomads accompanied him to the era of urbanization and civilization and the lice knight's speech, and the pioneers of oratory and rhetoric, this has led the art hopes his owners who stood up messages of humanity and carried the message commissioned themselves.

The epistolary art considered from the world literature the heritage of a nation is not almost devoid of this type it is from the art which translated fiction into reality pronounce by tongue and reserve it in books between its rudders for centuries.

In addition to that this art have a contents expressive make it rise to the level of poetry which considered the first Arab art, and which get important share in literary studies through the ages even if it is at the expense of prose in lot of cases and no harm in that because the whole of human nature pulls rhythm that shakes conscience and delighted the ears.

And not far from the rhythm of poetry, the epistolary art had appear with its particularity being a literary art of value did not deny, and got the attention of researchers, and draw it works and messages, hardly the era passing expect t the epistolary art present in search and study: from both a crowd Arabs messages, and the epistolary art in pre-Islamic era and early Islam to the art of in Andalusia literature and the other studies that tried to uncover this art and it privacy through the ages .

The meaning is that the epistolary art have a large position in the center of literary genres ,it serves as diving in the deft of history or trip through the past time and tour of the treasures of the ancients and all they have left as their donation sacrifice by their talent in the case of clarity of mind and address the

existence of self-poet because what epistolary art does more is stirring emotions and directing feeling by suggestive words and beautiful phrases shaking entity and affect the self he is also the exhibition display a greatness works ,and the office attesting to the virtuous qualities of those who come generation .

For this purpose that I thought to stand at this art in the literature of the Algerian Muslim Scholars Association, after a careful reading of the modern Algerian literature and carry out the literary genres that have accompanied the reform movement in particular, made us face to the following problem:

Where is the epistolary art among these species?

Was the epistolary art featuring privacy at the men in the assembly or imbued during his historic from age of Abdul Hamid to the age of Ibn Elamid?

Is it possible to the men's reform who gave their lives in guiding the nation and guides them to have another conversation space for self? Although there have been messages which printed their lives, so what is its written protocol, with what it start and, with what it sealed, and what are their themes? What style it's written by, and what the extent of the approval of style for those who sent him the message? How these reformers employed in the service of their messages and address the reality of the Algerian crisis in those days of French colonialism and resulting social and cultural backwardness?

And that of the main reason that led me to do this research are:

-the Algerian Muslim scholar association in addition to that it was the spark that ignited the fires of revolution, and burned by it blaze a colonial powers and paved the way for generations to pass in to the freedom and independence, it also awakened the pens of lethargic, and made her place on the leaves, there was literature in its different forms.

In addition to the self cause is my admiration to the prominent figures in this assembly: Sheikh Abdul Hamid Ben Badis and Sheikh Mohammed Bachir Ibrahimi who characterized by wisdom and values of tolerance and dissemination of knowledge in the Algerian centers especially after my tour in sheikh literature park, in master's thesis together with my teacher Dr Mohammed Abas, and my discovery of these personal inimitable, I was

fascinated in its literature who compared by great ,writers and Arab poets this was the motivation to knocking the door of Scholars Association, and get to know his friend who irrigates with him by the same sources and stand on the literary production, especially In the field of epistolary art.

To answer such these questions I wondered in the garden of the modern Algerian literature I tried to collect Diaspora letters from books and that I will be through the heart of this study and which I divided to introduction and two titles.

The introduction is a point with epistolary art throughout the definition .constitution and the origin, and how he planted roots in deep of the literary art both its ancient and modernity.

The first title has two chapters:

The first tile which we dealt in the situation of Algerian society before the advent o Algerian Muslim Scholars Association, where French colonialism tried to eliminate the Algerian Arab Muslim personal, and that by trying to demolish these personal shovels of the Arabic language and the Islamic religion and national identity .and sophistication in the elimination of everything that touches the Algerian entity.

We also talked about the appearance of Algerian Muslim scholars association, which its appear was like a rain which descended on the land droughtiness, then revived it through its activities, which included all aspects of life, and so she was able to reform Algerian man which a France did on demolition all his aspects, so it reform its spirit newly ,and refresh the culture by consequent different parts of art in literature was appear ,this is what we tried to answer in the second chapter of the first title and which we dealt with it the Scholars Association literature :poetry, speech, essay, story and criticism, these writers tried to feed the Algerian literature by the spirit of time in terms of different arts, and dye it by Algerian dye in terms of themes .

The second chapter from this title contains two chapters too: the first chapter concerned the epistolary art, under the title: The media, the messages and the topics, and that by standing on the letters topics then provide a complete models of reformers letters, with a small pause about biography and

the march of the pole of each pole assembly, and the opinions of his contemporaries and came after his tolerant person, while the second chapter concerned the art study, and that through the style study, the poetic text, his music and compositions, and its quotes and its contains, this is the core of the aesthetic study, then the conclusion was the harvest summary.

We take a way in this study an approach required by the nature of the search which is the historical method with analysis in addition to the descriptive approach by identifying the topics messages for the men assembly, it is essential that includes a lot of research direct quote from speeches, articles and letters. To familiarize themselves with aspects of research we relied on a number of sources, and the importance of references varies according to the subject relevance, among these sources we hold archive resources which are their newspapers: Mountaqad, Chahab, Bassaer and Ben Badis works list, the full effects of Sheikh Ibrahim, the effects of Sheikh Mubarak Almili, the Sheikh kheireddine diaries and other's. I also adopt on list of book for Mr. Raba turki and Mr. Busafsaf Abdul Karim and on other valuable books which helped me to realize this research, I also took a view of list of previous studies in the same subject as a letter of master which is: the epistolary art for Abdul Hamid and ibn Amid by Faisel Hussein Tahmir and a letter of Muhyiddin Mohammed: Brahimi culture ant his impact on his style, and other previous study.

Finally I thanks God who blessed me with determination and love of science, I also pleased to record letters of thanks went deep and sincere appreciation and respect to Mr and Dr Mohammed Abas for his great interest and caring , advice and guidance, may God protect him .By his interest and caring this research was appear on this pattern and sequence, God bless him as He blessed the works who are loyal to the religion and the home land. If he find cosine and perfection in this letter it is reconciling God Almighty, he instituted glory and perfection, and thanks to my teacher, and if he find a lack it is by myself, I ask God's pardon and forgiveness, and this letter be a pause followed by another's then be open to research to achieve a subject and the approach in this study.

We trust on God.

Tlemcen: 03-02-2015.

Conclusion:

After this round in the modern Algerian literature garden, and our stand in front of Algerian Scholar Muslim association and its role in activating the cultural life in Algeria, we conclude the following:

1-the Algerian Scholar Muslim association appeared groaning under the weight of French colonialism it was like a moon shining in the sky of Algeria, the light shining on minds and spread to the pens, skip to the beginning of an intellectual renaissance in Algeria.

2- The association literature issued by scientists gathered together national interest above all else it is reformist literature aimed to reform the society as whole.

3-Each of them is characterized by the literary figure from others in the drafting of the texts in terms of style and themes and mode of expression.

4- The person who read the association literature realizes that he did not interrupt the relevant heritage of the ancient Arab; literature has constructed texture of modernity and its track to not break the link of their national heritage.

5-This literature had led a message to the generations, and expressed needs of the Algerian society, is it again emergency events, fake feelings and temporary emotions, it is in particularly its properties and more accurate features is an expression of the thoroughbreds, deepest highest spirit of writer, it is also serves a full services the community values and the spirit of struggle without any lack or falsity or sprain.

6- The art writing varied for the association men, but the epistolary art has his privacy privilege ****because it appears in the character of the literary integration, it is issued by the conscience, and addresses the mind at the same time.

7- The epistolary art was strongly present in literature of the association, their letters characterized free from affectation and dress up in wording but they focused on clarity of meaning and abundance word, and strength intent, also free from deification, veneration and stay away from long introductions.

8- These letters represented the age and the time, in which it's written, it is an honest mirror to what it was the time of the Algerian society, morals, values, customs and habits, it also quoted us a culture of writing, they read the Koran and learned more poetry and they knew different science those are the equipage of every writer in every age.

9- These letters quoted us a culture of written and highlighted their mastery of the Arabic language, and their awareness of everything, which was in effect hone their talents, sharpen their minds, widening horizons thoughts and varied sources as I've ever photographed pens of ideas and opinions and they had a significant impact of the Algerian Arabic writing what God blesses them by the willingness of fungal and breathtaking talent and sharp intelligence, and their good understanding, their knowledge of secret of the community.

10- Their letters had also characterized by kind words, the flow of emotions, and the diversity of music, the clarity and breadth sentence, and contain the reference methods, symbol and imagination, it become for the epistolary art a high status and the dominant presence in their creative experiences.

11- The talk about the Algerian Muslim Scholars Association and activated cultural life in Algeria raises self in grief and revived in the breasts the hope and strengthens the resolve of workers for the sake of present worth mentioning that the past and the future better than the present and the past.

القلم

مجلة لغوية أدبية دورية أكاديمية محكمة

يصرها:

• الأستاذ الدكتور: المختار جوعناني

• الأستاذ الدكتور: مكي درار

• الأستاذة الدكتورة: صفية مطمري

من قسم اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب واللغات والفنون

جامعة وهران السانية

العدد الثاني (22) والعشرون أكتوبر 2011م

الإيداع القانوني: 2006 - 920

ISSN : 1112-69-06

بريد المجلة: URLZOHRA@gmail.com

2 - أ.د. كمال بشر، علم الأصوات، م.س، ص 323-324.

3 - معروف عند علماء الأصوات أن هذا الحرف يُنطق قَاءً وليس كَافًا. وعند اطلاعنا على كيفية كتابة ونطق هذا الحرف، في الحاسوب، في موضع: أوفيس 2007 - النافذة الرئيسية: إدراج - النافذة الفرعية: رموز، تبين لنا أن هذا الحرف لاتينيا رمزها (v)، ونطقه (veh)، وعربيا رمزها (قَ). وبالتالي رأينا أن يكون نطقه (قَاء)، قياسا على الفاء، التي ورد نطقها اللاتيني، في نفس الموضع الحاسوبي السابق ذكره، هكذا (feh).

4 - أوفيس 2007 - وُورد - النافذة الرئيسية: إدراج - النافذة الفرعية: رموز.

Office 2007 - Word - Insertion - Symboles

ورد تعريف هذا الحرف بهذا الموضع باللغة الإنجليزية، ثم قمنا بترجمة هذا التعريف إلى اللغة العربية على النحو التالي:

الحرف العربي عين فوقها ثلاث نقاط : ARABIC LETTER AIN WITH

THREE DOTS ABOVE

5 - مجموعة مؤلفين، المنجد في اللغة، ط 30، دار المشرق، بيروت، 1988، مادة حرف " ، ص 127.

6 - إبراهيم بن مراد: أستاذ بكلية الآداب بجامعة تونس الأولى.

7 - إبراهيم بن مراد، المعجم العلمي العربي المختص حتى منتصف القرن الحادي عشر الهجري، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993.

8 - أكادير: مدينة ساحلية سياحية مشهورة، تقع في الجنوب الغربي من المغرب، على المحيط الأطلسي.

9 - أوفيس 2007 - النافذة الرئيسية: إدراج - النافذة الفرعية: رموز.

10 - مجموعة مؤلفين، المنجد في الأعلام، دار المشرق، بيروت، 1988، الملحق: خريطة العالم العربي، ص 3.

الإيقاع الصوتي في رسالة

تحية غائب كالآيب

للشيخ محمد البشير الإبراهيمي

الأستاذة: صواغير فاطمة

جامعة تلمسان

تعتبر رسالة تحية غائب كالآيب¹ للشيخ محمد البشير الإبراهيمي (1889-

1965م) نموذجا رائعا من النماذج الثرية التي عزف فيها الإبراهيمي وتر حزين صنعه شوقه ولهفته وحنينه لوطنه الجزائر بأسلوب يديع سائغ لا ريب فيه، يأخذ الأسماع عند قراءته ويشحن القرائح عند تفهمه فكل من سمع تناسق جملة أو قرأ بعض فقراته طلب منه المزيد.

إذ أن من المرتكزات البارزة في بناء هذه الرسالة ذلك الإيقاع المتناسق والجرس المتناغم في المفردات، لأن الموسيقى ليست حكرا على النصوص الشعرية فقط، فإذا كان الشعر يتميز بجماليات الصوت فإن النثر يوظف هذا الصوت عن طريق التموج والتنوع الموسيقي يقول صلاح فضل: "التنظيم الصوتي للنثر يحتل مكانا لا يقل أهمية عن التنظيم الصوتي للشعر وإن كانت طبيعة كل منهما تختلف"² ومن هذا المنطلق برع الشيخ الإبراهيمي في انتقاء الألفاظ القوية الجزلة ذات الجرس الموسيقي الرنان متكنا على السجع لأن هذا الأخير نظير القافية الشعر. وقد استفاد الإبراهيمي من الإيقاع الصوتي والتجانس في رسالته ودبجها ديباجة شعرية وكأنها قصيدة طليية إذ يقول:

"لله في تقدير السنين أسرار

فيها تحسب الأعمار

وفيها توتى الأشجار الثمار

وفيها يتجدد الحنين والإدكار³

فطليعة هذا السلم طليعة عروضية تعتمد على الوزن والقافية (الأعمار - الشمار - الإدكار) فهنا توازن موسيقي مصدره نوع التركيب بالإضافة إلى التشابه في بعض الحروف. والنفس أشد حاجة إلى الأشياء المنسقة التي تقوم على نظام رتيب وإيقاع موزع في تناسق وتناسب، ومنه قوله:

ســـر يـــــــــــــــــــــــــــــــــا صـــــــــــــــــــــــــبـــــــــــــــــــــــــا

طاب مسراك وصفا مجراك⁴ فالتقسيم للمقطع يأتي على هذا النحو:
طاب مسراك صفا مجراك

/0/0/ /0/ /0/0/ 0//

وكذلك الكلمات الآتية: فحملتها روحا وأديتها بوحا وأعلنتها شذى وفوحا.

(روحا، بوحا، فوحا) هي كلمات قصيرة مختومة بالتنوين، إذا أن قصر الألفاظ خاصية أو ميزة صوتية يتميز بها رسالته الإبراهيمي مثل:
(بحرج، الفرج، الأرج، درج...) وكأنه شغوف بهذه الكلمات القصيرة الموحية والمؤدية للمعنى فجعلت هذه المقاطع الثلاثة وكأنها مطلع لقصيدة من الشعر الحر وجعل الألفاظ المنتهية بها وكأنها قافية نثرية.

"أما الشوق إليك فحدث عنه ولا حرج

وأما فراقك فشددة يعقبها الفرج

وأما الحديث عليك فأزهار تصوع منها الأرج

وأما ما رفعت من ذكرك فسل من دب ودرج⁵.

وهذا دليل على امتلاك الإبراهيمي زمام اللغة العربية وقدرته الفائقة على

توظيف مفرداتها في كثير من المواقع، فيجمع بذلك بين الإمتاع الفني والإيقاع الصوتي فوصل بالنتج إلى قمة شاعريته وذلك لا يكون إلا باستخدام اللفظة في النص الأدبي بقول صلاح فضل: "ليست هناك كلمة شعرية وأخرى غير شعرية وإنما هناك أسس تشعير للكلمات المستخدمة"⁶ فتشعير اللفظة تصاحبه الطاقة التصويرية لللفظة نفسها والغاية المتوخاة من تخير اللفظة على هذا الأساس تتمثل في محاولة التأثير النفسي ليتمثل

القارئ من معايشة ملابس الصورة التي يرسمها له، والانسجام الموسيقي الذي تحدثه الفواصل المتساوية والمتشابهة على أذن السامع فيتعطش للاستزاد من هذا المورد الطبيعي خاصة حين نجد الإبراهيمي يوازي ويناغم ويطابق ويقصر الجمل ويرادف ويرصع ويسجع ويجاتس ويكرر ويؤكد فهذا الأدب صوت قبل أن يكون حرفاً وتقاليده السماع بحكم قدمها أدخل في الحياة من الكتابة وأوغل في سلوك الفرد والمجتمع ثم إن وجود النبر والتنغيم فيها يجعلها أقدر في الكشف عن ظلال المعنى ودقائقه.⁷

فإذا كان الشعر العربي تحكمه الوزن والقافية، (فإن النثر الأدبي العربي يستطيع أيضا أن يتحلى بأغنى أنواع الإيقاع وأعذب الأنغام الموسيقية من خلال الطرائق الصوتية المناسبة لطبيعته والتي هي بشكل خاص السجع والازدواج).⁸ فالعمل الأدبي قد يستفيد هو والآخر من الإيقاع الموسيقي إن أحسن توظيفه، فهو بناء لغوي يتضمن إمكانيات صوتية هائلة، والأديب البارع هو الذي يحسن استغلال هذه الإمكانيات فيطبعها بطابعه ويعقلها بموهبته.

'وقد يستفيد الأديب من الإيقاع والتجانس الصوتي وغيره من الزخارف الصوتية التي يستطيع تحقيقها في عمله الأدبي.'⁹ وقد اعتمد الإبراهيمي على الإيقاع الموسيقي لألفاظ رسالته، فالعبارات تتلاحق متوازنة متعادلة تعادلا موسيقيا رائعا فالعبارات الموسيقية سر العبقريّة عند الشعراء و الأديباء هي السحر الذي ينشأ حين تتجاوز الكلمات على نحو مخصوص، هي طريقة الاستهواء الصوتي في اللغة أو هي الإيقاع الذي يتبع المعنى أو الشعور فيلقي بظلاله عليه.¹⁰ ففي عبارة ارتخيت ثم انتخيت مثلا تناسق مقطعي في البنى التركيبية.

ا / ر / ت / خب / ت
ا / ن / ت / خب / ت

فكل لفظة تحتوي على خمسة مقاطع صوتية يحتوي كل منها على حركة وساكن وتقوم على نفس الوزن مما يجعلها متناغمة الجرس، كما يبرز حرف السين الذي هو من الحروف التي تزين اللغة العربية وتعطيها وقعا جميلا تطرب له الأذن. في كلمات: (الناسين، الساترين، الأمس، السمك، الألسنة، مساهمة، سهم)، وكل هذا يجعل

لرسالة الإبراهيمي نكهة خاصة، كما أنها دليل تجريبية معرفية تمخض عنها براعة في انتقاء المفردات وتوظيفها لتخلق ميزانا شاعريا متوازن الإيقاع والجرس. فالإيقاع والموسيقى من أقوى الظواهر التي تستجيب إليها النفس ومن غير وعي ولا شعور. لقد أعطى هذا الإيقاع الصوتي لرسالة الإبراهيمي مسحة خاصة بموسيقاه المتماوجة حيناً والمتدفقة حيناً آخر، وتظهر موسيقاه وحسن الإيقاع بين الكلمات والجمل التي تبدو الموازنة فيها ضرورية بالإضافة إلى ذلك التآلف النغمي بين الألفاظ من جهة وبين الجمل من جهة ثانية.

ومن هنا يأتي اعتماده على الجمل القصيرة ذات الفواصل المتقاربة ومن ذلك ما جاء في قوله: " ... ويمينا لو تيرجت لي المواطن في حلها، وتطامنيت لي الجبال بقلها، لتفتني عنك، لما رأيت لك عديلا، ولا اتخذت بك بديلا...¹² يتضح من هذا النص أن الموسيقى المتماوجة والتي تطرب السمع والنفس معا لا تأتي من السجع الذي هو ظاهرة واضحة في أواخر الكلمات والجمل وإنما يأتي أيضا من هذا التقسيم المنسجم بين الجمل والعبارات المتوازنة وكتابتها قطعة شعرية، وتتجلى مظاهر حرصه على الموسيقى في رسالته حرصه الظاهر على السجع قد أجاد فيه كل الإجادة وخص له فصولا مطولة وكل هذا يأتي دون جهد أو تكلف بل ينبع من فطرة سليمة وسليقة. مطبوعة على ذلك وحسن صقلته زيادة طويلة المراس واحتكاك دائم بالمعاني والألفاظ.

لذلك جاءت رسالته سنفونية حافلة بالأنغام الصوتية التي تستحيل إلى مداد تعبيرية حساسة ومؤثرة مصورة لكل العواطف الجياشة، ولقد نفهم أن أخلد الأثر الأدبية العربية وأكبرها سواء ما كان دينيا خالصا أو كان أدبيا خالصا، أو كان يجمع بين الجنسين تقوم على توظيف الصوت وتسخيره للجمال الفني الشفاف وشدة الإحساس به.¹³ فعناية الإبراهيمي بالموسيقى الداخلية هي وليدة انفعاله الشديد وترجمته لعاطف صادقة متدفقة ومشاعر جياشة بالإضافة إلى ذوقه الرفيع، فاهتم باختيار ألفاظه وتفسيخ العبارات والجمل لتوفير الإيقاع من خلال السجع والموازنات الصوتية فأصبحت تلك والشعور والأذن، وهذا لا يعني أنه تقيد بتوازن أو سجع ولكنه يعني أن تراكيبه تكفي متوافقة لموسيقى أفكاره، وروعة الإيقاع وإن كانت عامة في كلامه إلا أنها اشتدت في هذه الرسالة وفق حالته النفسية، فتدفقت عواطفه وهو في حالة تأثر كبير بمفارقة وطنه الحبيب " فالوزن والإيقاع يزيد المشاركة الشعورية ويقوي التفاعل مع النص عند

المتلقين¹⁴ فالموسيقى تكسب قوة الإقناع ومزيذا من التأثير إذ " يعتبر الإيقاع الموسيقي من أهم مقومات النص الأدبي لأنه ينقله من عالم الفكر والتحليل العقلي المجرد إلى عالم الديمومة الحركية"¹⁵ وذلك لأن الموسيقى تمهد للصور من مجازات وتشابيه واستعارات مهينة النفس لها فتنتقل العمل الأدبي من عالم الجمود إلى عالم الحركة.

لقد استطاع الإبراهيمي في رسالته أن يعبر عن حنينه إلى وطنه بأسلوب تألق في عباراته وتخير ألفاظه واهتم بموسيقاه فجاء الكلام سلساً عذبا يستسيغه الذوق وتطرب له الأذن ويترك الأثر في أذهان سامعيه.

الإحالات :

- 1- نشرت هذه الرسالة في العدد 229 من جريدة البصائر عام 1953 م.
- 2- صلاح فضل . النظرية البنائية في النقد الأدبي . مكتبة الأنجلو المصرية . القاهرة . ط 1980 . ص 74 .
- 3- محمد البشير الإبراهيمي . عيون البصائر . المؤسسة الوطنية للكتاب . ط 2 . الجزائر . 1987 . ص 485 .
- 4- المرجع نفسه . ص 483 .
- 5- المرجع نفسه . ص 487 .
- 6- صلاح فضل . النظرية البنائية في النقد الأدبي . ص 399 .
- 7- عيده بدوي . نظرات في الشعر العربي الحديث . دار قباء للطباعة . القاهرة . 1998 . د . ط . ص 140 .
- 8- ينظر محمد بن علي . النثر الأدبي الأندلسي في القرن الخامس ج 2 . دار الغرب الإسلامي . بيروت . ط 1 . 1990 . ص 654 .
- 9- عز الدين إسماعيل . الأدب و فنونه . دار الفكر العربي . القاهرة . د . ط . ص 25 .
- 10- عبد العزيز نبوي . دراسات في الأدب الجاهلي . مؤسسة المختار للنشر والتوزيع . القاهرة . ط 3 . 2006 . ص 274 .

- 11- علي علي صبح . البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر. د. ط. 1996 ص 242.
- 12- إبراهيمي. عيون البصائر. ص 486.
- 13- عبد الملك مرتاض. خصائص الخطاب في رواية الثلاثة. مجلة الثقافة العدد. 87. ص 246. 247.
- 14- أحمد يوسف خليفة. دراسات أدبية ونقدية. دار الوقاء. الإسكندرية. ط 2006. ص 12.
- 15- عبد الحميد بوزينة. بناء الأسلوب في المقالة عند إبراهيمي. ديولن المطبوعات الجامعية. الجزائر. د. ت. ص 97.



ISSN : 2335-1071
ردمك : 2335-1071

فصل الخطاب

ISSN : 2335-1071



مجلة الخطاب الحضاري
أصوله ومجرباته وآفاقه في الجزائر
جامعة ابن خلدون - تيارت

العدد التاسع

Laboratoire de discours argumentatif
ses origines, ses références ses perspectives en Algérie
Université Ibn-Khaloun-Tiaret

فصل الخطاب

ملف العدد:

- تقنيات المجامع في شعر المنتمي
- تداخل الأصوات في الخطاب الشعري المعاصر
- تصانيف الأشكال و تنافر الأفكار مقارنة نظرية إشكاليات العناية الشعرية السبعيني في الجزائر
- شحنة الثورة في قصيدة أنا ثائر ملغدي زكريا
- الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية إشكالية العوية أم البحث عن الذات

مارس 2015 Mars Revue n°09

Faslo El-Khitab

(Art d'Argumenter)

Mars 2015

العدد 09

العدد الثالث

دورية أكاديمية محكمة تفتي بالدراسات والبحوث
العلمية النقدية واللغوية والأدبية والإعلامية
بالمغربيين العربية والأجنبية

Faslo El-Khitab

Revue périodique à vocation scientifique, traitant
des domaines de la critique littéraire, la linguistique
et la rhétorique en langues arabe et étranger

Revue N 09

Volume 03

فصل الخطاب

دورية أكاديمية محكمة يصدرها مخبر الخطاب الحجاجي أصوله ومرجسياته وأفاقه في الجزائر
تعنى بالدراسات والبحوث العلمية النقدية واللغوية والأدبية والبلاغية باللغتين العربية والفرنسية

العدد التاسع

مارس 2015

ISSN 2335-1071 ردمد

رقم الإيداع القانوني 1759 - 2012

جامعة ابن خلدون - تيارت
الجزائر

توجه المراسلات إلى إدارة المخبر أو المجلة
ص.ب. 78 زعرورة - تيارت 14000 - الجزائر
أو عبر: faslkhita@gmail.com

الفهرس

- 05.....
- 07..... - كلمة رئيس التحرير.....
- 07..... - تداخل الأصوات في الخطاب الشعري المعاصر لدى جبران (سطمبول ناصر).....
- 21..... - تضاف الأشكال وتنافر الأفكار مقارنة نظرية لإشكاليات الحداثة الشعرية السبعينية في الجزائر (عبد القادر رابحي).....
- 31..... - شحنة الثورة في قصيدة أنا ثائر لمفدي زكريا مقارنة أسلوبية (جلاوي عز الدين).....
- 45..... - الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية إشكالية الهوية أو البحث عن الذات (قردان الميلود).....
- 53..... - الشعر الديني الجزائري الحديث واتجاهاته عند عبد الله ركيبي (أحمد الحاج أنيسة).....
- 69..... - خطاب الصورة في المشهد البانورامي السياحي "قصة زوجة الشاعر للطاهر وطار أنموذجا" (قروور معاشو).....
- 77..... - أسلبة النص السردي بتقنيات الإعلام في روايتي: "ذاك الحنين - الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء" (بهلول شعبان).....
- 91..... - الخطاب السردي الجزائري الجديد بين القبول والرفض أمينة الشيخ "أسفل الحب" أنموذجا (طبي حرة).....
- 99..... - الرواية النسوية الجزائرية المكتوبة بالعربية (1970-2010) سؤال النشأة والبيبلوغرافيا (فايد محمّد).....
- 107..... - منهج "أبي رأس الناصري المعسكري" في شرح قصيدة: "روضة السلوان" (يوسفي يوسف).....
- 125..... - تقنيات الحجاج في شعر المتنبي (خديجة بوخشة).....
- 147..... - الحجاجية ومظاهرها عند الأنباري تحليل وتأصيل (عبد المهدي هاشم حسين الجراح).....
- 163..... - معاني الأبنية الاسمية في كشف المعاني (محمد عبد ذياب الهيتي).....
- 179..... - البنية العاملة في خطاب ابن عربي الشعري ترجمان الأشواق نموذجا (شريف فاطمة).....
- 195..... - مَقْصِدِيَّةُ التَّوْرِيَةِ بَيْنَ الْمُصْرَحِّ بِهِ وَالْمَسْكُوتِ عَنْهُ (يعقوب الزهرة).....
- 205..... - أثر القرآن الكريم في نثر الشيخ البشير الإبراهيمي (صواغير فاطمة).....
- 211..... - الاستدلال في إعجاز القرآن لأبي بكر الباقلاني (بلعربي شهرزاد).....
- 225..... - المعلم قطب فعال في المثلث التعليمي قراءة في المعايير الواجب توفرها في معلم اللغة العربية لغير الناطقين بها (مجاهد ميمون).....
- 237..... - حقيقة الإصلاح التربوي في الجزائر (قراءة في المنهاج الدراسي للطور الابتدائي ومقاربة للآليات) (مداني حميدة).....

أثر القرآن الكريم في نثر الشيخ البشير الإبراهيمي

الأستاذة: صواغير فاطمة

جامعة تلمسان - الجزائر

إنَّ أهم ميزة تميز بها الشيخ محمد البشير الإبراهيمي الإمام الشامل بأي القرآن الكريم والاقْتباس منه، وتضمين مقالاته آيات من الذكر الحكيم فقد حفظ الإبراهيمي القرآن وهو صغير جداً، واحتفظت ذاكرته بصور جميلة من القرآن وعبارات أروع واختزن في مخيلته ألفاظه القوية وعباراته الموحية، وأصبح القرآن بذلك السند المرجعي لكل كتاباته حتى أنَّ ظاهرة الاقتباس تكاد تلازم كتاباته، وتضفي عليها مسحة جمالية، ومتمعة دلالية، وما يميّز الاقتباس من القرآن في كتابات الإبراهيمي، هو حسن الربط بين ما يودّ قوله وما جاء في القرآن حتى لا يكاد القارئ غير الحافظ للقرآن يتبين أين يبتدئ كلام الشيخ وأين تبدأ الآية القرآنية فكان ذلك أمانة من أمارات بيانه التي زخرف بها آثاره الأدبية .

Abstract: The effect of Quran on El-cheikh El-Bachir El-ibrahimi Prose.

The main characteristic which distinguishes Elcheikh Mohammed Elibrahimi is the total knowledge of the Quran and quotes from it; and embed his articles with verses from the holly Quran. El-ibrahimi has learnt El Quran from an early age; his memory kept beautiful pictures of from Quran and wonderful expressions and stored in his imagination its strong words and meaningful suggestive.

And Quran became the basic resource for all his writings even the phenomenon quoting it almost accompanies his writings, give them a total tinge a provably fun, and what characterizes quoting from Quran in El-ibrahimi writings is the good coordination between what he wants to say and what is in Quran even the reader who does not learn Quran can differentiate when starts the speech of El-cheikh and when the Quran verse starts, so that was a sign among his literary signs that decorates his literature.

للشيخ الإبراهيمي إنشاء متين، بليغ، رائق الدباجة، واضح المعاني، بعيد عن الصيغ الشاذة والتراكيب الجافة، برئ من الغموض والالتباس، وقد ظهرت شخصية الإبراهيمي بارزة واضحة للعيان، فكل كاتب يعتمد على طريقة معينة، مزودة بذخيرة من المعارف العامة والخاصة، مما يجعل كل كاتب يتميز عن كاتب آخر.

ثم إن الأعمال الأدبية المشهورة هي التي تطفح بمختلف الروافد بدءاً بالقرآن والحديث، وأثار السابقين من أشعار وخطب وأمثال وما إلى ذلك وكل ذلك ما هو إلا ثمرة من ثمار المحفوظات الغزيرة والتي انصهرت في ذاكرة المبدع ويعتبر القرآن الكريم رافداً أساسياً في نثر

الإبراهيمي ولا غرو في ذلك فإن الثقافة الدينية للإبراهيمي هي التي تمدّه بالشواهد الغزيرة وتجعل الجمال وقوة التأثير دُيُن مختارات الشيخ التي يتمثل بها، فقد نشأ في بيئة يشكّل القرآن فيها الركن الأساسي في الحياة الاجتماعية والثقافية، إذ حفظ القرآن وهو ابن تسع سنين مع فهم مفرداته وغريبه "إن هؤلاء الذين أدركوا الإسلام سمعوا الطبقة العالية من الكلام في القرآن والحديث واللذين عجز البشر عن الإتيان بمثلهما لكونهما ولجت في قلوبهم ونشأت على أساليها نفوسهم، فنهضت طباعهم وارتقت ملكاتهم في البلاغة، فكان كلامهم في نظمهم ونثرهم أحسن ديباجة وأصفى رونقا".¹

استطاع الإبراهيمي بفضل حفظه للقرآن أن يُؤثي أسلوب نثره به، وخاصة بألفاظه وتراكيبه لأن "الألفاظ القرآنية تمتاز بجمال جرسها الذي يترك أثرا جميلا في الأذن وبالتالي تنساب في الوجدان والقلب بحيث يرسم المعنى في مخيلة القارئ والمستمع بدون إجهاد النفس للوقوف على الدلالة اللغوية للفظة"² فالقرآن الكريم هو المنبع الأساسي الذي غرف منه الإبراهيمي ثقافته وهو النموذج المحتذى أسلوبيا ومضمونا للقرآن طرائقه في الهجوم على قلب القارئ والاستيلاء على وعيه وضمان استغراقه، والأذن تستسيغه وتأنس له، ومن حفظ القرآن وفهم مفرداته " اتخذ بحرا يستخرج منه الدرر والجواهر ويودعها مطاوي كلامه"³، لذلك اتخذ الإبراهيمي القرآن معينا له في نثره فضمنه آيات من الذكر الحكيم، خاصة وأن ذاكرته قد احتفظت بصور جميلة من القرآن وعبارات أروع واختزن في مخيلته ألفاظه القوية وعباراته الموحية فأصبح القرآن الكريم السند المرجعي في نثره، ليضفي عليه مسحة جمالية ومنتعة دلالية وما يميز الاقتباس من القرآن الكريم في نثر الإبراهيمي هو حسن الربط بينما يودّ قوله وما جاء في القرآن " حتى يكاد القارئ غير الحافظ للقرآن أن يتبين أين يبتدئ كلام الشيخ وأين تبدأ الآية القرآنية".⁴

لذلك فإن أناقة الأسلوب عند الإبراهيمي تأتي من هذه الخاصية وهي حسن الربط، وأيضا جودة السبك ومهارة تصريف أي القرآن على نحو من التضمين والاقتباس وتحويلها لغرض يخدم المتعة الفنية والأدبية ومن ذلك قوله مثلا: "لئن كان في الرياح لواقح الأشجار" فهي مقتبسة من قوله تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴾⁵ إن الإبراهيمي حين يركز في تكوين صورته التعبيرية على القرآن الكريم يفعل ذلك ليتدبر في معانيها ويلقي بظلالها على تعبيره كما نجده مثلا وهو يتساءل في عتاب رقيق (وهل طاف بك طائف السلو) فهي مقتبسة من قوله تعالى: ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾⁶.

والاقتباس من القرآن لم يتوقف عن المعنى فقط فقد يسوق الإبراهيمي كلمة واحدة قد تفضي إلى آية كريمة كقوله مثلا: (فعسى أن يكون المسك ختاماً) فكلمة مسك تحيلنا على الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾⁷.

إن هذه الخاصية في أسلوب الإبراهيمي تكاد تلازمه في كل كتاباته وذلك نتاج طبيعي لذاكرة حفظت القرآن وداومت على قراءته ولازمت درسه وتدبرت معانيه فأضحى هذا المورد مصورا في فكره، دائرا على لسانه، متمثلا في قلبه ذاكرة له في كل ما يرد عليه من وقائع من القرآن الكريم.. كقوله " (سلام عليك يوم لقيت من عقبه وصحبه برا... وسلام عليك يوم أصبح حرا مهتلا مفترا معتزا بالله لا مغترا"⁸ فهي مقتبسة من قوله تعالى: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾⁹.

فكل لفظة من نثر الإبراهيمي توقفنا أمامها لنبحث لها عن مرجع من زاده الديني فقوله مثلا: (لله في تقدير السنين أسرار فيها تحسب الأعمار) مقتبسة من قوله تعالى: ﴿لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾¹⁰.

بذلك يعد القرآن أهم مصدر وأبلغه تأثيرا في أدب الإبراهيمي فقد كان له المعين المتفجر سحرا والمتدفق بيانا يملأ النفس ويطرب الأذان.

وكنموذج لذلك قوله في مقال في تقديم لجمعية العلماء، وأعمالها ومواقفها فيقول "...وجمعية العلماء هي التي أثبتت للاستعمار أن الدماء البربرية التي مازجت الدم العربي أصبحت عربية بحكم الإسلام وبحكم العمومة والخوولة في سلسلة من الزمن ذرعها ثلاثة عشر قرنا من الزمن مزاج فطري، أحكمت القدرة تداخل أجزائه..."¹¹ فقد اقتبس الإبراهيمي قوله من القرآن في قوله تعالى ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾¹²

ونجد نموذجا آخر في قوله وهو يتحدث عن إيديولوجية جمعية العلماء فيقول: "إن جمعية العلماء قطعت الطريق بينهم وبين الأمة، وإنها تدخلت في السياسة وما ينبغي لها، لأنها لا تحسن السياسة ولا تنطق بلسانها، لسان السياسة أعجمي ولسانها عربي مبين "¹³ فهو يقتبس من قوله تعالى ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾¹⁴.

ويرد الإبراهيمي على هذا الاستعمار قائلا: "...إننا إذ حكمناك إلى الحق غلبناك، وإذا حكمنا إلى القوة غلبتنا ولكننا قوم ندين بأن العاقبة للحق لا للقوة "¹⁵ فهو يحتكم في هذه المقالة إلى الآية ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾¹⁶.

ويقول الإبراهيمي أيضا مقتبسا من القرآن "...و إن هذه الحكومة تقدم التجريب على التخريب وقد جربتم فوجدت منكم جدارا متداعيا للسقوط كما أقامته، بل خربته لأنه لم يكن لغلامين في المدينة ولا كان تحته كنز لهما، ولا كانت هي تنظر بعين صاحب موسى" ¹⁷ فهو مقتبس من قوله تعالى ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ ¹⁸

وبذلك يعد القرآن أهم مصدر وأبلغه تأثيرا في أدب الإبراهيمي، فكان له المعين المتفجر سحرا المتدفق بيانا يملأ النفس ويطرب الأذن على حد تعبير عبد الرزاق قسوم " إن فكر الإبراهيمي تحكمه صعوبة مستعصية على العقل العادي، تصنعها غرابة اللفظ وبراعة الصياغة، وأناقة في الأسلوب ومرجعية المعنى، وهي كلها معطيات غير متاحة إلا لمن أوتي مجموعة من الأدوات المعرفية" ¹⁹. ومن الاقتباس دائما نجده في قوله: "كبرت كلمة تخرج من أفواه هؤلاء المستعمرين الجبارين" ²⁰ وهذا اقتباس من قوله تعالى ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ ²¹

أما ما ضمنه في مقالاته مما جادت به ذاكرته من آيات القرآن، نجد في مقال له يقول "ويمينا بالذي طهر المعهد وأنزل في كتابه ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ...﴾ ²² لنقطعن من هذه الفتنة دابرها، ولنقطعن من هذه الفتنة مقيمها وعابرها". ²³ ويمضي الإبراهيمي في عرض أفكاره، مستندا على آيات القرآن وهو يرد على من زعم أن الجزائر فرنسية فيقول "وهل الجزائر فرنسية؟ لا يا قوم لا، إن الله خلقها عربية مسلمة وستبقى عربية مسلمة إلى ما شاء الله وإن الوراثة وسمتها بسمات خالدة وصفات ثابتة لا تفارقها حتى يفارق الشمس إشراقها، ملكها الرومان فلم تنقلب رومانية، وبادوا ولم تبد وبقيت ولم يبق منهم إلا أثار الظلم ومعالم الطغيان ﴿فَتِلْكَ مَسَاكِينُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ ²⁴.

لقد حفظ الإبراهيمي القرآن وتمعن في معانيه وتذوق بيانه فظهر أثر ذلك في نفسه وقلبه ولسانه وفكره فزخرف رسالته بأي القرآن مقتبسا حيناً ومضمنا حيناً آخر. ومجمل القول أن ثقافة الإبراهيمي قد ارتكزت على القرآن إذ يقول في فضل القرآن " القرآن هو الذي ربأها وأدبها وزكى منها النفوس وصفا القرائح وأذكى الفطن وهذب الأفكار وأعلى الهمم واستفز الشواعر واستشار القوى، وصقل الملكات وقوى الإرادات ومكن للخير في النفوس وغرس الإيمان في الأفئدة وملأ القلوب بالرحمة وحفز الأيدي للعمل النافع والأرجل للسعي المثمر" ²⁵ ويرى الإبراهيمي أن القرآن الكريم هو أساس الملكة السليمة قولاً وعملاً وكتابة وخطابة إذ يقول في هذا الشأن "...والقرآن القرآن تعاهدوه بالحفظ وأحيوه بالتلاوة وربّوا ألسنتكم على الاستشهاد

به في اللغة والقواعد وعلى الاستشهاد به في الدين والأخلاق وعلى الاعتماد عليه في الاعتبار بسنن الله في الكون...²⁶ لذلك جعل الإبراهيمي أدبه تحوي صورا معبرة مقتبسة من القرآن مما أعطى لأدبه مذاقا خاصا .

وخلاصة القول أن الإبراهيمي حفظ القرآن فعرف بيانه ووعى أسراره وكان ذلك أمانة من أمارات أدبه وطابعا يتميز به فنّه الأصيل وجواهر يصرّع بها أدبه خاصة وأنه منطلق من لسان سليم وصاحب عقل حكيم ومن الأمثلة التي أوردناها نستشف سر الإتقان والجودة في اختيار اللفظ المناسب وفوق هذا ندرك أن القرآن متى أحسن حفظه وأتقن ذكره وفهم معناه كان نعم المنجد ونعم النصير وجعل كل من يهرع إلى حماه من العظماء وكل من تمسك به تمسك بالعرورة الوثقى لا انفصام عنها.

مراجع البحث وإحالاته:

- 01- ابن خلدون، المقدمة ج 2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط 1، 1984، ص 722.
- 02- محي الدين محمد . ثقافة الإبراهيمي وأثرها في أسلوبه . عيون البصائر نموذجاً. مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأدب الحديث بإشراف محمد غيتري جامعة تلمسان .2007-2008.ص 6.
- 03- ابن الأثير. المثل السائر.ص 42 .
- 04- عبد الرزاق قسوم. محمد البشير الإبراهيمي مهندس اللفظ وفيلسوف المعنى. مجلة الموافقات. العدد 4 . ص.406
- 05- سورة الحجر. الآية 22.
- 06- سورة القلم. الآية 19.
- 07- سورة المطففين . الآية 26.
- 08- الإبراهيمي. عيون البصائر.ص487.
- 09- سورة مريم. الآية 15 .
- 10- سورة يونس . الآية 05.
- 11- الإبراهيمي. آثار الشيخ الإبراهيمي. ج 1 .ص253.
- 12.سورة الحاقة الآية 32
- 13- الإبراهيمي، عيون البصائر، ص 36
- 14- سورة النحل الآية 103
- 15- الإبراهيمي، عيون البصائر، ص 42
- 16- سورة هود الآية 49
- 17- الإبراهيمي عيون البصائر ص43
- 18- سورة الكهف الآية 82

أثر القرآن الكريم في نثر الشيخ البشير الإبراهيمي

19 - عبد الرزاق قسوم، محمد البشير الإبراهيمي، مهندس لفظ وفيلسوف معنى، مجلة الموافقات العدد 4 ص 406

20- الابراهيمى، البصائر، سل2، ع4، 1947، ص 1

21 - سورة الكهف الآية 5

22- سورة يس الآية 60

23. الإبراهيمي، عيون البصائر، ص 25.

24. سورة القصص الآية 58.

26. آثار الإبراهيمي ج 1، ص 253.